وزارة المعارف العمومية

على الجارم بك

ديوان الجارم

الجزء الأول

مطبعة فتح الله الياس نورى وأولاده بمصر

وزارة المعارف العمومية

على الجارم بك

ديوان الجارم

الجزء الأول

مطبعة فتح الله الياس نورى وأولاده بمصر



حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة على جميع رسله وأنبيائه ، و بعد فانى لا أريد أن أسهب فى الكلام على معنى الشعر وخصائصه ، ومبعث الروحانية فيه ، ذلك لأن هذا المبحث طرقه الباحثون كثيراً فأخفقوا ، وأطالوا فيه فكانت إطالتهم أول دليل على العىّ والحصر ، ومن العىّ إطالة الكلام ، وتكرار تاء التمتام .

أرادوا أن يحدّوا روحانيته بالألفاظ ، فعجزت الألف ، وضلت الباء ، وكيف يحيط المحدود بغير المحدود ؟ وكيف تكشف ظلمة المادة توهج النور ؟

إن شرح آثار الإحساس الجسمى من أبعد الأمور تأتياً ، وأدخلها فى باب الاستحالة . أرأيت لو أنك ذقت سكراً أو ملحاً ، ثم سألك سائل متعنت أن تشرح له طعم السكر أو الملح ، أكنت مستطيعاً ؟ أرأيت لو شممت ورداً أو نرجساً ، ثم بدهك إنسان يفقد حاسة الشم أن تبين له فى وضوح ودقة ذلك الأثر الذى شعرت به ، أكنت قادراً على أن تجد له اللفظ إن وجدت المعنى ؟

فإذا كان هذا الشأن ، وتلك الحال فى إحساس الأجسام ، فكيف فى إحساس العقول ؟ وإذا كانت الألفاظ عاجزة عن وصف أثر المادة الجامدة فى الأجسام ، فكيف تكون إذا همّت بوصف أثر الروح النورانية فى النفوس والأرواح ؟

حاول عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه « أسرار البلاغة » و« دلائل الإعجاز » ، أن يشرح ما بهر نفسه من ضروب البلاغة فى بعض ما ساق من الشواهد فأخفق وأخفق ، وطالما نظرتُ مبتسماً إليه وهو يكد ويكدح ، ويعلو ويسفل ، ويحاول الوصول إلى مواطن السحر فلا يستطيع ، ويتلمس اللفظ لشرح ما يجول بنفسه فلا يوفق ، والغيظ ينفخ أوداجه ، والألم تسمعه فى نبرات لفظه . يرسل الصيحة إثر

الصيحة ، كأنما يدعو إلى اصطياد ظبي نافر ، أو إلى التوثب إلى أجنحة طائر ، ثم هو بعد طول الصياح وشدة الالحاح لم يعمل شيئاً ، ولم يترك فى كف القارىء شيئاً !

إنك تهتز للبحترى ، وتطرب له ، ولكنك لا تستطيع أن تفض خاتم سحره ، ولا أن تنقل إلى نفس غيرك صدى جرسه فى نفسك حين يقول فى الفتح بن خاقان :

وَلَمَّا حَضَرْنَا سَاحَةَ الْإِذْنِ أُخِّرَتْ رِجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِى أَنَا دَاخِلُهْ
فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِى مَهَابَةٍ أُقَابِلُ بَدْرَ التِّمِّ حِينَ أُقَابِلُهْ
فَسَلَّمْتُ فَاعْتَاقَتْ جَنَانِيَ هَيْبَةٌ تُنَازِعُنِي الْقَوْلَ الَّذِى أَنَا قَائِلُهْ

السحر فى اختيار النظم ، وفى إبداع التصوير ، وفى وضع الكلمة فى موضعها ، وفى الجرس والنغم ، ولكن أين السبيل إلى إبانة ذلك ؟

قف أمام صورة بديعة لمصور ماهر ، وكن ممن يفهمون سر الفن ، ومعنى الألوان وامتزاجها وتشاكلها ، ثم اشرح لصديق آيات النبوغ فيها ، فإن فعلت — ولن تفعل — فتجرأ على إفشاء سر البيان ، وتصوير الخيال .

والناس يلهجون قديماً بقول عروة بن أذينة :

إِنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوًى لَهَا
بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
مَنَعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا !
فَدَنَا وَقَالَ لَعَلَّهَا مَعْذُورَةٌ فِي بَعْضِ رِقْبَتِهَا فَقُلْتُ لَعَلَّهَا

ويقولون إن أبا السائب المخزومى نزل بعروة بن عبيد الله ، فقال له ألك حاجه ؟ قال نعم ، أبيات لعروة بن أذينة ، بلغنى أنك سمعته ينشدها ، فأنشده الأبيات ، فلما بلغ قوله :

فَدَنَا وَقَالَ لَعَلَّهَا مَعْذُورَةٌ فِي بَعْضِ رِقْبَتِهَا فَقُلْتُ لَعَلَّهَا

طرب وقال : هذا والله الدائم الصبابة ، الصادق العهد ؛ لا الذى يقول :

إنْ كَانَ أَهْلُكِ يَمْنَعُونَكِ رَغْبَةً عَنِّى ، فَأَهْلِى بِى أَضَنُّ وَأَرْغَبُ

لقد عدا هذا الأعرابى طوره ! وإنى لأرجو أن يُغفرَ لصاحب هذه الأبيات لحسن الظن بها ، وطلب العذر لها ، ثم عرض عليه عروة الطعام فقال : لا والله ، ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل !

إن الأديب وحده هو الذى يفهم الشعور الذى ملك على المخزومىّ نواحى نفسه ، واللذة الفنية التى لم يرد أن يفسدها بطعام طول يومه .

ثم انظر الى قول سعد بن ناشب وكان من مردة العرب ، وشياطين الانس ، تجد فخامة وجزالة و بطولة لا يصورها الا الشعر ، ولا يدركها إلا الذوق الشاعر .

إذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ ونَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِى رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إلَّا قَائِمَ السَيْفِ صَاحِبَا

ومن التصوير الرائع الذى يملك الجنان ، و يعقل اللسان قول أبى نواس :

رَكْبٌ تَسَاقَوْا عَلَى الأَكْوَارِ بَيْنَهُمُ كَأْسَ الكَرَى فَانْتَشَى الْمَسْقِىُّ وَالسَاقِى
كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمْ وَالنَوْمُ وَاضِعُهَا عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَعْنَاقِ
سَارُوا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْداً لِرَاحِلَةٍ حَتَّى أَنَاخُوا إلَيْكُمْ بَعْدَ أَشْوَاقِ
مِنْ كُلِّ جَائِلَةِ الطَرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ مُشْتَاقَةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَاقِ

قالوا : إن محمد بن زياد الأعرابى كان يطعن على أبى نواس ، و يعيب شعره . و يضعّفه و يستلينه ، فجمعه مع رواة شعر أبى نواس مجلس ، فأنشده أحدهم الأبيات السابقة ، فقال : لمن هذه الأبيات ؟ وكتبها ، فقال : للذى تذمه وتعيب شعره أبى على الحكمى ، قال : اكتم علىّ ، فوالله لا أعود لذلك أبداً .

وإذا أردت لهو أبي نواس وعبثه الذي يبعث في النفس إعجابا بروع من التصوير، ونشوة تفر من الوصف والتعبير، فاستمع إليه حين يقول:

غَنِّنَا بِالطُّلُولِ كَيْفَ بَلِينَا ... واسْقِنَا نُعْطِكَ الثَّنَاءَ الثَّمِينَا
مِنْ سُلافٍ كَأَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ ... يَتَمَنَّى مُخَيَّرٌ أَنْ يَكُونَا
فَإِذَا مَا اجْتَلَيْتَهَا فَهَبَاءٌ ... يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبِيحُ الْعُيُونَا
ثُمَّ شُجَّتْ فَاسْتَضْحَكَتْ عَنْ لآلٍ ... لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدٍ لاقْتُنِينَا
فِي كُؤُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ ... دَائِرَاتٌ، بُرُوجُهَا أَيْدِينَا
طَالِعَاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا ... فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

هذا فن يدركه الذوق، ولا يشرّح تشريح الجثث

ومن الأبيات التي يروعك جمالها؛ ويهتز وجدانك لتأثيرها، ويبهر نفسك تصويرها، قول الشريف الرضي:

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمِ ... وَطُلُولُهَا بِيَدِ الْبِلَى نَهْبُ
فَتَلَفَّتَتْ عَيْنِي فَمُذْ خَفِيَتْ ... عَنِّي الطُّلُولُ تَلَفَّتَ الْقَلْبُ

ولو أردنا أن نقول في لطف جمال الشعر وروحانيته، وعجز الألفاظ عن الاحاطة بسره، وإماطة اللثام عن مكنون سحره، لطال حبل الكلام، وحاد القلم عن الجادّة، ولكننا نستطيع أن نقول في جملة قصيرة إن جمال الشعر في نظمه وجرسه ورنينه، وفي انتقاء ألفاظه وتجانسها، وفي ترتيب هذه الالفاظ ترتيباً يبرز المعنى في أروع صورة وأبدعها، وفي اختيار الأسلوب الذي يليق بالمعنى ويلبق به. فمرة يكون إخباراً، ومرة يكون استفهاماً، ومرة يكون استنكاراً، ومرة يكون نفياً، ومرة يكون تعجباً. كل ذلك يكون مع المحافظة على الأسلوب العربي الصميم.

ثم في المعاني وابتكارها أو توليدها من القديم في صورة جديدة رائعة، ثم في الخيال وحسن تصويره والتزام الذوق العربي فيه، ثم في إحكام القافية والتمهيد إليها،

ثم فى انتقاء البحر الذى يلائم موضوع القصيد ، ثم فى التنقل فى القصيدة فى فنون شتى من القول مع المحافظة على الوحدة الشعرية ، ثم فى روح الشـاعر وخفة ظله ، وانسياقه مع الطبع . وتعمده لمس مواطن الشعور .

ولا يكون جمال الشعر دائماً بالمجاز والتشبيه وضروب التزويق اللفظى ، وإنما جماله فى استعداده للنفاذ إلى النفس والوصول إلى القلب على أى صورة كان ، وفى أى ثوب يكون ، ولأمر ما كان لبعض الشعر الجاهلى منزلته التى لا تسامى ، ومحله الذى لا ينازع ، ولأمر ما هوى الشعر صريعاً يلهث حينما أثقله المتأخرون بنفائس الحلى وأنواع الحلل .

وقد يخلط من لا بصر له بالشعر بين تأثير الحال التى قيل فيها الشعر وتأثير الشعر نفسه ، وكثيراً ما نال الشاعر تصفيق الجماهير واستحسانهم لأنه يتجه إلى عاطفة فيهم سريعة الالتهاب سهلة الاثارة ، وكثيراً ما يلجأ بعض الشعراء فى موضوع بعيد عن عاطفة العامة إلى الاستطراد إلى ذكر ما يثير نفوسهم استجداء لصيحات الاستحسان وطلب الاعادة .

هذا دجل أدبى نعوذ بالله منه ، وهذا إفساد للفن ممن يريدون الالتصاق بالفن ، وشأن هؤلاء شأن صغار المصورين الذين يعمدون إلى دريهمات العامة بالاكثار من الألوان الزاهية البراقة ، وإن ضاع الانسجام ، وقتل الفن الرفيع قتلا .

وربما كان الشعر أعصى الفنون على التعلم ، وأبعدها من أن ينال بالدرس والتدريب ، إنما هو شعاع يضعه الله فى قلب من يشاء ، وهبة يمنحها لمن يشـاء ، وحاسة معنوية يزيدها فى خلق نفر من عباده يحسون بهـا ما لا يحسه كثير من الناس ، فيترجمونه بياناً ساحراً ، وقولا مبيناً .

والشعر طريق معبدة بين عالم الأجسام وعالم الأرواح ، ينقل إلى المادة الفانية نفحات الروح الخالدة ، ويرسل إلى ظلمات الحياة نوراً قدسياً ، يبدد غيوم الغموم ، ويكشف السبيل للأمل الحائر .

فليس الشعر الوزن وحده ، ولا القافية وحدها ، ولا الكلمات التى تملأ فراغ التفاعيل ، وإن عذبت ولطفت ، وإنما الشعر ما وراء كل بيت من ضوء روحانىّ وجد له بين ألفاظه منفذاً ، ومن سحر سماوىّ زحزح البيت دونه طرف الستار .

وشأن الشعر شأن الفنون كلها ، إما أن يكون فناً ، وإما ألا يكون ، وإما أن يكون شعرا ، وإما ألا يكون ، فليس فيه كبقية منتجات العقول جيد ومتوسط ورديء . فهو إما أن يكون جيداً ، وإما ألا يكون شعرا ، نعم إن الجودة متفاوتة ، ولكنها إذا نزلت إلى حد التوسط فقد الشعر مميزاته ، وسلب مقوماته ، وأصبح كلاما ، كما يجرد القائد المذنب من رتبه وألقابه فيصبح جندياً .

والكلام فى الشعر يطول ، وبحور الشعر فياحة النواحى ، بعيدة الغور ، ولكنى أريد هنا أن أقدّم للأدباء وجمهرة المثقفين مجموعة أشعارى ، بعد أن أرجأت طويلاً نشرها ، وأهملت كثيراً فى جمعها ، وبعد أن ألح علىّ كثير من أصدقائى فى إبرازها لتنال حظها فى سوق الأدب .

فإذا استطاعت هذه الأشعار أن تزيد فى بناء العربية صفا ، أو أن تضيف إلى آياتها البينات حرفا ، أو أن تذيع من مسكىّ معانيها شذاً طيباً وعرفاً ، فقد بلغت المنى ، وحمدت السرى ، ونلت التوفيق كله ، وسكنت نفسى أن قدمت بين يدىّ عملاً أشعر أن فيه أداء لحق لغتى وأمتى ، وأن فيه غذاء صالحاً للناشئة المصرية الكريمة التى بذلت حياتى وأبذل ما بقى منها فى تثقيفها وانهاضها الى الأوج الذى تريد وأريد .

ولا بد قبل القاء القلم من الاشادة بذكر الأساتذة ابراهيم الابيارى ، ومحمد شفيق معروف ، وحسنين مخلوف لما بذلوا من جهد فى شرح قصائد الديوان ، كما أشكر لمطبعة « نورى » مزيد عنايتها بطبع الديوان على طراز فنىّ بديع يدل على ذوق سليم ، ورقىّ بالغ الغاية فى فن الطباعة ، جزاهم الله عنى جميعاً خير الجزاء .

على الجارم

فهرست
للقصائد

فهرست

مرتب على حسب حروف الهجاء

يشتمل على أهم الموضوعات التى بالديوان ، وقد رمز فيه للصفحة بحرف ص ، وللبيت بحرف س .

* * *

* * *

* * *

فهرست

للأعلام

على حسب الحروف الهجائية

وقد ترجم لها بالشرح ورمز لرقم الترجمة بالحرف (س)

فهرست
للقـــوافى

على حسب الحروف الهجائية وعلى حسب تاريخ نظمها

الصفحة		ترتيب القصائد على حسب تاريخ نظمها

* * *

التاجية الكبرى

قيلت هذه القصيدة فى تهنئة جلالة مولانا الملك المعظم « فاروق الأول » بتولى سلطته الدستورية يوم الخميس ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ هـ — ٢٩ يوليه سنة ١٩٣٧ ، وقد كان هذا اليوم عيدا عاما للأمة المصرية ، أظهرت فيه ولاءها لمليكها المحبوب ، وتجلت فيه علائم البشر والابتهاج فى كل مكان .

خَشَعَتْ لِفَيْضِ جَلَالِكَ الأَبْصارُ   وَذَكَتْ بِمِسْكِ خِلَالِكَ الأَشْعَارُ (١)

وَتَوَسَّمَتْ مِصْرُ العُلَا فِي طَلْعَةٍ   قَدْ حَفَّهَا الإِجْلَالُ وَالإِكْبَارُ (٢)

***

مَلِكٌ تَغَارُ النَّيِّرَاتُ إِذَا بَدَا   أَسَمِعْتَ أَنَّ النَّيِّرَاتِ تَغَارُ؟ (٣)

وَدَّتْ لَوِ اشْتَمَلَتْ بِفَضْلِ رِدَائِهِ   هَيْهَاتَ ثَوْبُ المَجْدِ لَيْسَ يُعَارُ (٤)

شَتَّانَ بَيْنَ النَّيِّرَاتِ وَمَنْ بِهِ   سُبُلُ البُطُولَةِ وَالحَيَاةِ تُنَارُ (٥)

---

(١) خشعت الأبصار : غضت هيبة وإجلالا . وفيض جلالك ، أى عظمتك التى عمت وشاعت . وذكت : سطعت ريحها الطيبة . والخلال : الخصال . أى أن الأشعار تعطرت بحميد صفاتك التى تشبه المسك طيبا .

(٢) توسمت : تبينت . وحفها : أحاط بها واستدار .

(٣) النيرات : الكواكب الوضاءة المتلألئة . وبدا : ظهر . جعله يبز النجوم إشراقا وتلألؤا فهى لهذا تغار .

(٤) يقال اشتمل بالثوب ، وذلك إذا تلفف به وأداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده . وفضل الرداء : زياداته وما ينسحب منه على الأرض . وإفضال الرداء دليل التيه والعزة والنعمة . أى أن النيرات تود لو كان لها بعض مجده . وهيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد .

(٥) شتان : اسم فعل ماض بمعنى افترق .

تهدى العيون بضوئهن وضوءه ... تهدى البصائر فيه والأبصار (٦)

ولها مدار من فضاء مبهم ... ولك العلا والمكرمات مدار (٧)

غضى جفونك يا نجوم فدونه ... تتضاءل الآمال والأقدار (٨)

أتتن أقرب مشبه لهباته ... فكلاكما من راحتيه نثار (٩)

* * *

من حسنه اختلس الأصيل جماله ... وببشره تتبسم الأسحار (١٠)

تبدو سجايا النبل وهى قلائل ... فإذا حللن ذراه فهى كثار (١١)

أبصرن فيه نصير كل كريمة ... إن قلت الأعوان والأنصار (١٢)

* * *

لله يومك والضياء يعمه ... فعشية سيان والإبكار (١٣)

---

(٦) البصائر : جمع بصيرة ، وهى العقل والفطنة .

(٧) مدار النجوم : حيث تجرى وتدور . ومبهم : غير بين . يوازن بين الممدوح والنيرات فى هذا البيت والبيتين قبله مفضلا له عليها ، ويقول : أين نور النيرات من نوره الذى هو سر الحياة ومبعث العظمة ، والذى هو هدى للعقول والأبصار فى حين أن نورها للأبصار فحسب ؟ وأين مدارها هو فضاء مبهم من مدار هو العلا والمكرمات ؟

(٨) غضى جفونك ، أى أطرقى حياء وخجلا . وتتضاءل : تصغر .

(٩) الهبات : جمع هبة ، وهى العطية . والنثار : المنتثر المتفرق . أى أن النجوم تشبه عطاياه فى كثرتها وانتثارها .

(١٠) الأصيل : ما بعد العصر الى المغرب . والبشر : طلاقة الوجه ووضاءته . والأسحار : جمع سحر (بالتحريك) ، وهو قبيل الصبح . وتبسمها : إشراقها بالنور . أى أن جمال الأصيل من جمال الممدوح ، ونور الأسحار من نوره .

(١١) السجايا : الأخلاق والطباع ؛ الواحدة : سجية . والنبل : النجابة والفضل . وذراه : ناحيته . وكثار : كثيرة . أى أن النبل قليل فى غيره عميم لديه .

(١٢) يعلل اجتماع خصال النبل فيه وكثرتها ، بأنها وجدت منه الحامى الناصر لها ، على حين تعوزها النصرة والمعونة فى غيره .

(١٣) الابكار : من طلوع الفجر إلى الضحى . يريد أن يوم تتويجه نهاره وليله سواء فى النور .

نَسِيتْ به الآمَالُ جَفْوَةَ دَلِّهَا ... ومِنَ الدَّلالِ تَحَجُّبٌ ونِفَارُ (١٤)

يَوْمٌ تَمَنَّاه الزَّمانُ وطَالَمَا ... مَدَّتْ إليه رُءُوسَها الأَعْصَارُ (١٥)

سَفَرَتْ به البُشْرَى فطَاحَ قِنَاعُهَا ... عَمْدًا وطَارَ مع الهَوَاءِ خِمَارُ (١٦)

والنَّفْسُ أَغْرَى بالجَمَالِ مُحجَّبًا ... إنْ زُحْزِحَتْ مِنْ دُونِه الأَسْتَارُ (١٧)

مَا صُبْحُ يومٍ والسَّماءُ مَرِيضةٌ ... كَصَبَاحِ يَوْمٍ والنَّهارُ نَهارُ (١٨)

يَوْمٌ غَدَا بين الدُّهورِ مُمَلَّكَا ... يُومَا إليه مَهَابةً ويُشَارُ (١٩)

الأَمْسُ يَجْزَعُ أَنْ تَقَدَّمَ خُطْوَةً ... وغدٌ أَطَارَ صَوابَه اسْتِئْخَارُ (٢٠)

---

(١٤) الجفوة : الاعراض . والدل : التمنع مع رغبة . والتحجب : التستروالاختفاء . والنفار : الصد والبعد . يقول : إن هذا اليوم أنسى الآمال ما جبلت عليه من إعراض ودل ، فأقبلت بعد تمنع ، وظهرت بعد خفاء .

(١٥) الأعصار : الدهور ؛ الواحد : عصر (مثلثة والفتح أشهر) . « ومدت اليه رءوسها ... الخ » : أى تطلعت اليه مترقبة مجيئه .

(١٦) سفرت : بانت وتجردت عما يسترها . ويريد «بالبشرى» : نبأ توليه . وطاح : ذهب وسقط . والقناع : كالخمار ، ما تغطى به المرأة رأسها . يشبه البشرى فى هذا البيت بالمرأة الجميلة ألقى عنها خمارها .

(١٧) أغرى : أكثر ولعا وأشد تعلقا . ولما شبه البشرى فى ظهورها بحسناء سفرت بعد حجاب ، جعل النفوس بها أكثر ولعا وغراما ، شأنها أمام كل جمال حيل بينها وبينه ثم حظيت به .

(١٨) مريضة : أى متلبدة بالغيوم غير صاحية الجو . والنهار نهار ، أى صحو مضىء . يقول : إن الجمال يكون أبهر للعين إذا كان غير محتجب ، وقد دلل على ذلك بالصبح فى حالى وضوح نوره واحتجابه .

(١٩) مملكا ، أى ملكا عليها ، بما اختص به دونها من تتويج الممدوح فيه . ويوما اليه : يشار إليه (بالبناء للمجهول فيهما) . والأصل فيه الهمز وسهل . والمهابة : الخشية . أى أن هذا اليوم أفاد من هيبة الملك هيبة فاتصف من بين الأيام بذلك .

(٢٠) استئخار ، أى تأخر . وأطار صوابه : ذهب بلبه ورشده . أى أن الأيام ودت لو كانت مكان هذا اليوم ، فما مضى منها يندب حظه فى مجيئه متقدما ، وما تأخر قد جن جنونه لمجيئه لاحقا .

يَوْمٌ جَثَا التَّـارِيخُ فيـه مُدوِّنًا ... لِلّٰه مَا قَدْ ضَمِتْ الأَسْفَـارُ ! (٢١)
وَتَصَفَّحَ الأَخْبَـارَ يَبْغِي مِثْـلَه ... هَيْهاتَ تَحْوِى مِثْـلَه الأَخْبَار (٢٢)
يومٌ كأَنَّ ضِيَاءَه مِنْ أَعْيُنٍ ... مِنْ طُولِ ما اتَّجَهتْ له الانْظار (٢٣)

***

يَكْفِيه أَنْ يُنْمَى لِأَكْرَم سُدَّةٍ ... سَعِدَتْ بِها الأَيَّامُ والأَعْمَار (٢٤)
بَيْتٌ له عَنَتِ الوُجُوه خَواشِـعًا ... كالبَيْت يُمْسَح رُكْنُه وَيُزَار (٢٥)
ضُمَّتْ به فِلَذُ القُلُوبِ فكوَّنتْ ... بَيْتًا ، فَلَا صَخْرٌ وَلا أَحْجَار (٢٦)
الدِّينُ والخُلُقُ المَتِينُ أَسَاسُه ... وَحِيَاطَةُ المَوْلَى له أَسْوَار (٢٧)
رَحُبتْ به السَّاحَاتُ فهْوَ مَثَابةٌ ... وَعَلَا عُلُوَّ الحَقِّ فهْوَ مَنَار (٢٨)

---

(٢١) جثا : جلس على ركبتيه . وفى إسناد الجثو للتاريخ دليل على عظمة هذا اليوم التى جعلت التاريخ يخضع لها ذلة ومهابة . والأسفار : الكتب الكبار ؛ الواحد : سفر . ولله ما قد ضمت الأسفار ، أى أن صفاته التى يدونها التاريخ كثيرة حميدة تبعث على الاعجاب .

(٢٢) الضمير فى « تصفح » يعود على « التاريخ » فى البيت السابق . أى إن هذا اليوم انفرد من بين الأيام فلا يماثله يوم آخر .

(٢٣) يقول : كأن نور هذا اليوم من نور العيون ، لكثرة ما تطلعت إليه ونظرت .

(٢٤) ينمى : أى يرتفع بالانتساب اليها . ولأكرم سدة ، أى لأكرم بيت ، وهو بيت الملك . والسدة (فى الأصل) : الباب والظلة فوقه .

(٢٥) عنت : خضعت . ويريد بالبيت (الثانى) : الكعبة . واليها يحج المسلمون ويتجهون فى صلاتهم . جعل مكانة هذا البيت فى قلوب رعاياه كمكانة البيت الحرام فى قلوب المسلمين .

(٢٦) فلذ القلوب : قطعها ؛ الواحدة : فلذة (بالكسر) . وأقام القلوب مكان اللبنات فى هذا البيت ، وهذا كناية عن شدة تعلقها به وفرط حبها لآله .

(٢٧) الحياطة : الحفظ والرعاية .

(٢٨) رحبت : اتسعت . والساحات : النواحى . ومثابة : أى مقصد للقاصدين وملتقى للوافدين . والمنار : مبعث النور . يقول : إن هذا البيت قد اتسع فلم يضق ذرعا بسائل ، حتى أصبح للجميع مقصدا ؛ وعلا بعدله حتى أصبح كالمنار يهتدى بنوره .

غِيلٌ تَهَابُ الأُسْدُ بَطْشَ لُيوثِهِ ... وَتَخُونُها الأَنْيَابُ والأَظْفَارُ (٢٩)

مِنْ كُلِّ خَطَّارٍ إِلَى غَايَاتِهِ ... يُزْهَى بِهِ الصَّمْصَامُ وَالْخَطَّارُ (٣٠)

نَدْبٍ إِذَا حَلَّ الْحُبَاءَ لِغَارَةٍ ... أَلْقَى السِّلَاحَ الفَارِسُ المِغْوَارُ (٣١)

حَامَتْ نُسُورُ النَّصْرِ حَوْلَ جُيُوشِهِم ... حَتَّى كَأَنَّ غُبَارَهَا أَوْكَارُ (٣٢)

شُمْسُ العَدَاوَةِ وَالْحُسَامُ مُجَرَّدٌ ... فَإِذَا انْطَوَى فَمَلَائِكٌ أَطْهَارُ (٣٣)

سَبَقُوا وُثُوبَ الْحَادِثَاتِ وَبَادَرُوا ... إِنَّ الْحَيَاةَ تَوَثُّبٌ وَبِدَارُ (٣٤)

وَعَلَوْا لِنَيْلِ المَجْدِ كُلَّ مَطِيَّةٍ ... لَوْ كَانَ نَجْمًا فِي السَّمَاءِ لَطَارُوا (٣٥)

---

(٢٩) الغيل (بالكسر) : الشجر الكثير الملتف ، وهو موضع الآساد . والليوث : الآساد ؛ الواحد : ليث (بالفتح) . وبطشها : عدوانها فى شدة وصولة . جعل البيت غيلا وجعل أهله أسدا تهاب الأسود بطشهم .

(٣٠) خطار إلى غاياته ، أى ساع إليها فى تيه وإعجاب . ويزهى : يعجب . والصمصام : السيف لا ينثنى . والخطار : الرمح يضطرب لدونة . شبه الساعى منهم الى الغايات فى قوة نفاذه ومضائه بالسيف والرمح .

(٣١) الندب : الخفيف السريع فى الاغاثة . والحباء (بالضم ويكسر) : جمع حبوة (بالضم وبالفتح) ، وهو ثوب يشده العربى وهو جالس القرفصاء . وحل الحبوة كناية عن القيام ، كما يكنى بربطها عن القعود ، ويريد « بحل الحباء » : الاستعداد للحرب . والمغوار : الشجاع الكثير الغارة . أى أنه شجاع قوي الشوكة تتحاماه الشجعان .

(٣٢) حامت : حلقت ودارت . وفى حومان النسور دليل على كثرة قتلهم لأعدائهم ، فهى تحوم لتطعم من جثث القتلى . والأوكار : جمع وكر ، وهو العش . وفى ادعاء اتخاذ النسور أوكارا من الغبار دليل على كثافته ، ولا يكون هـذا الا لكثرة الجيش وشدة كرّه ؛ ودليل على طول صحبتها للجيش ، وفيه إشارة الى إثخانهم المستمر فى أعدائهم قتلا ، فهى لاتبرح الجيش لوفرة طعامها.

(٣٣) شمس العداوة : أى لايرجعون ولا ينثنون عن التنكيل بأعدائهم . والحسام المجرد : السيف المسلول من غمده . وانطوى : أى أدخل فى غمده ، وهو كناية عن السلم .

(٣٤) بدار : أى سرعة وتعجل ؛ ولا يدرك فى الحياة مراده إلا كل نهاز للفرصة متوثب مسرع . أى إنهم بحزمهم وصدق تقديرهم للأمور أخذوا العدة لأحداث الدهر قبل وقوعها فأمنوا شرها .

(٣٥) أى إنهم لم يتركوا للمجد سبيلا الا سلكوها .

الخالدون على الزمان وأهله ... تفنى الرجال وتخلد الآثار (٣٦)
جاءوا ومصر عفت معالم مجدها ... لا مصر مصر ولا الديار ديار (٣٧)
العلم يخفق للزوال سراجه ... والعدل مندك الذرا منهار (٣٨)
والناس في حلك الظلام يسوقهم ... نحو الفناء تخبط وعثار (٣٩)
فبدا (محمدكم) فهب صريعهم ... حياً ، كذاك البعث والإنشار (٤٠)
والتفت الرايات حول لوائه ... ودعا الغفاة إلى المسير فساروا (٤١)
وأعاد مجد الأولين بعزمة ... إيرادها لله والإصدار (٤٢)
إن النفوس تضيق وهي صغيرة ... ويضيق عنها الكون وهي كبار (٤٣)

---

(٣٦) الخالدون : الباقى ذكرهم لما لهم من جليل الآثار .

(٣٧) عفت : اندثرت وانمحت . ومعالم المجد : آثاره وما يستدل به عليه .

(٣٨) يخفق : يضطرب فى نوره . والذرا : جمع ذروة ، وهى من كل شىء أعلاه . ومنهار : متهدم .

(٣٩) العثار : التعثر فى الشىء ، لا تكاد تستوى حتى تقع . يشير بهذا البيت والبيتين قبله الى ما انحطت إليه مصر وما كانت تعانيه قبل محمد على باشا . فقد ضاع مجدها الأول ، واستحالت من أمة ناهضة إلى شعب خامد ؛ وأخذ العلم فى أسباب الزوال ، وعاش الناس فى ظلمات الجهل يتخبطون . والى طريق الفناء يسيرون .

(٤٠) محمدكم . أى محمد على باشا ابن ابراهيم أغا . جد الاسرة المالكة . ولد ببلدة قولة سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) . تطوع فى الحملة العثمانية الانجليزية التى جاءت لطرد الفرنسيين من مصر . وبقى فى مصر بعد جلاء الفرنسيين حتى صار واليا عليها . وإليه تعزى نهضتها فى مناحيها المختلفة . وكانت وفاته بالاسكندرية فى ١٣ من رمضان سنة ١٢٦٥ هـ ، ٢ من أغسطس سنة ١٨٤٩ م . ونقلت جثته الى القاهرة حيث دفنت بمسجده الذى شيده بالقلعة .

(٤١) اللواء : العلم يشير بهذا الشطر الى توحيده للصفوف . وجمعه للشمل . والغفاة . النائمون ، ويريد بهم المنصرفين عن الجد كسلا وخمودا . أى أنه خلق من الشعب الساكن حركة ونشاطا .

(٤٢) الايراد والاصدار : الفعل والترك ، أى إن جميع أعماله كانت خالصة لوجه الله .

(٤٣) يقول : إن النفس إذا هانت هانت آمالها وتضاءلت ، واذا عظمت وطمحت الى العلا عظمت آمالها ، وبات الكون أمامها على اتساعه لا يتسع لما تصبو اليه ولا ينفسح له .

فاروقُ ، عِيدُكَ هَزَّ أَدْوَاحَ الْمُنَى ... وتَعطَّرتْ بِعَبِيرِهِ الأَزْهارُ (٤٤)

اليُمْنُ يَسْطَعُ فى جَبِينِ نَهارِهِ ... والسَّعْدُ كَوْكَبُ لَيْلِهِ السَّيَّارُ (٤٥)

رَقَصَتْ به الرَّاياتُ باديةَ الْحُلَى ... الْحُبُّ رَنَّحها والاسْتِبْشارُ (٤٦)

مُتَلفِّتاتٍ حَوْلَ رَكْبِكَ حُوَّمًا ... لا يَسْتَقِرُّ لوَجْدِهِنَّ قَرارُ (٤٧)

مُتَدلِّلاتٍ ما عَرَفْنَ صَبَابَةً ... نَشْوَى وما لَعِبَتْ بِهِنَّ عُقَارُ (٤٨)

جَعَلَتْ سَمَاءَ النِّيلِ رَوْضًا أَخْضَرًا ... هَيْهاتَ مِنْهُ الرَّوْضَةُ المِعْطارُ (٤٩)

***

والنَّاسُ قَدْ سَدُّوا الفضاءَ كأنَّهم ... بَحْرٌ يعِجُّ عَجِيجُهُ زَخَّارُ (٥٠)

---

(٤٤) الأدواح : جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة الملتفة . أى أن عيدك أنعش الأمانى فاهتزت فيه حياة وبشرا ، كما تهتز الدوحة نضرة وانتعاشا . والعبير : الطيب . جعل طيب الأزهار من طيب يوم العيد مبالغة فى وصفه بذكاء الرائحة وحسنها .

(٤٥) اليمن : الخير والبركة .

(٤٦) بادية الحلى : أى ظاهرة الزينة والتجمل . ورنحها : أمالها وهزها . جعل الرايات وهى تخفق فى الهواء كأنها ترقص حبا وطربا .

(٤٧) حوماً : حائمة تدور به وتطيف . والوجد : الشوق وشدته . جعل الأعلام وهى تملأ الشوارع ، وتحيط بالركب أنى سار ، والريح تهزها ، كأنها لوجدها به وشوقها اليه تتلفت متطلعة إلى ركبه فى تسياره ، وهى تحوم حوله لا تكاد تستقر على حال .

(٤٨) متدللات ، من الدل ، وهو ما تظهره المرأة من تمنع مع رغبة. جعل الأعلام وهى تميل إلى الركب حينا ثم تميل عنه حينا آخر كمن بها دل . والصبابة : الشوق ورقته . ونشوى : سكرى . والعقار : الخمر، لمعاقرتها ، أى لملازمتها الدن . ظهرت الرايات فى تقاربها وتباعدها بمظهر المتدلل . وان كن لا يعرفن الصبابة ، وظهرن فى تمايلهن بمظهر من لعبت به الخمر ، وان كن لم يذقن خمرا .

(٤٩) سماء النيل : أى سماء مصر . يشبه سماء البلاد وقد ملأتها الأعلام الخضر بالروض . والروضة المعطار : التى تنفحك برائحة أزهارها الطيبة . جعل روضة الأعلام خيرا من روضة الأزهار ، لأن جمال الحب والولاء يزرى بجمال الأزهار .

(٥٠) يعج عجيجه : يرتفع صوت أمواجه المتلاطمة . والزخار : الذى فاض وطما . يشبه الناس فى كثرتهم واختلاف أصواتهم بالبحر الزاخر المضطرب .

لو صُبَّتِ الأَمْطَارُ صَبًّا فَوْقَهم ... ما مَسَّ مَوْطِئَ نَعْلِهِم أَمْطار (٥١)

مُتَجمِّعِين كأَنَّهم سِرْبُ القَطَا ... مُتَدفِّقِين كأَنَّهم أَنْهار (٥٢)

قَدْ لَوَّحوا بالرَّاحَتَيْنِ وزاحَمُوا ... وتَلفَّتوا بالنَّاظِرَيْنِ ومَارُوا (٥٣)

لهمُ دَوِيٌّ بالهُتافِ وضَجَّةٌ ... ولهمْ بصِدْقِ دُعائِهم تَهْدار (٥٤)

رفعُوا العَمَارَ وَبَعْثَرُوا أَزْهارَهم ... فالجَوُّ زَهْرٌ نَاضِرٌ وَعَمَار (٥٥)

حُبُّ المَلِيكِ الأَرْيَحِيِّ شِعَارُهم ... لو كَانَ يُنْسَجُ للوَلاءِ شِعار (٥٦)

قَرءوا السعادةَ فى جَبِينك أَسْطُرًا ... بِيَدِ المُهَيْمِن هذه الأَسْطار (٥٧)

ورَأَوْا شَبابًا كالْجُمَانِ يَزِينُه ... أَنَّى التَفَتَّ جَلَالَةٌ ووَقار (٥٨)

سُسْتَ القُلوبَ فنِلْتَ أَكْرَمَ وُدِّها ... وعَرَفْتَ بالإِحْسَانِ كيف تُثَار (٥٩)

---

(٥١) أى انهم لكثرتهم وتلاصقهم لا تنفذ الأمطار من بينهم الى الأرض .

(٥٢) السرب : الجماعة . والقطا : جمع قطاة ، وهى طائر فى حجم الحمامة ؛ صوته : قطا قطا . وقد يطلق على الحمام المشابهة . يصفهم فى تجمعهم وكثرتهم بأسراب القطا ، وباندفاعهم فى قوة وانصباب بتدفق النهر .

(٥٣) ماروا : تحركوا بسرعة جيئة وذهابا .

(٥٤) الدوى : الصوت الشديد . والتهدار : الصوت المرتفع .

(٥٥) العمار : الريحان ، وكانت تحيًّا به الملوك قديما ؛ الواحدة : عمارة (بالفتح) . يشير إلى كثرة ما نثروا من أزهار وورود تحية للملك .

(٥٦) الأريحى : الذى يرتاح للندى والمعروف . والشعار : الثوب الذى يلى الجسد . والولاء : الاخلاص والمحبة . أى لو صح أن ينسج من الولاء شعار لنسجوا من الحب والولاء لمليكهم شعارا .

(٥٧) المهيمن : من أسماء الله تعالى . أى أن الله كتب له السعادة فأشرق بها جبينه .

(٥٨) الجمان : اللؤلؤ ؛ يشبه شباب المليك به فى وضاءته وتألقه .

(٥٩) سست القلوب : أى كنت بها رفيقا . وكيف تثار ، أى كيف توقظ محبتها وإخلاصها لك .

وِمِنَ القُلوبِ حَدائقٌ بَسَّامَةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وِمِنَ القُلوبِ سَباسِبٌ وقِفارُ (٦٠)
مَنْ يَغْرِسِ الصُّنْعَ الْجَمِيلَ بِأُمَّةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فلَهُ من الشُّكْرِ الْجَمِيلِ ثِمَارُ (٦١)
لما رَأَوْكَ رأَوْا بَشاشاتِ المُنَى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ الوجْهُ نَضْرٌ والشَّبابُ نُضارُ (٦٢)
مُتَسَرْبِلاً ثَوْبَ الهُدَى مُتَواضِعاً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لِلّه ، لا صَلَفٌ ولَا اسْتِكْبارُ (٦٣)
نُورُ الإلَه يَدُور حَوْلَك هَالَةً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لم تَزْدَهِر بِمَثِيلها الأَقْمَارُ (٦٤)
فى مَوْكِبٍ للمُلْكِ يَخْتَلِبُ النُّهَى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وَتَتِيه فى تَصْوِيره الأَفْكَارُ (٦٥)
فَتَنَ العُيونَ الشَّاخِصاتِ بِسِحْرِه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ إِنَّ الجَمالَ لَفَاتِنٌ سَحَّارُ (٦٦)

*
* *

فاروقُ ، تاجُك رَحْمةٌ وسَعادةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لِلْوادِيَيْن وَعِزَّةٌ وَفَخَارُ (٦٧)
تَتَأَلَّق الآمالُ فى جَنَباتِه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ويَدُورُ نَجْمُ السَّعْدِ حَيثُ يُدارُ (٦٨)

---

(٦٠) بسامة : مشرقة بالنَّوْر والزهر ، والسباسب : المفازات لا ماء فيها ؛ الواحدة : سبسب . والقفار : الأرض المقفرة المجدبة ؛ الواحدة : قفر . يضرب لقلوب الناس مثلا فيقول : إن منها الخصب الذى يزدهر بالاحسان ، ومنها القفر الذى لا يصلحه شىء .

(٦١) ساق هذا البيت مساق الحكمة والمثل .

(٦٢) يكنى ببشاشات المنى عن إقبالها وتحققها . والبشاشات (فى الأصل) : جمع بشاشة ، وهى طلاقة الوجه وبشره . ونضر : حسن جميل . والنضار : الذهب أو الفضة ، وقد غلب على الأول .

(٦٣) متسربلا : لابسا . جعل الهدى لشموله إياه كالثوب . والصلف : التكبر .

(٦٤) الهالة : دائرة تحيط بالقمر . وتزدهر : تضىء وتتلألأ . أى إن الله أسبغ عليه نورا دونه نور هالة القمر .

(٦٥) يختلب النهى : يسلب العقول ؛ وواحدة النهى : نهية . وتتيه : تضل وتعيا .

(٦٦) فتن العيون: استمالها وجعلها تنصرف اليه إعجابا . والشاخصات : الناظرات اليه المتعلقة به .

(٦٧) الواديان : مصر والسودان .

(٦٨) تتألق : تشرق وتنير. وتألق الآمال : إقبالها . وجنباته : نواحيه . ويدور نجم السعد حيث يدار ، أى إن السعد ملازم له لا ينفك عنه .

ما نالَه (كِسْرَى) ولم يَظْفَر له ... بِمَاثِلِ يومَ الفَخارِ (نِزَارُ) (٦٩)
نورُ الجَبِينِ السَّمْحِ مازَجَ ضَوْءَه ... فتَشَابَه الأَضْوَاءُ والأَنْوَار (٧٠)

***

المُلْكُ فيكَ طَبِيعةٌ وَوِرَاثةٌ ... والمَجْدُ فيكَ سَليقَةٌ وَنِجَار (٧١)
أَعْلَيْتَ دِينَ اللهِ جَلَّ جَلالُه ... فَرَسَا له أَصْلٌ وطَالَ جِدَار (٧٢)
الدِّينُ نُورُ النَّفْسِ فى ظُلُمَاتِها ... والعَقْلُ يَعْثُرُ والظُّنُونُ تَحَار (٧٣)
بَيْنَ المَنَابِرِ والمآذِنِ بَهْجَةٌ ... وتَحدُّثٌ بِصَنِيعِكُم وَحِوَار (٧٤)
آياتُ نُبْلِكَ فى شَبابِكَ سُبَّقٌ ... للمَجْدِ لم يُشْقَقْ لهنَّ غُبَار (٧٥)
يَبْدو شَذَا الرَّيْحانِ أَوَّلَ غَرْسِه ... وَيَبِينُ قَدْرُ الدُّرِّ وَهْيَ صِغَار (٧٦)
فَتَحَتْ لكَ الدُّنيا كُنوزَ هِبَاتِها ... تَخْتَارُ مِنهَا اليَوْمَ ما تَخْتَار (٧٧)

---

(٦٩) كسرى (بكسر الكاف وفتحها) : لقب ملوك الفرس . ونزار : هو نزار بن معد ، وقبيله أشرف العرب أحسابا .

(٧٠) السمح : المتطلق بشرا . أى اجتمع نور الجبين ونور التاج فاختلطت الأنوار والأضواء .

(٧١) السليقة : الطبيعة . والنجار (بالكسر) : الأصل والحسب .

(٧٢) رسا : ثبت . وطال : ارتفع . شبه الدين بالبناء ثبتت أركانه وعلا بنيانه .

(٧٣) يعثر : يتخبط ولا يكاد يهتدى . وتحار : تقع فى حيرة وارتباك . أى إن الدين هو الذى يأخذ بيد الانسان من عثرات الضلالة وينقذه من شكوكه .

(٧٤) الحوار (بالفتح ويكسر) : مراجعة الكلام . يشير الى أيادى الممدوح على الدين .

(٧٥) سبق : سابقة . ولم يشقق لهن غبار ، أى لم تدرك لهن غاية ولا شأو .

(٧٦) شذا الريحان : رائحته العطرة التى تنبعث عنه . أى كما أن للريحان ريحا عطرة وهو لا يزال غرسا ، وللدر قيمته وإن بدا صغيرا ، فكذلك أنت لك شأنك العظيم ، ومنزلتك السامية ، على حداثة سنك . وفى مستهل عهدك .

(٧٧) أى إن الدنيا أقبلت عليك تأخذ منها ما تشاء وتختار .

يُمْنَاكَ يُمْنٌ لِلبِـلادِ وَرَحْمَةٌ   غَدَقٌ وَيُسْرَى رَاحَتَيْكَ يَسَار (٧٨)

بَهَرتْ رِجَالَ الغَرْبِ مِنكَ شَمَائِلٌ   خُلُقٌ أَغَرُّ وَرَاحَةٌ مِدْرَار (٧٩)

عَرَفُوا بِمَجْدِكَ مَجْدَ مِصْرَ وَنُبْلَهَا   وَتَحَـدَّثَتْ بِخَلَالِكَ السُّمَّار (٨٠)

وَغَدَوْتَ فَأْلاً لِلْعُلَا فَتَحَقَّقَتْ   فِيكَ الْمُنَى وَانْحَطَّتِ الآصَار (٨١)

وَتَخَطَّرتْ مِصْرٌ إِلَى فَارُوقِهَا   غَيْدَاءَ مَا شَانَ الْجَمَالَ إِسَـار (٨٢)

شَمَّاءَ يَحْنِى الدهرُ أَصْيَدَ رَأْسِهِ   لِجَـلَالِهَـا وَتُطَأْطِئُ الأَقْدَار (٨٣)

فَانْعَمْ بِمَا أُوتِيتَ وَاهْنَأْ شَاكِرًا   نِعَمَ الإِلَهِ فَإِنَّهُنَّ غِـزَار (٨٤)

لَا زِلْتَ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ مُتَوَّجًا   تَحْيَا بِكَ الأَوْطَانُ وَالأَوْطَار (٨٥)

---

(٧٨) رحمة غدق : أى كثيرة واسعة . واليسار : الجدة والغنى . أى أن بيديك البركة والاسعاد .

(٧٩) بهرت : أثارت العجب والدهشة . والشمائل : الطباع ؛ الواحدة : شمال (بالكسر) . والأغرّ : الحسن الجميل . ومدرار : كثيرة الخير والفيض والانعام .

(٨٠) الخلال : الخصـال ؛ الواحدة : خلة (بالفتح) . والسمار : المتحدثون ليلا ؛ الواحد : سامر . أى إن مجالس الناس ليلا تعمر بأحاديثك الطيبة .

(٨١) الآصار : أى الأعباء والأثقال التى كانت تنوء بها مصر ؛ الواحد : إصر (بالتثليث) .

(٨٢) تخطرت مشت فى تيه وعجب . والغيداء من النسـاء : اللطيفة الحسنة المتثنية لينا. شبه بها مصر وهى تتيه حرية واستقلالا فى عهد الممدوح. وشان الجمال : عابه وانتقص منه والاسار: القيد.

(٨٣) شماء : ذات أنفة وإباء . وأصيد رأسه ، أى رأسه الذى يميل كبرا وزهوا .

(٨٤) غزار : كثيرة .

(٨٥) الأوطار : الحاجات ذات البال والشأن ؛ الواحد : وطر (بالتحريك) .

ميلاد الفاروق

تهنئة جلالة مولانا المعظم (فاروق الأول) ملك مصر بعيد مولده وقد قيلت هذه القصيدة فى الحادى عشر من فبراير سنة ١٩٣٧

بَهَرَ الوُجُودَ بِلُؤْلُئِيِّ ضِيائِهِ ‏ ‏ نَجْمٌ تَأَلَّقَ فى بَدِيعِ سَمائِهِ (١)

لَبِسَ المَساءُ بِهِ غِلالَةَ مُسْفِرٍ ‏ ‏ حَتَّى كَأَنَّ الصُّبْحَ مِنْ أَسْمائِهِ (٢)

وَتَطامَنَتْ زُهْرُ الكَواكِبِ هَيْبَةً ‏ ‏ لِلْمُشْرِقِ الوَضَّاحِ فى عَلْيائِهِ (٣)

هَيْهاتَ ! أَيْنَ ضِياؤُها مِنْ ضَوْئِهِ ‏ ‏ وَسَناؤُها مِنْ بُعْدِ أَوْجِ سَنائِهِ ؟ (٤)

عَجَباً ! يَزِيدُ ظُهُورُهُ بِعُلُوِّهِ ‏ ‏ وَالنَّجْمُ يُعْرَفُ إِنْ عَلا بِخَفائِهِ (٥)

ما جالَ فى الآفاقِ أَصْدَقُ جَوْهَراً ‏ ‏ مِنْهُ وَأَصْفَى مِنْ نَقِيِّ صَفائِهِ (٦)

---

(١) بهر الوجود : أى إن ضوءه الغالب الفائق أدهشه وحيره . ويريد « بالنجم » : فاروق . شبهه به فى السنا والرفعة . وتألق : أضاء وأشرق . جعل ظهوره فى سماء الملك كظهور النجم فى سمائه .

(٢) الغلالة (بالكسر) : شعار يلبس تحت الثوب . والمسفر : الضىء المشرق . جعل الليل وقد انتشر ضياؤه كأنه يلبس غلالة من نور . يقول : إن الليل بدا بنور هذا الممدوح وضاء مشرقا ، حتى إنك لو سميته صبحا ما عدوت الحقيقة فى التسمية .

(٣) تطامنت : ذلت وخضعت . وزهر الكواكب : الكواكب المشرقة الوضاءة . وهيبة خشية . والوضاح : الناصع المتألق . ويريد بالمشرق الوضاح الممدوح .

(٤) هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد . والسناء (بالمد) : الرفعة . والأوج : العلو . يقول : بعدت هذه النجوم عن أن تلحق به فى ضوئه ، أو تبلغ شأوه فى رفعته وعلو مكانته .

(٥) أى أن هذا الممدوح يزيده علو المنزلة شهرة ورفعة ، على حين أن النجم كلما زاد علوا زاد خفاء وتضاءل قدره .

(٦) جوهر الشىء : مبناه ومتكونه .

يَلْقَاكَ نُورُ الْحَقِّ فِى لَمَحَاتِه ... وَيَفِيضُ مَاءُ الْبِشْرِ مِنْ لَأْلَائِه (٧)
أَيْنَ النُّجُومُ جَلَالُهَا وَرُوَاؤُهَا ... مِنْ عَبْقَرِىِّ جَلَالِهِ وَرُوَائِه ؟ (٨)

* * *

نَجْمٌ أَطَلَّ عَلَى الْوُجُودِ فَكَبَّرَتْ ... زُمَرُ الْوُجُودِ وَهَلَّلَتْ لِلِقَائِه (٩)
وَرَنَتْ لَهُ الْآمَالُ ظَمْأَى حُوَّمًا ... مَعْقُودَةً أَبْصَارُهَا بِرَجَائِه (١٠)
وَالنِّيلُ سَارَ يَجُرُّ مِنْ أَذْيَالِهِ ... تِيهًا وَيَمْرَحُ فِى مَدَى خُيَلَائِه (١١)
يَخْتَالُ مَا بَيْنَ الرِّيَاضِ وَكُلُّهَا ... مِنْ نَسْجِ كَفَّيْهِ وَمِنْ إِيحَائِه (١٢)
وَيُفَتِّحُ الْأَزْهَارَ فِى أَكْمَامِهَا ... وَيُنَبِّهُ الْقُمْرِىَّ مِنْ إِغْفَائِه (١٣)

---

(٧) اللمحات : جمع لمحة ، وهى (هنا) بمعنى الضوء والنور . واللألاء : النور (أيضا) . جعل نور الحق من نوره ، وجعل للبشر والطلاقة ماء يفيض من ضوئه .

(٨) الرواء : حسن المنظر . وعبقرى جلاله : أى جلاله الذى بلغ من الكمال حدا ليس بعده حد .

(٩) الزمر : جمع زمرة ، وهى الفوج والجماعة. وهللت : أى رفعت الصوت باسمه والدعاءله.

(١٠) رنت : أدامت النظر اليه (وفعله من باب نصر) . وحوما : عطاشا ، أى كأن الآمال لا تجد من يبل أوامها بتحقيقها غيره ، فهى لذلك ناظرة اليه . و «معقودة ١٠لخ» : أى كأن أبصار الآمال قد عقدت برجائه لا تنفك عنه فهى لا ترجو لنفاذها وتمامها سواه .

(١١) تيها : عجبا وفخرا . ويمرح : يتبختر ويختال . ومدى الشىء : غايته ونهايته . والخيلاء : العجب . جعل النيل ، وفروعه تنسحب خلفه فى هوادة ، كمن يجر ذيوله على الأرض تيها واعجابا.

(١٢) من إيحائه ، أى من وحى روحه ومن نفحاته .

(١٣) الأكمام : جمع كم (بالكسر) ، وهو وعاء الطلع وغطاء النور . والقمرى : ضرب من الحمام . والاغفاء : النوم . يقول : إن النيل وهو يمر بين هذه الرياض تروى منه الأزهار فتتفتح وتشق أكمامها ، وينتعش القمرى فيهب من نومه مغردا .

يُصغِى إِلَيْه يَهُزّ أَعْطَافَ الدُّجَى ... وَيُجدِّدُ الآمَالَ سِحْرُ غِنَائِه (١٤)

(إِسْحَاقُ) لم يُوهَبْ عُذوبةَ صَوْتِهِ ... وَ(عِنَانُ) لم تُمنَحْ جَمَالَ أَدَائِه (١٥)

أَيْنَ الصِّنَاعَةُ والفُنُونُ وما حَوَتْ ... فى جَنْبِ صُنْعِ اللهِ فى أَحْيائِه؟ (١٦)

النِّيلُ بالفَارُوقِ أَعْذبُ مَوْرِدًا ... ماءُ الحَيَاةِ ثُمَالَةٌ مِنْ مَائِه (١٧)

علّمتَه صِدْقَ الوَفَاءِ فَأَصْبَحَتْ ... تَتَحدَّثُ الدُّنْيَا بِصِدْقِ وَفائِه (١٨)

وَمَنَحْتَه خُلُقَ العَطَاءِ فَغَرَّدَتْ ... صَدَّاحَةُ الوَادِي بِفَضْلِ عَطَائِه (١٩)

لمّا عَلَوْتَ مَطَاهُ صَفَّقَ مَوْجُه ... بِشْراً وَأَسْكَتَ وَجْدَه بِرُغَائِه (٢٠)

---

(١٤) يصغى اليه ، أى يستمع النيل الى القمرى . الأعطاف : جمع عطف ، وهو الجانب والناحية . والدجى : الظلام .

(١٥) اسحاق : هو ابن ابراهيم الموصلى ، وهو مغن عباسى معروف بجودة الغناء والضرب. وعنان : جارية للناطفى مولدة من مولدات اليمامة ، وبها نشأت وتأدبت ، وكانت جميلة شكلة ، مليحة الأدب والشعر ، سريعة البديهة ، وكانت مغنية مشهورة بحسن أدائها . ماتت بخراسان فى عهد الرشيد . والأداء : التوقيع .

(١٦) يقول : إن الفرق شاسع بين صنع الانسان وصنع الله .

(١٧) ثمالة من مائه ، أى فضلة منه . يقول : إن النيل الذى فيه حياة مصر يزداد بهذا الممدوح عذوبة فوق عذوبته .

(١٨) الوفاء : إنجاز الوعد . ووفاء النيل : زيادة مائه .

(١٩) منحته : وهبت له وأعطيته . وصداحة الوادى : بلابله وأطياره المغردة فى أرجائه. يقول فى هذا البيت والذى قبله : إن النيل قد تعلم من الممدوح صدق الوفاء فى غدواته وروحانه ، فهو يفيض فى موعد لا يخل به ولا يتأخر عنه ، حتى أصبح فيه مضرب المثل وحديث الناس ؛ كما قد تعلم منه الكرم والعطاء ، فجاد على هذا الوادى بالماء والخصب . وقد جعل الطير فى تغريدها كأنها تتحدث بآلائه ونعمه .

(٢٠) المطا : المتن والظهر . ورغاؤه : صوت أمواجه يشبهها برغاء البعير . جعلها كتأوهات المشوق الذى يحبس وجده فى نفسه . يشير الى رحلة (الفاروق) الى الوجه القبلى سنة ١٩٣٧ فى النيل ، وهى السنة التى قال فيها الشاعر هذه القصيدة . يقول : إنك لما علوت ظهر النيل صفقت أمواجه بشرا وفرحا ، وقد كان به وجد وشوق فلما ركبته كتم ذلك فى جوفه فنم عليه خريره .

يَبْدُوا السَّفِينُ بِهِ كَمَا تَبْدُو الْمُنَى ... لِلْيَائِسِ الْحَيْرَانِ فِى ظَلْمَائِهِ (٢١)
أَوْ كَالْحَيَاةِ تَدِبُّ فِى جِسْمِ امْرِىءٍ ... أَفْنَتْ شِكَايَتُهُ فُنُونَ إِسَائِهِ (٢٢)
أَوْ كَالصَّبَاحِ لِمُدْلِجٍ خَبَطَ الدُّجَى ... فَطَوَاهُ وَادِى التِّيهِ فِى أَحْشَائِهِ (٢٣)
أَوْ كَالْغَمَامِ رَأَتْهُ أَزْهَارُ الرُّبَا ... مِنْ بَعْدِمَا احْتَرَقَتْ لِطُولِ جَفَائِهِ (٢٤)
أَوْ كَابْتِسَامِ السَّعْدِ بَعْدَ قُطُوبِهِ ... أَوْ كَانْقِيَادِ الدَّهْرِ بَعْدَ إِبَائِهِ (٢٥)
يَجْرِى السَّفِينُ وَفَوْقَهُ الْمَلِكُ الَّذِى ... صَفِرَتْ يَدُ الْأَيَّامِ مِنْ نُظَرَائِهِ (٢٦)
الدِّينُ وَالْأَخْلَاقُ مِلْءُ جَنَانِهِ ... وَجَلَالَةُ الْأَمْلَاكِ مِلْءُ رِدَائِهِ (٢٧)

---

(٢١) يبدو : يظهر .

(٢٢) الاساء : جمع آس ، وهو الطبيب .

(٢٣) المدلج : الذى يسير فى أول الليل ، وقد يستعمل لمن يسير فى آخره . وخبط الدجى : أى سار فى ظلام الليل على غير هدى . والتيه : ما يتيه فيه الانسان ويضل .

(٢٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المرتفع من الأرض . واحترقت : جفت ظمأ وعطشا .

(٢٥) القطوب : العبوس والتجهم . وإباؤه : امتناعه وشموسه . يشبه فى هذا البيت والأبيات الأربعة قبله مقدم السفين ، تحمل الممدوح ، بالمنى تشرق لليائس ، وبالحياة تسرى فى جسم أضنته الآلام ولم تفلح فيه حيل الأطباء وضروب الدواء ، وبالصباح يرسل ضوءه لتائه فى مفازة يضرب فى ظلامها على غير هدى ، وبالغمام يحمل الماء لأزهار الربا بعد ما جف عودها وذبلت أوراقها — وخص أزهار الربا لأنها لعلو مكانها لا تروى بغير ماء الغمام — كما شبه السفين عليها الممدوح بالسعد يقبل بعد ما أدبر ، وبالدهر يسلس قياده بعد امتناع وإباء .

(٢٦) صفرت : خلت . أى إن الأيام لم تحظ بمليك مثله .

(٢٧) الجنان : القلب . والأملاك : الملوك ؛ الواحد : ملك (بفتح الميم مع إسكان اللام وكسرها) . أى إن قلبه قد ملىء دينا وورعا وفاض بجلائل الأخلاق ، كما انطوى رداؤه على جلال الملك وأبهة السلطان .

يَهْتَزُّ فى بُرْدِ الشَّبَابِ كَأَنَّه سَيْفٌ يُدِلُّ بِمَائِه وَمَضَائِه (٢٨)
وَالنِّيلُ يَجْتَازُ المُرُوجَ مُبَشِّرًا فَتُرَدِّدُ الأَطْيَارُ مِنْ أَصْدَائِه (٢٩)
وَخَمَائِلُ الوَادِي تَمُدُّ غُصُونَهَا وَتَوَدُّ لَوْ فَازَتْ بِلَمْحِ ضِيَائِه (٣٠)
قَالُوا لَهَا جَاءَ الْغَمَامُ فَأَقْبَلَتْ تَسْتَقْبِلُ الآمَالَ فى أَنْدَائِه (٣١)
وَالزَّهْرُ يَخْتَرِقُ الكِمَامَ لِنَظْرَةٍ فَيَرُدُّه لِلْكِمِّ فَرْطُ حَيَائِه (٣٢)
قَدْ كَانَ يَزْهَى فى الرِّيَاضِ بِحُسْنِه فَرَأَى بَهَاءً فَوْقَ حُسْنِ بَهَائِه (٣٣)
وَرَأَى نُضَارًا مِنْ شَبَابٍ يَنْجَنِي أَزْهَى الغُصُونِ نَضَارَةً بِإِزَائِه (٣٤)
سَعِدَ (الصَّعِيدُ) وَأَهْلُه بِزِيَارَةٍ بَلَّتْ غَلِيلَ الشَّوْقِ فى أَرْجَائِه (٣٥)

---

(٢٨) برد الشباب : إهابه . والبرد (فى الأصل) : الثوب . جعل مسحة الشباب التى يظهر بها الانسان كالبرد . ويدل : من الدلال ، وهو التيه والعجب . وماء السيف : بريقه ولمعانه . ومضاؤه : حدته وسرعة قطعه . يشبهه وهو فى عنفوان الشباب وقوة العزيمة بالسيف المصقول القطاع الذى لا يعرض له شىء إلا قطعه ونفذ فيه .

(٢٩) المروج : المواضع المعشبة المخضرة بالنبات والزرع . والأصداء : جمع صدى ، وهو ما يرجع على المصوت بمثل صوته . جعل النيل وهو ينساب فى المروج كأنه يبشر بمقدم المليك فتردد الأطيار هذه البشرى .

(٣٠) الخمائل : الأشجار الكثيرة الملتفة . جعل تثنى الأشجار بغصونها كالتى تزاحم غيرها لتتخذ منفذا كى تحظى بلمح ضياء هذا الممدوح .

(٣١) شبهه بالغمام فى عموم فيضه . والأنداء : جمع ندى ، وهو المطر .

(٣٢) الكمام : جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور . يدعى أن الزهرات تحاول أن تنفذ من مخبئها لتتمتع بالنظر الى الممدوح فيغلبها الحياء فترجع اليه .

(٣٣) يزهى : يتيه ويدل .

(٣٤) النضار : الذهب . شبه شباب الممدوح به فى تألقه ونضرته . يقول فى هذا البيت والذى قبله : ان الأزهار كانت تتيه فى الرياض عجبا وزهوا فلما رأت طلعة الفاروق رأت بهاء فوق بهائها ، كما رأت شبابا يزرى بالغصون نضارة وترارة .

(٣٥) بلت : أروت وأطفأت . وغليل الشوق : حرارته وشدته . أرجاؤه ، أى نواحى الصعيد ، ويريد سكان نواحيه المختلفة .

سَالَتْ إِلَيْكَ بِهِ المَدَائِنُ والقُرَى وَالبَدْرُ يُغْرِي العَيْنَ بِاسْتِجْلَائِهِ (٣٦)
سَدُّوا الشِّعَابَ وَأَقْبَلَتْ أَرْسَالُهُمْ كَالزَّاخِرِ الْهَدَّارِ فِي ضَوْضَائِهِ (٣٧)
مَا بَيْنَ حَامِلِ قَلْبِهِ بِيَمِينِهِ وَمُثَوِّبٍ هَزَّ الرُّبَا بِدُعَائِهِ (٣٨)
فَانْظُرْ إِلَى الوَادِي الفَسِيحِ فَهَلْ تَرَى إِلَّا قُلُوبًا فِي فَسِيحِ فَضَائِهِ ؟ (٣٩)
كُلٌّ دَعَاهُ الشَّوْقُ فَانْتَهَبَ الخُطَا فِي نَظْرَةٍ تَشْفِيهِ مِنْ بُرَحَائِهِ (٤٠)
وَطَلَعْتَ كَالْأَمَلِ الوَسِيمِ يَحُفُّهُ نُورُ المَهَابَةِ فِي جَلَالِ جَلَائِهِ (٤١)
كَالبَدْرِ فِي إِشْرَاقِهِ ، وَالرَّوْضِ فِي إِزْهَارِهِ ، وَالغَيْثِ فِي إِسْدَائِهِ (٤٢)
فِي مَوْكِبٍ بَهَرَ الزَّمَانَ فَحُيِّرَتْ عَيْنَاهُ بَيْنَ جَمَالِهِ وَسَرَائِهِ (٤٣)

---

(٣٦) به ، أي بالصعيد ، ويريد « بسيلان المدن والقرى » : كثرة من وفدوا وحضروا الى لقائه منها ، فهم فى انتشارهم وتزاحمهم كالسيل يفيض فيعم الأرض . ويغرى : يجذب . واستجلاؤه ، أى النظر اليه . أى كما أن طلعة البدر تحمل الناس على التوجه اليها بالنظر، كذلك كنت أنت حافزا للناس على تدفقهم اليك .

(٣٧) الشعاب ، أى الطرق والمنافذ . والارسال : الجماعات ؛ الواحد : رسل (بالتحريك) . والزاخر الهدار : البحر الذى قد طمت مياهه واشتد صوت خريره . يشبّه جموع المستقبلين فى كثرتهم وجلبتهم بالبحر الزاخر فى هيجانه .

(٣٨) كنى « بحمل القلب باليمين » عن الولاء والاخلاص والطاعة . ويريد« بالمثوب »: الهاتف الداعى الذى يلوح بمـا فى يده من علم أو غيره . والربا : ما ارتفع من الأرض . يريد أن مستقبليه جاءوا يقدمون الولاء والطاعة رافعين أصواتهم بالدعاء ، الذى هز الربا بقوته وتعدد أصواته .

(٣٩) الفسيح : المتسع . جعل الناس لشدة اخلاصهم قلوبا نابضة بمحبته .

(٤٠) انتهب الخطا : أسرع عدوا . والبرحاء : ما يعانيه المشوق من شدة الشوق والوجد .

(٤١) الوسيم : الحسن الجميل . ويحفه : يحيط به . وجلاؤه : حسن إشراق طلعته .

(٤٢) شبهه بالبدر فى إشراقه ، والروض فى إزهاره ، والغيث فى عطائه ، لأنها أحسن ما تكون فى هذه الأحوال الثلاث .

(٤٣) السراء : الشرف والرفعة . يصف به مظهر الموكب فى سموه . أى أن عظمة الموكب وجماله وكلاهما بهر الزمان فنظره متنازع بينهما .

عَجَزَ المُؤَرِّخُ أَنْ يَرَى أَشْبَاهَه فِيما طَوَاه الدَّهْرُ مِنْ أَنبائِهِ (٤٤)
ما نَالَه (المَنْصُورُ) فى (بَغْدَادِه) يَوْماً ولَا الأَمْلَاكُ مِن خُلَفَائِه (٤٥)
وَ(النِّيلُ) لم يَشْهَدْ جَلَالَةَ حَفْلِه فِي عَهْدِ (خَفْرعِهِ) ولَا (مِينائِه) (٤٦)

*
* *

أَرَأَيْتَ آثَارَ المُلوكِ وَما بَنَوْا مِمَّا يَضِيقُ الجِنُّ عَنْ إِنْشَائِه ؟ (٤٧)
وُلِدُوا وَشَمْسُ الأُفْقِ فى رَيْعَانِها وَالدَّهرُ يَرفُلُ فِي ثِيَابِ صِبَائِه (٤٨)
دَرَسُوا كِتَابَ الكَوْنِ أَوَّلَ طَبْعَةٍ وَوَعَوْه مِنْ أَلِفِ الوُجُودِ لِيَائِه (٤٩)
وَأَتَوْا مِنَ الإِعْجَازِ ما تَرَكَ النُّهَى حَيْرَى فَلَمْ تَمْلِكْ سِوَى إِطْرَائِه (٥٠)

---

(٤٤) طواه : ضمه ووعاه . وأنباؤه : أخباره .

(٤٥) المنصور : هو أعظم خلفاء الدولة العباسية والمؤسس الحقيقى لها ؛ وفى عصره صارت بغداد أزهى مدن الدنيا وانتشرت بها الحضارة وارتقت العلوم . وولد المنصور سنة ٩٥ هـ ، وولى الخلافة سنة ١٣٦ هـ ، وتوفى بمكة سنة ١٥٨ هـ .

(٤٦) خفرع : هو أحد فراعنة مصر ومشيد هرم الجيزة الثانى . ويريد « بمينائه » : مينا ، أول الجالسين على عرش مصر بعد توحيد كلمتها وضم مصر السفلى الى العليا . يقول فى هـذا البيت والبيتين قبله : إن موكبه مفرد فى بهائه وجلاله ، لم يحظ بمثله العرب فى أوج عزهم ومجدهم ، ولا الفراعنة الأقدمون على ما كان لهم من بطش وقوة . وخص عهد المنصور وخفرع ومينا لما امتازت به هذه العهود من جاه وعزة .

(٤٧) يضيق الجن عن إنشائه : يعجزون عنه ولا يقوون عليه .

(٤٨) ريعانها : اكتمالها وقوتها . ويرفل فى ثياب صبائه ، أى يجر ذيل فتوته متبخترا . يقول : إنهم نشأوا والزمان فى شبابه وقوته ، وهذا أبلغ ما يوصف به المجد القديم .

(٤٩) أى أنهم كانوا أول من ألم بعلوم الكون ولم يفتهم منها شىء .

(٥٠) النهى : العقول ؛ الواحدة : نُهية ، وسمى العقل بها ، لأنه ينهى عن القبيح وعن كل ما ينافى الحق والصواب . واطراؤه : حسن الثناء عليه والمبالغة فى مدحه .

ذَهَبُوا ولَمْ تَذْهَبْ صَحَائِفُ مَجْدِهِمْ ... وَطَواهُمُ المِقْدَارُ فى أَطْوَائِهِ (٥١)
المَجْدُ فى الدُّنْيَا سِجِلٌّ خَالِدٌ ... تَتَعَاقَبُ الأَجْيَالُ مِنْ قُرَّائه (٥٢)

*
* *

(فَارُوقُ) أَنْتَ مَنَاطُ آمَالِ الحِمَى ... وَسُلَالَةُ الأَمْجَادِ مِنْ نُصَرَائه (٥٣)
أَعْلَى أَبُوكَ بِنَاءَ (مِصْرَ) فزاحَمَتْ ... زُهْرَ الكَوَاكِبِ رَاسِيَاتُ بِنَائه (٥٤)
وَأَرَى (فُؤَادًا) فِيكَ فى قَسَمَاتِه ... وَمَضَائِه وَذَكَائه وَسَخَائه (٥٥)
تَبْدُو أَيَادِي الغَيْثِ فى زَهْرِ الرُّبَا ... وَيَعِيشُ سِرُّ المَرْءِ فى أَبْنَائه (٥٦)
أَشْرِقْ عَلَى الوَادِي فأَنْتَ حَيَاتُه ... وَعِمَادُ نَهْضَتِه وَمَجْدُ لِوَائه (٥٧)
أَحْيَيْتَ دِينَ اللهِ فى مِحْرَابه ... شُكْرًا عَلَى ما تَمَّ مِنْ نَعْمَائه (٥٨)

---

(٥١) المقدار : القدر (بالتحريك) . وأطواؤه : ثناياه . أى انهم ذهبوا ومضوا وتاريخهم المجيد خالد من بعدهم .

(٥٢) السجل : ما تسجل فيه الأعمال . والأجيال : جمع جيل ، وهم أهل الزمان الواحد .

(٥٣) مناط الآمال : حيث تتجه وتجتمع .

(٥٤) أبوك هو المغفور له الملك أحمد فؤاد الأول . والراسيات : الثابتة المكينة . ويريد بها منشآت مصر العلمية فى عهده . أى إنه نهض بمصر وكان له فيها من الآثار ما يسامى الكواكب علوا .

(٥٥) القسمات : جمع قسمة (بكسر السين وفتحها) وهى الحسن . والمضاء : حدة العزم ، والنفاذ فى الأمور . والسخاء : الكرم والعطاء . أى انك صورة من أبيك فى جمال طلعته ، وقوة عزيمته ، وذكائه وعطائه .

(٥٦) أى كما يظهر سر الغيث فى الأزهار كذلك يظهر سر الآباء فى الأبناء . وخص « الربا » لأنها لا تروى الا من الغيث .

(٥٧) عماد نهضته : أى قوامها الذى تقوم عليه . واللواء : العلم . واذا عز اللواء عزت البلاد بعزه .

(٥٨) المحراب : مقام الامام فى المسجد . يريد بيوت الله حيث يعبد ويصلى له .

وَوَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ وِقْفَةَ خَاشِعٍ ... يَرْجُو مَثُوبَتَهُ وحُسْنَ جَزَائِهِ (٥٩)
الدِّينُ طِبُّ النَّفْسِ مِنْ آلامِهَا ... وَهِدَايَةُ الْحَيْرَانِ فِي بَيْدَائِهِ (٦٠)
ما أَجْمَلَ التَّوْفِيقَ فِي شَرْخِ الصِّبَا ... والعُمْرُ فَيَّاضُ السَّنَى بِفَتَائِهِ ! (٦١)

*
* *

لِلّهِ مَوْلِدُكَ السَّعِيدُ وَيَوْمُهُ ... وَتَسَابُقُ الآمَالِ فِي أَجْوَائِهِ (٦٢)
يَوْمٌ بِهِ بَسَطَ السُّرُورُ شُعَاعَهُ ... وَأَعَارَ ثَوْبَ صَبَاحِهِ لِمَسَائِهِ (٦٣)
يَوْمٌ أَغَرُّ كَأَنَّ صَفْوَ سَمَائِهِ ... صَفْوُ النَّعِيمِ بِظِلِّهِ وَرَخَائِهِ (٦٤)
يَوْمٌ سَرَتْ فِيهِ البَشَائِرُ حُوَّمًا ... تَفْضِي إِلَى الدُّنْيَا بِسِرِّ عَلائِهِ (٦٥)

*
* *

مَوْلاىَ عَهْدُكَ فِي البِلادِ مُؤَزَّرٌ ... بِاليُمْنِ فَاهْنَأْ فِي مَدِيدِ هَنَائِهِ (٦٦)

---

(٥٩) المثوبة : الثواب .

(٦٠) طب النفس (بالكسر ، والفتح والضم لغتان فيه) : علاجها . والبيداء : الفلاة الواسعة يضل فيها الانسان . جعل الشاك ضعيف الايمان ، كالحيران التائه في البيداء .

(٦١) شرخ الصبا : أوله وريعانه . والفتاء : الشباب .

(٦٢) نسب مولده الى الله لأنه خير وسعادة لمصر ، وجعل الآمال فيه طيور يمن تتسابق في الظهور .

(٦٣) يقول : ان شعاع السرور جعل اليوم كله نورا ، لا فرق بين صباحه ومسائه .

(٦٤) يوم أغر ، أى حسن زاه مشرق . وصفو النعيم : خالصه الذى لا يشوبه ما يعكره . والرخاء : سعة العيش ولينه .

(٦٥) حوما ، أى تدور طائرة وتطيف . وتفضى : تذيع وتنشر .

(٦٦) مؤزر باليمن ، أى إن اليمن ، وهو الخير والبركة ، قوة ونصير وعون لعهدك . ومديد هنائه ، أى هناؤه الطويل المدى ، البعيد الغاية ، الذى لا تدرك له نهاية .

قطفتْ به (مِصْرُ) جَنَى اُسْتِقْلالِهَا وأَظَلَّهَا المُمْتَدُّ مِنْ أَفْيَائِهِ (٦٧)
وأَطَاحَتْ القَيْدَ العَنِيفَ وطَالَمَا عاذَتْ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ إِيذَائِه (٦٨)
والشُّكْرُ فى السَّرَّاءِ يَعْظُمُ كُلَّمَا ذَكَرَ الفَتَى مَا مَرَّ مِنْ ضَرَّائه (٦٩)
مَولَاى ، عِشْ للمُلْكِ نَجْمَ سُعُودِه وَارفَعْ لِوَاءَ المَجْدِ فى أَنْحَائه (٧٠)
أَنْتَ الَّذِى تَحْيَا المُنَى بحيَاتِهِ وتَسُودُ (مِصْرُ) وتَعتَلِى بِبَقَائِه (٧١)

---

(٦٧) جنى استقلالها : أى ثمرته . والأفياء : الظلال ؛ الواحد : فىء . يشير الى ما حققته مصر من استقلالها ، فنى عهده أمضيت المعاهدة .

(٦٨) أطاحت القيد : حطمته وألقت به . وعاذت : استعاذت وامتنعت .

(٦٩) السراء : نعيم العيش . والضراء : ضده .

(٧٠) نجم سعوده : أى طالع يمنه وسعادته . وللعرب نجوم سعد يتفاءل بها ويتيمن . وسعود النجوم عندهم عشرة ، منها : سعد السعود ؛ ويقال فيه : إذا طلع سعد السعود نضر العود.

العيدُ المِئَوِىّ

احتفلت وزارة المعارف المصرية في اليوم الثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٣٧ بعيدها المئوى ، وقد أنشدت هذه القصيدة في هذا اليوم بدار الأوبرا الملكية في حشد حافل جمع عظماء مصر وكبار علمائها وأدبائها * .

أَخْرَجَ الرَّوْضُ أَطْيَبَ الثَّمَرَاتِ … هَاتِ مَاشِئْتَ مِن قَرِيضِكَ هَاتِ (١)

زَهَرَاتٌ تَتِيهُ بِالغُصْنِ زَهْوًا … وَغُصُونٌ تَتِيهُ بِالزَّهَرَاتِ (٢)

صَيَّرَتْ صَفْحَةَ الرِّيَاضِ سَمَاءً … وَتَجَنَّتْ فِيهَا عَلَى النَّيِّرَاتِ (٣)

لَمْ تُفَارِقْ كِمَامَهَا ، وَشَذَاهَا … يَنْشُرُ الطِّيبَ فِي جَمِيعِ الجِهَاتِ (٤)

(*) قدم الشاعر بين يدى غرضه أبياتا وصف فيها روضا أغنّ أفيح ، جاد بأطيب الثمرات ، ومختلف الأزهار ، بفضل أيد تعهدته وجهود بذلت في العناية به . ثم ثنى بذكر غرضه مشبهاً وزارة المعارف وجهد رجالها بالروض ، والأيدى العاملة فيه ؛ ومشبها آثارها في تهذيب الناشئين بجنى الروض وثمراته . ولا يخفى ما في هذا من حسن البدء والمدخل وجمال المخلص .

(١) القريض : الشعر ، فعيل بمعنى مفعول ، لأنه اقتطاع من الكلام . يقول : إن فيما جاد به الروض من ثمرات طيبة شهية ما يحفز الشعراء للقول ، فهو يطلب الى نفسه أن تفيض قريضا وشعرا في وصف ذلك .

(٢) تتيه : من التيه ، وهو الزهو والاختيال . يريد أن كلا من الأزهار والأغصان حسن جميل.

(٣) تجنت : طغت وعلت . والنيرات : الكواكب المنيرة المضيئة . جعل الزهرات في اشراقها ونضرتها كواكب أحالت أديم الغبراء المخضر رقعة سماء ، ثم ادعى أن هذه الزهرات في سمائها الدنيا تزرى بتلك النيرات في سمائها العليا .

(٤) الكمام : جمع كم (بكسر الكاف فيهما) ، وهو وعاء الطلع وغطاء النور . والشذا : قوة ذكاء الرائحة وسطوعها .

تَرْهَبُ الرِّيحُ أَنْ تَخدَّ لَهَا خَــدًّا فتَجْرِى فى خَشْيَةٍ وَأَنَاةِ (٥)
مُصْغِيَاتٌ إِذَا الْحَمَائِمُ رَنَّتْ بَيْنَ تِلْكَ الْخَمَائِلِ النَّضِرَاتِ (٦)
ضَاحِكَاتٌ إِذَا بَكَى عَابِسُ الغَيْــثِ وفاضَتْ عَيْنَاه بِالعَبَرَاتِ (٧)
وإِذَا ما جَرَى الغَـدِيرُ تدانتْ لتُحَيِّى الغَـدِيرَ بِالقُبُـلاتِ (٨)
إِنَّ لِلرَّوْضِ فى مَعَانِيـه حُسْنًا فَوْقَ حُسْنِ المَلاَمِحِ الفَاتِنَاتِ (٩)
كَمْ مِنَ الزَّهْرِ فِيه مِنْ سِحْرِ عَيْنٍ ومِنَ النَّبْتِ فيه مِنْ قَسَمَاتِ ! (١٠)
فانْظُرِ الرَّوْضَ لَا تَرَى غَيْرَ تِبْرٍ مِنْ تُرَابٍ ودُرَّةٍ مِن حَصَاةِ (١١)

---

(٥) ترهب : تهاب وتخشى . وتخدّ : أى تجرح وتخدش . ولهـا ، أى للزهرات . والخد ، من الوجه معروف ، شبه به صفحة الزهرة . والخشية : الخشوع . وأناة ، أى سكون وهوادة . يقول : إن هذه الريح تجرى بين هذه الزهرات فى لين وهدوء، وفى غير عصف وشدة خشية أن تؤذيها.

(٦) الحمائم : جمع حمـام ، وهو طائر بعينه ؛ وقيـل هو كل ذى طوق من الطير ، من نحو الفواخت والقمارى ، وساق حر ، والقطا ، والوراشين ، وأشباه ذلك ؛ الواحدة : حمامة ، والتاء فيه للدلالة على الوحدة لا للتأنيث . ورنت : رفعت صوتها ساجعة مغنية . والخمائل : الأشجار الكثيرة الملتفة . والنضرات ذوات النضرة ، وهى الحسن والبهاء . جعل سجع الأطيار فى عذوبته وحلاوته كأنه يملك على الأزهار سمعها فهى فى سكونها كالمصغية إليه .

(٧) يريد « بضحك الأزهار » : تفتحها . والغيث : المطر . وفاضت : سالت . والعبرات : الدموع ؛ الواحدة : عبرة ، شبه بها قطرات المطر . يصف اشراق الأزهار ونضرتها غب المطر .

(٨) الغدير : النهر . وتدانت ، أى مالت وقربت . جعل الأغصان بما عليها من أزهـار وانعطافها نحو الغدير بفعل النسيم ، كأنها تنثنى لتقبل صفحته تحية .

(٩) الملامح (هنا) : ما بدا من محاسن الوجه . والفاتنات : الجذابة الساحرة .

(١٠) القسمات : جمع قسمة (بكسر السين وفتحها) : وهى الحسن . جعـل الزهر والنبت ما للغانيات من سحر العيون وجمال الوجوه .

(١١) التبر : الذهب قبل صوغه . والدر اللآلئ ؛ الواحدة : درة . جعل تراب الروض تبرا ، وحصاه درا .

حَبَّةٌ أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعاً ثُمَّ مِلْءَ الفَضَاءِ مِن سُنْبُلاتِ (١٢)
وَنَوَاةٌ جَادَتْ بِنَخْلٍ وَنَخْلٍ وَارِفِ الظِّلِّ دَائِمِ الثَّمَرَاتِ (١٣)
يُرْسِلُ الطَّيْرُ فى مَدَاه نَشِيداً مَوْصِلِيَّ الأَدَاءِ وَالنَّبَرَاتِ (١٤)
يَمْلِكُ النفسَ أَيْنَمَا نَظَرَتْه فَهْوَ قَيْدُ النُّفُوسِ والنَّظَرَاتِ (١٥)
كَم تَهَادَى مَعَ النَّسِيمِ اخْتِيَالاً كَالعَذَارَى يَمِسْنَ فى الحِبَرَاتِ (١٦)
تَتَنَاءَى بِه الظِّلَالُ لِجَمْعٍ ثُمَّ تَدْنُو مُدِلَّةً لِشَتَاتِ (١٧)
مِثْلَ كَفِّ الرَّسَّامِ جَاءَتْ وَرَاحَتْ بَيْنَ قِرْطَاسِه وَبَيْنَ الدَّوَاةِ (١٨)

---

(١٢) يشير الى الآية الكريمة : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة » .

(١٣) وارف الظل : واسعه ممتده . وفى اتساع الظل دليل على كثرة النخيل ووفرته .

(١٤) فى مداه ، أى فى نواحيه وأرجائه المترامية . والموصلى : نسبة الى إبراهيم الموصلى أو ابنه اسحق ، وكلاهما مغن عباسى بلغ شهرة واسعة فى الضرب والغناء . ولد ابراهيم سنة خمس وعشرين ومائة هجرية بالكوفة وتوفى ببغداد سنة ١٨٨ هـ . وولد اسحاق سنة ١٥٠ (وهى السنة التى ولد فيها الامام الشافعى ومات فيها الامام أبو حنيفة) وتوفى ببغداد فى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٥ هـ . والأداء : التوقيع . والنبرات : الأصوات .

(١٥) « يملك النفس ... الخ » : أى يأسر النفوس ويحبس الأنظار عليه ، فهى لجماله لا تتحول عنه الى غيره .

(١٦) التهادى : المشى السهل فى تثن وتبختر . شبه به تمايل النخيل مع الرياح . والعذارى : جمع عذراء ، وهى البكر . والأبكار أحق من يوصفن بالتهادى والاختيال . ويمسن : يتمايلن . والحبرات (بالتحريك ، وبكسر الحاء مع فتح الباء) : جمع حبرة . وهى ضرب من برود اليمن ، وملاءة سوداء اختص بها نساء مصر .

(١٧) تتناءى : تبعد . ومدلة : من الدلال ، وهو التمنع . والشتات : الفرقة . يصف الرياح وهى تعبث بالنخيل ، فترى ظلاله من تحته ، لا تكاد تتباعد حتى تجتمع ، ولا يكاد يلتئم لها شمل حتى يؤذن بافتراق .

(١٨) القرطاس : الصحيفة يكتب عليها ، شبه بها صفحة الروض ؛ وجعل الظل وهو يروح عليها ويجىء ككف الرسام فى حركتها بين الدواة والقرطاس .

أَوْ كَوَجْهِ الْحَسْنَاءِ يَبْدُو وَيَخْفَى ... بين مَيْلِ الهوى وخوفِ الوُشَاةِ (١٩)
كلما رُمْتَ منه قَطْفَ جَنَاةٍ ... سَبَقَتْ راحتَيْك أَلْفُ جَنَاةِ (٢٠)
وإذا بارَكَ الإلَهُ بأَرْضٍ ... جَعَلَ التِّبْرَ فى مَكانِ النَّبَاتِ (٢١)
وحَبَاها خِصْباً إذا مَسَّ صَخْراً ... تَرَكَ الصخرَ جَنَّةَ الجَنَّاتِ (٢٢)

* * *

رُبَّ أَرْضٍ للغافلين مَوَاتٌ ... وهْىَ لِلْعَامِلِينَ غَيْرُ مَوَاتِ (٢٣)
إِنْ تَطَلَّعْتَ للرَّغائبِ فابذُلْ ... تلك فى الدَّهْرِ سُنَّةُ الكائناتِ (٢٤)
لكَ كَفَّانِ ، تلك تُعْطِى وهذى ... تَتَلَقَّى مَثُوبَةَ الحَسَنَاتِ (٢٥)
تَرْتَجِى الحَصْدَ ثم تقعُدُ فى الشَّمْـ ... ـسِ ، لك اللهُ يا أخا التُّرَّهَاتِ ! (٢٦)
ضِلَّةً تَطلُبُ الزُّلالَ من النَّا ... رِ وتَبْغِى غَضَارةً من فَلاةِ (٢٧)

---

(١٩) الوشاة : الساعون بالكذب والنميمة . جعل الظل فى ظهوره وخفائه كوجه الحسناء تكشف عنه لداعى الهوى ، ثم لا تلبث أن تخفيه مخافة أن يراها واش فيشهر بها .
(٢٠) الجناة : ما يجنى من الشجر . يصف الروض بأن قطوفه دانية كثيرة سهلة التناول .
(٢١) التبر : الذهب قبل صوغه . جعل نباتها كالتبر قدرا وقيمة .
(٢٢) حباها : أعطاها ومنحها .
(٢٣) الأرض الموات : الخراب .
(٢٤) يقول ان سنة الكون قضت بأن الانسان لا ينال ما يحب إلا إذا أعطى ، فلا تطمع بأن تنال شيئا بلا شيء .
(٢٥) المثوبة : الثواب والأجر .
(٢٦) الترهات (فى الأصل) : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة ، ثم استعير للباطل الذى لا يقوم على رأى صحيح ؛ الواحدة : ترهة ، فارسى معرب .
(٢٧) ضلة ، أى ضلالا وبعدا عن الرشد والهدى . والزلال : الماء البارد العذب الصافى . والغضارة : الخصب . والفلاة : الصحراء والمفازة لا ماء فيها .

ليس يجْنى من السُّبَاتِ سِوى الأَحْــــلامِ فانهضْ وُقيتَ شرَّ السُّبَاتِ (٢٨)

* * *

قَدْ غَرَسْناهُ رَوْضَ عِلْمٍ فأَزْرَى حُسْنُهُ بالْحَدائقِ الباسِقَاتِ (٢٩)

وَبذَرْنا به القُـلوبَ صِغَارًا وكِرَامَ النُّفوسِ والمُهجَاتِ (٣٠)

وسَقَيْنا ثَرَاهُ مَاءً مِن الأَذْ هانِ أَحْلَى مِنْ كُلِّ ماءٍ فُرَاتِ (٣١)

وَغَذَوْنَاه طَيِّبًا بِجُهودٍ ضاعَفَتْ مِن ثِمَارِهِ الطَّيِّبَاتِ (٣٢)

وَحَمَيْنَاهُ أَنْ تَعيثَ بِهِ الأَيْـــدِي وتَجْنِي عَلَيْهِ كَفُّ الْجُنَاةِ (٣٣)

وَجَعَلْنَا لَهُ مِنَ الْخُلُقِ الْعـا لِي سِيَاجًا مُوَثَّقَ اللَّبِنَاتِ (٣٤)

وَحَفِظْنَا مِنَ الرِّيَاحِ جَنَاهُ وَوَقَيْنَاهُ شِرَّةَ الْحَشَرَاتِ (٣٥)

---

(٢٨) السبات : النوم • ووقيت : حفظت (بالبناء للمجهول فيهما) • يقول فى هذا البيت والأبيات الأربعة قبله : اذا تعلقت رغبتك بشىء فجد فى الحصول عليه ، فما من غاية تدرك بغير كد • وما حباك الله يدين الا لتعمل بهما وتجنى ثمرة عملك ، ومن الخطل أن تعتقد أن الغايات تنال بغير سعى ، وما مثلك فى هذا الا كمثل من يرجو الماء من النار، ويلتمس الخصب فى الصحراء • والنوم ليس مطية لادراك الغايات ، ولا يجنى منه غير الأحلام •

(٢٩) أزرى حسنه بالحدائق : أى غلب حسنه حسنها وفاته ، فبات حسنها إلى حسنه معيبا منتقصا • والحدائق الباسقات : أى ذوات الأشجار العالية المرتفعة •

وبهذا البيت بدأ الشاعر انتقاله الى الغرض المقصود ، مشبهاً دور العلم بالرياض كما قدمنا •

(٣٠) المهجات : جمع مهجة (بالضم) وهى الروح •

(٣١) الفرات : المفرط فى العذوبة •

(٣٢) غذوناه : غذيناه (بالتضعيف) •

(٣٣) تعيث به ، أى تعبث به وتفسده • والجناة : الأشرار ودعاة الافساد ؛ الواحد : جان •

(٣٤) السياج : ما أحاط بالشىء • يحفظه ويقيه . واللبنات : مايضرب من الطين مربعا للبناء ؛ الواحدة : لبنة . وتوثيق اللبنات : إحكام البناء •

(٣٥) جناه : ثماره التى تجنى منه • يريد الناشئين فى دور العلم • والشرة (بالكسر) : الشر •

إِيهٍ يَا رَوْضَةَ الْمَعَارِفِ لا زِلْـــتِ مَثَابَ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ (٣٦)
أَنتِ أَنبَتِّ فى ثَرَى النِّيلِ شَعْبًا   نَافِذَ الرَّأْىِ طَاهِرَ النَّزَعَاتِ (٣٧)
أَعْجَزَ الغَرْبَ هِمَّةً وَذَكاءً   وَكَذَا الشَّرْقُ مَوْطِنُ الْمُعْجِزَاتِ (٣٨)
خُطُوَاتٌ نَحْوَ المَعَالى فِسَاحٌ   لا عَدَاهَا السَّدَادُ مِنْ خُطُوَاتِ (٣٩)
سَلَكَتْ أَوْسَطَ الطَّرِيقِ وَجَازَتْ   كُلَّ مَا فى الطَّرِيقِ مِنْ عَقَبَاتِ (٤٠)
وَجُهُودٌ تَمْضِى وَتَأْتِى جُهُودٌ   مُحْكَمَاتٌ مَوْصُولَةُ الْحَلَقَاتِ (٤١)
نَسَجَتْ مِنْ جِهَادِهَا لِبَنِى مِصْـــرَ دُرُوعًا حَصِينَةً سَابِغَاتِ (٤٢)

***

إِنَّمَا مَوْلِدُ المَعَارِفِ فى مِصْـــرَ دَبِيبُ الْحَيَاةِ بَيْنَ الرُّفَاتِ (٤٣)
جَلَّ رَبِّى ! آمَنْتُ بِاللهِ رَبِّى !   فَالِقِ الْحَبِّ بَاعِثِ الْأَمْوَاتِ (٤٤)

---

(٣٦) مثاب الخيرات والبركات ، أى حيث توجد وتجتمع .

(٣٧) ثرى النيل : أرض مصر . والرأى النافذ : الماضى الذى يصيب الغرض وينفذ فيه كما ينفذ السهم .

(٣٨) يقول ان للشرق همة وذكاء دونهما همة الغرب وذكاؤه .

(٣٩) فساح : واسعات . ولا عداها : لم يعدها ولم يتجاوزها ، والجملة دعائية . والسداد : التوفيق وإصابة الغرض .

(٤٠) جازت : تخطت وتغلبت .

(٤١) محكمات : متقنات جاءت على خير وجه وأحسنه . وموصولة الحلقات : دائمة متتابعة ، فكأن الجهود حلقات متصل بعضها ببعض .

(٤٢) الدروع : جمع درع ، وهو ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس فى الحرب وقاية من سلاح العدو ، مؤنث ، وربما ذكر . وسابغات : تامة طويلة ، وهو وصف محمود فى الدروع ، لأنها إذا كانت كذلك كانت أكثر وقاية ومنعا .

(٤٣) الرفات : ما تحطم وبلى من الأجسام بعد الموت . يريد أن وزارة المعارف بعثت العلم بعد موته .

(٤٤) جل : عظم . وفالق الحب : شاقه بإخراج الورق منه .

أَرْسَلَ اللهُ لِلْكِنَانَةِ نَدْبًا هِبْرِزِيَّ الأعْرَاقِ والعَزَمَاتِ (٤٥)
فأَتَاهَا (مُحَمَّدٌ) جدُّ (إِسْمَا عِيلَ) بِالْخِصْبِ مُورِقًا والحَيَاةِ (٤٦)
هَلْ رَأَيتَ النَّجْمَ الَّذِي يَبْهَرُ العَيْـ ـنَ وَيَمْحُو دَيَاجِرَ الظُّلُمَاتِ ؟ (٤٧)
هل رَأَيتَ الغَدِيرَ يَنْسَابُ فى القَفْـ ـرِ فَيَهْتَزُّ مُخْصِبَ الجَنَبَاتِ ؟ (٤٨)
هل رَأَيتَ الحَيَاةَ تَسْرِى إِلى الجِسْـ ـمِ فَتُحْيِى عِظَامَهُ النَّخِرَاتِ ؟ (٤٩)
هل رَأَيتَ الآمَالَ بَعْدَ نِفَارٍ ؟ واقْتِبَالَ الشَّبَابِ بَعْدَ فَوَاتِ ؟ (٥٠)
لَقِيَتْ مِصرُ قَبْلَهُ مَا يُلاقِى غَرَضٌ جَاءَ فِى اتِّجاهِ الرُّمَاةِ (٥١)

---

(٤٥) يريد «بالكنانة» : مصر . والندب : السريع الى الفضائل الذى يخف لقضاء الحاجة عند ما يندب اليها . وهبرزى الأعراق والعزمات ، أى طيب الأصول ، قوى فيما يهم به ويعزم عليه .

(٤٦) محمد : هو محمد على باشا ابن ابراهيم أغا جد الأسرة المالكة . ولد ببلدة قولة سنة ١١٨٣ هـ — سنة ١٧٦٩ م . وتطوع فى الحملة العثمانية الانجليزية التى جاءت لطرد الفرنسيين من مصر . وقد بقى فى مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها حتى صار واليا عليها . واليه تعزى نهضتها فى مناحيها المختلفة . وكانت وفاته بالاسكندرية فى ١٣ من رمضان سنة ١٢٦٥ هـ — ٢ من أغسطس سنة ١٨٤٩ م . ونقلت جثته الى القاهرة حيث دفنت بمسجده الذى شيده بالقلعة. واسماعيل هو ابن ابراهيم باشا ، ويعتبر المجدد الثانى لنهضة مصر . وكان مولده سنة ١٨٣٠ م . وتولى خديوية مصر فى ١٨ من يناير سنة ١٨٦٣ ثم عزل عنها فى سنة ١٨٧٩ . وكانت وفاته فى ٢ من مارس سنة ١٨٩٥ .

(٤٧) يبهر العين : يغلبها ضوءه وتألقه فلا تقوى على النظر اليه . والدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلام .

(٤٨) الجنبات : النواحى .

(٤٩) النخرات : البالية المتفتتة . يذكر فضل محمد على فى إنعاش مصر وانهاضها حتى دبت الحياة فى نواحيها المختلفة .

(٥٠) النفار : التباعد والفوت . واقتبال الشباب : عنفوانه واكتماله . وبعد فوات : أى بعد ذهاب ومضى . يريد أن مصر حققت على يديه آمالا كانت بعيدة المنال عزيزة ، وعادت بفضله فتية شابة ، بعد أن كاد يودى بها الهرم .

(٥١) الغرض : الهدف الذى يرمى اليه . والرماة : جمع رام ، وهو الذى يرمى بسهامه نحو الهدف .

جَهِلُوا داءَها الدَّفِينَ وشَرٌّ ... مِنْ دَفِينِ الأَدْوَاءِ جَهْلُ الأُسَاةِ (٥٢)

نَكَئُوا جُرْحَهَا فَسَالَتْ دِمَاهَا ... قَطَرَاتٍ تَجْرِى إلى قَطَرَاتِ (٥٣)

لَا تَرَى فِى الظَّلَامِ لِلْعِلْمِ إِلَّا ... مُقْفِرَاتٍ مِن دُورِهِ دارِسَاتِ (٥٤)

يَكْرَهُ الظُّلْمُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الضَّوْ ... ءِ ولو كانَ فى ابْتِسَامِ الفَتَاةِ (٥٥)

لم يَكُن مِنْهُ غَيْرُ وَمْضٍ مِنَ (الأَزْ ... هَرِ) يَبْدُو مُفَزَّعَ اللَّمَحَاتِ (٥٦)

كَذُبَالِ المِشْكَاةِ قَدْ جَفَّ إِلَّا ... أَثَرًا من بُلَالَةِ المِشْكَاةِ (٥٧)

فَأَتَى مُنْقِذُ البِلَادِ فَأَحْيَا ... هَا بِرَأْيٍ وَعَزْمَةٍ وَثَبَاتِ (٥٨)

---

(٥٢) الداء الدفين : المرض المستفحل الذى يظهر بعد خفاء فيعم شره • والأساة : جمع آس ، وهو الطبيب •

(٥٣) يقال : نكأ القرحة ينكؤها : اذا قشرها قبل أن تبرأ فنديت وسال دمها • يشير بهذا البيت والبيتين المتقدمين إلى حال البلاد قبل محمد على وأنها كانت ترزح تحت حكم ولاة جهلة أوردوها موارد الحتف والبوار •

(٥٤) مقفرات : خاليات • ودراسات : قد عفا أثرها وأمحى • يصف عهدا مرّ على مصر أقفرت فيه من دور العلم والمتعلمين •

(٥٥) يريد : أن الولاة الظلمة يكرهون انتشار نور العلم لأنه يكشف عن سيئاتهم • ويثل عروشهم • وذكر « ابتسام الفتاة » مبالغة لكراهيتهم للضوء أيا كان مصدره •

(٥٦) منه : أى من الضوء • والومض : اللمعان الخفيف لا يظهر حتى يختفى • والأزهر : هو ذلك المسجد التاريخي العظيم، الذى بناه جوهر الصقلى فى أوائل حكم الدولة الفاطمية فى مصر سنة ٣٥٩ هـ — سنة ٣٦١ هـ (سنة ٩٧٠ — سنة ٩٧٢ م) وكان ولا يزال دارا للتعليم يؤمها المسلمون من جميع الأقطار الاسلامية • والمفزع : الخائف . واللمحات : جمع لمحة ، وهى لمعة الضوء وبريقه •

(٥٧) الذبالة : الفتيلة ، والمشكاة : الأنبوبة فى وسط القنديل ، يريد القنديل • يصف فى هذا البيت والذى قبله حال العلم قبل محمد على باشا بأنه لم تعرف له دار غير الأزهر الذى لم يكن له آثار إلا فى الفينة بعد الفينة تجىء كالومض لا يظهر حتى يخفى ؛ فكان كمشكاة نفد زيتها اللهم إلا من بلالة علقت بذبالتها فهى ترسل ضوءها فهقة بعد فهقة •

(٥٨) يريد « بمنقذ البلاد » محمد على باشا • أنظر التعريف به فى الحاشية رقم ٤٦ ص ٢٨ من هذا الجزء •

لو دَعا أَنْجُمَ السَّماءِ لَلبَّتْ ... مُهْطِعاتٍ لأَمْرِه صاغِراتِ (٥٩)

***

شادَ فى مِصْرَ للمعارِفِ دِيوا ... نًا مَنِيعَ الأَعلامِ والشُّرُفاتِ (٦٠)

وبَنَى للعُلُومِ خَيْرَ بِناءٍ ... عَلَوِيٍّ فَكانَ خَيْرَ البُناةِ (٦١)

نَهَضَتْ مِصْرُ بَعْدَه نَهَضاتٍ ... تَسْتَحِثُّ الخُطَا إلى نَهَضاتِ (٦٢)

أَرْسَلَ العِلْمُ نُورَه فَسَرَى الرَّكْـ ... ـبُ يَقُودُ المُنَى إلى الغاياتِ (٦٣)

وَرَأَيْنا بِكُلِّ أَرْضٍ رِياضًا ... دانِياتٍ قُطُوفُها زاهِياتِ (٦٤)

***

كلَّ يومٍ عِنْدَ الصَّباحِ تَرَى جَيْـ ... ـشًا مِنَ النَّشْءِ صادِقَ الوَثَباتِ (٦٥)

جَعَلُوا كُتْبَهُمْ مَكانَ المَواضِي ... وَيَراعاتِهِم مَكانَ القَناةِ (٦٦)

---

(٥٩) لبت : أجابت . ومهطعات : مسرعات . وصاغرات : ذليلات . يصف فى هذا البيت والذى قبله عزمة محمد على وثباته ، وان كل شىء كان عند أمره لا يخرج عنه ، حتى إنه لو دعا النجوم لهبطت ليه من علوها مسرعة خاضعة .

(٦٠) منيع الأعلام والشرفات ، أى ثابتا قويا .

(٦١) علوى : نسبة إليه . والبناة : جمع بان .

(٦٢) تستحث : تحض . يريد أن مصر لا تكاد تفرغ يدها من بناء نهضة حتى تبدأ فى بناء نهضة أخرى .

(٦٣) الركب : جمع راكب . يريد السائرين فى سبيل التقدم .

(٦٤) يريد « بالرياض » : دور العلم . ودانيات : قريبة سهلة المنال . وقطوفها ، أى ثمار العلم . يريد أن العلم ميسر لكل طالب .

(٦٥) النشء : جمع ناشىء وهو الغلام جاوز حد الصغر وشب . وصادق الوثبات : أى جاد فى سبيله غير متراخ . والوثبات : جمع وثبة ، وهى الطفرة .

(٦٦) المواضى : السيوف القواطع ؛ الواحد : ماض . والبراعات : الأقلام ؛ الواحدة ؛ يراعة . والقناة : الرمح . ولما شبه النشء المتعلمين بالجيش ، شبه كتبهم بالسيوف ، وأقلامهم بالرماح ؛ وكما يغزو الجيش العدو بسيوفه ورماحه ، يغزو هؤلاء الجهل بكتبهم وأقلامهم .

طَلَعُوا أَوَّلَ الغَـداةِ فَزَانُوا بِسَنَا ضَوْئِهِمْ جَمَالَ الغَـدَاةِ (٦٧)
مِثْلَ سِرْبٍ لِلطَّيْرِ هَمَّت خِفَافًا ثُمَّ راحتْ لِوَكْرِها مُثْقَلاتِ (٦٨)
نَثَرُوا جَمْعَهم فَأَبْصَرْتُ فيهم أَنْجُمًا فِي الفَضَاءِ مُنْتَثِرَاتِ (٦٩)
ورأيتُ الفِلْذَاتِ تَمْشِي علَى الأَرْضِ خَلُّوا الطَّرِيقَ للفِلْذَاتِ (٧٠)
هُمْ أَمَانِيُّ (مِصْرَ)، هم مُرْتَجَاهَا هُمْ حَنَايا ضُلُوعِها الخَافِقَاتِ (٧١)

*
* *

مِائَةٌ مِن سِنِي (المعارف) مَرَّتْ زَاهِيَاتٍ بِمَا حَوَتْ حَافِلَاتِ (٧٢)
بَلَغَتْ مِصْرُ فى مَدَاهُنَّ شَأْوًا فوقَ شَأْوِ الكَواكِبِ السَّابِحَاتِ (٧٣)
وغَدَا مَجْدُها الحَدِيثُ — وقد شَاعَ شَذَا عِطْرِهِ — حَدِيثَ الرُّوَاةِ (٧٤)
أَصبحتْ كَعْبَةً يَحُجُّ إِليها الشَّرْقُ بَيْنَ الخُشُوعِ والإِقْنَاتِ (٧٥)

---

(٦٧) أول الغداة : الصباح المبكر . وسنا الضوء : تلألؤه وتألقه . أى أنهم جمال للصباح فوق جماله .

(٦٨) السرب : الجماعة . وهمت : أى خرجت لقصدها وبغيتها . وراحت : رجعت . والوكر: عش الطائر أين كان . شبه النشء وما يفيدون فى يومهم من العلم بالطير يغادر وكره خالى الوفاض ويعود اليه مزودا بالزاد .

(٦٩) منتثرات : متفرقات . شبههم فى انتشارهم بالنجوم المتفرقة فى صفحة السماء .

(٧٠) الفلذات : جمع فلذة (بالكسر) ، وهى القطعة من الكبد . و«خلوا الطريق ... الخ» : أى هيئوا لهم سبيلا سهلة خالية من الصعاب والعقبات .

(٧١) مرتجاها : محط رجائها . و« هم حنايا ... الخ » : أى هم قلبها النابض الذى به تحيا وتعيش .

(٧٢) حافلات : مملوءة .

(٧٣) المدى : الأمد والنهاية . والشأو : الغاية . والسابحات : الجاريات فى أفلاكها ومداراتها . وخص شأو الكواكب بالذكر ، لعظيم بعدها وارتفاعها .

(٧٤) شذا العطر : قوة ذكاء رائحته وسطوعها .

(٧٥) الكعبة : البيت الحرام بمكة ، واليها يتجه المسلمون فى صلاتهم ويقصدونها فى حجهم . والاقنات : اظهار التواضع والخشية . جعل مكانة مصر العلمية بين الشرقيين كمكانة الكعبة الدينية بين المسلمين .

تَتَهَادَى وحَقَّ أَنْ تَتَهَادَى ... بَيْنَ ماضٍ زَاهِي الْجَبِينِ وآتِي (٧٦)
كلُّ تَارِيخِهَا كِتَابٌ مِنَ الْمَجْـ ... ـدِ كَرِيمٌ مُطَرَّزُ الصَّفَحَاتِ (٧٧)
بَعَثَتْ دَارِسَ الْفُنُونِ وَأَحْيَتْ ... بعدَ يَأْسِ الزَّمانِ أُمَّ اللُّغَاتِ (٧٨)
وَأَعَادَتْ إِلَى العُلُومِ مَنَاراً ... كانَ صُبْحَ الدُّجَى وَهَدْيَ السُّرَاةِ (٧٩)
أَنْجَبَتْ لِلْبِلادِ أَبْطَالَ عَزْمٍ ... هُمْ دُرُوعُ البِلَادِ فِي الأَزَمَاتِ (٨٠)
دَعَوُا الشَّعْبَ لِلْعُلَا فَرَأَيْنَا ... خَيْرَ شَعْبٍ أَجَابَ خَيْرَ الدُّعَاةِ (٨١)
أَنْجَبَتْ كُلَّ عَالِمٍ بَهَرَ الكَوْ ... نَ بِآيَاتِ عِلْمِهِ البَيِّنَاتِ (٨٢)
أَنْجَبَتْ كُلَّ شَاعِرٍ عَبْقَرِيٍّ ... صَادِقِ الْحِسِّ بَارِعِ اللَّفَتَاتِ (٨٣)
تَتَمَنَّى الأَزْهَارُ لو كُنَّ يوماً ... فِي قَوَافِيهِ مَوْضِعَ الكَلِمَاتِ (٨٤)

---

(٧٦) تتهادى : تتبختر وتتمايل اعجابا . وزاهي الجبين : وضاح الجبين مشرقه . وأراد «بزهو الجبين» : حفول هـذا الماضي بالأعمال المجيدة التي يفخر بها صاحبها ، ويبيض لهـا وجهه ، ويتألق بشرا وفخرا . وآتى ، أى ومستقبل زاهي الجبين كذلك ، لأنه صلة للماضي وتتمة .

(٧٧) المطرز : الموشى المجمل أى أن تاريخ مصر كتاب تجمل صفحاته جلائل الأعمال ومجيد الأفعال .

(٧٨) دارس الفنون : ما عفا منها وذهب أثره . وأم اللغات : اللغة العربية .

(٧٩) المنار : مبعث النور ومصدره . والدجى : الظلام . والسراة : جمع سار ، وهو الذى يسير عامة الليل ؛ وقيل : هو الذى يسير آخره . جعل نهضة مصر فى العلوم نورا يهتدى به الناس فى ظلمات الجهل .

(٨٠) أنجبت : خلفت أبناء نجباء ، عرفوا بكريم الخصال وحميد الفعال . والدروع : جمع درع (بالكسر) وهو ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس فى الحرب وقاية من سلاح العدو . والأزمات : الشدائد ؛ الواحدة : أزمة . جعلهم للبلاد كالدروع للمحاربين ، يقونها الشر والمكروه ، اذا جد الجد واشتد البأس .

(٨١) يشير بهذا البيت الى زعماء النهضة فى مصر وتلبية الشعب لندائهم فى غير توان .

(٨٢) بهر الكون : أى أتاه بما يذهله ويدهشه . وآيات علمه : أى نتاج عقله وثمار فكره ، والبينات : أى الناطقة بعلو كعبه وبعد صيته .

(٨٣) الشاعر العبقرى : الفحل الذى لايدانى فى سمو مكانته . وصادق الحس : أى أن شعوره لا يكذبه ولا يخطئه . وبارع اللفتات : أى قوى الدلالة واضح الاشارة .

(٨٤) القوافى : القصائد ؛ الواحدة : قافية .

أَنْجبت كُلَّ كاتِبٍ يَمْلِكُ السَّمْـ ـعَ ، بآثار فَنِّهِ الخَالِداتِ (٨٥)
أَنْجبت كُلَّ مِدْرَهٍ وخَطِيبٍ سَاحِرِ القَوْلِ ، صَادِقِ الحَمَلاتِ (٨٦)
وَحَمتْ شِرْعَةَ الخَلائِقِ أَنْ يَغْـ ـبَرَّ صَافِي نَمِيرِها بِقَذاةِ (٨٧)
قد وَلَجنا الحَياةَ من كلِّ بابٍ فَرَأَيْنا الأَخْلاقَ بابَ النَّجاةِ (٨٨)
أَصْبحت مِصْرُ مَعْهداً لِشَبابِ الشَّـ ـرْقِ ، يَسْعَوْنَ نَحْوَها بالمِئاتِ (٨٩)
عَقدَتْ بَيْننا اللَّيالِى صِلاتٍ مُحْكَماتٍ أَحْبِبْ بِها مِن صِلاتِ (٩٠)

* * *

إِنَّ عِيدَ المعَارِفِ اليومَ عِيدٌ لِلنُّهَى والجُهُودِ والذِّكْرَياتِ (٩١)
عِيدُ يُمْنٍ لِمصْرَ ، فالدَّهْرُ دانٍ خاضِعُ الرَّأْسِ ، والزَّمانُ مُوَاتِى (٩٢)
بَلَغتْ مِصْرُ ما تُرَجِّى وفَازَتْ بَعْدَ طُولِ الأَسَى ، وذُلِّ الشَّكَاةِ (٩٣)

---

(٨٥) يملك السمع ، أى يجعله بسحر بيانه لاينصرف إلا اليه ، فكأن السمع لهذا ملك له .
(٨٦) المدره : القوى الحجة ، المالك لأعنة القول .
(٨٧) الشرعة (بالكسر) : موردالشاربين . والخلائق : الطبائع والسجايا ؛ الواحدة : خليقة. ويغبر : يصير أغبر كدرا . والنمير : المـاء العذب الصافى . والقذاة : مايقع فى الشراب مما يكدره . يقول : إن من بين ما اتجهت اليه وزارة المعارف قيامها على حماية الأخلاق من أن تدنس ؛ وشبه الأخلاق بالمنهل ينهل الناهلون من صافى مائه وعذبه .
(٨٨) يقول : إن كل سعى واتجاه لايعتمد على الأخلاق لايؤدى الى فلاح أو خير .
(٨٩) يذكر كثرة الوافدين الى مصر من الأقطار الشرقية للتزود بما فيها من علم وأدب .
(٩٠) يشير بهذا البيت والذى قبله الى كثرة البعثات التى تفد الى مصر من الأقطار الشرقيـة وأن هذه البعثات كانت سببا فى إحكام صلات وثيقة محبوبة .
(٩١) النهى : العقول ؛ الواحدة : نهية (بالضم) وسمى العقل بها لأنه مصدر النهى والضبط والكف .
(٩٢) اليمن : الخير والبركة . وخاضع الرأس : مطيع لايعصى أمرا . ومواتى، أى مقبل غير مدبر .
(٩٣) الأسى : الحزن . والشـكاة : الشكاية .

وأَطَاحَتْ قُيُودَهـا فَاستقلّتْ وأُمْحِى ما تَرَكْنَ مِنْ نَدَبَاتِ (٩٤)

واسْتَعزّتْ بِطَلْعـةِ المَلِكِ الفَا رُوقِ، زَيْنِ الحِمَى وَفَخْرِ الحُمَاةِ (٩٥)

يُشْرِقُ المُلْكُ بالمَلِيكِ ويُزْهَى بمَجَـالِى آلائِهِ المُشْرِقَاتِ (٩٦)

تَجْتَلِيهِ العُيونُ بَدْراً، وتَفْدِيـــهِ عُيونُ الزَّمانِ بالحَدَقاتِ (٩٧)

عَهْدُه فى العُهُودِ أَنْضَرُ عَهْدٍ كجمَالِ الرَّبِيعِ فى الأَوْقَاتِ (٩٨)

بَهَرَ الشِّعْرَ أَن يُحِيطَ بمَعْنًى مِن مَعَانِى صِفَاتِهِ الباهِرات (٩٩)

عاشَ للعِـلْمِ والبِـلادِ هُماماً أَرْيَحِياً، وعاشَ للمَـكْرُمَاتِ (١٠٠)

---

(٩٤) أطاحت قيودها : رمت بها وتخلصت منها . وامحى الشيء : ذهب أثره . والندبات : آثار الجروح الباقية على الجلد ؛ الواحدة : ندبة . يريد أنها قضت على كل آثار الاستعباد .

(٩٥) استعزت : عزت وقويت . والحمى : ماتجب عليك حمايته والذود عنه ؛ ويريد به مصر .

(٩٦) يشرق : يضيء . ويزهى : يتيه ويباهى . وبمجالى آلائه ، أى ما يظهر ويبدو من نعمه . وواحدة الآلاء : إلى (بكسر أوله مع اسكان ثانيه وفتحه ، وبتحريك أوله وثانيه) .

(٩٧) تجتليه : تستبينه وتراه . الحدقات : جمع حدقة . وهى سواد العين .

(٩٨) جعل جمال عهده بين العهود كجمال الربيع بين فصول السنة .

(٩٩) بهره : أذهله وأعجزه . والباهرات : الغالبة حسنا الفائقة جمالا .

(١٠٠) أريحيا : رحب الجناب واسع الخلق .

مِصْرُ الْوالِهة

فقدت مصر فى الثامن والعشرين من ابريل سنة ١٩٣٦ مليكها العظيم المغفور له « فؤادا » الأول ، فهلعت النفوس ، وبكت العيون ، وأقام الحزن فى كل بيتا مأتما ، وبعث فى كل قلب حرقة وألما ، فنظم الشاعر هذه القصيدة التى تنطق كل نبرة فيها بحزن عميق ، وأسى دفين .

جَلَلٌ ، هزّ كلّ رُكْنٍ وهدّا ومصابٌ ، رَمَى القلوبَ فأَرْدَى (١)
كُلُّ صَدْرٍ به أَنينٌ وَوَجْدٌ مُرْسِلٌ خَلْفَه أَنيناً وَوَجْدا (٢)
عَبَراتٌ ، من ساكبٍ ليس تَرْقَا وَوَجيبٌ ، مِنْ خافقٍ لَيْس يَهْدَا (٣)
ونشيجٌ ، أَقضّ من مَضْجَعِ اللّيْلِ ، وماجتْ له الكواكبُ سُهْدا (٤)

*
* *

فزِعَتْ مصرُ فَزْعةً طَارَ فيها كُلُّ عقلٍ عن الرّشادِ ، ونَدّا (٥)

---

(١) جلل ، أى خطب عظيم . وكل ركن ، أى كل ناحية . يريد : أنه لما كانت كل النواحى عامرة بآثاره وأعماله العظيمة ، وكان فى موته انقطاع لرعايته لها ، أصبحت بعده بين ركن مضطرب وآخر متهدم ، بعد أن حرم القائم عليه والمصلح من شأنه . وأردى ، أى أفنى وأهلك . جعل وقع المصاب فى القلوب لشدة تعلقها بالمليك الراحل ، وحبها له ، فناء لها وهلاكا .

(٢) الأنين : التأوه فى ألم . والوجد : حرقة الحزن ولوعته .

(٣) العبرات : الدموع ؛ الواحدة : عبرة . ومن ساكب ، أى من طرف يسيل بالدموع وترقا (بالهمز وسهل) : تجف وتنقطع . والخافق : القلب ، لخفوقه . ووجيب القلب : رجفانه . ويهدا (بالتسهيل) : يهدأ (بالهمز) .

(٤) النشيج البكاء يغص به الباكى فى حلقه من غير انتحاب . وأقض المضجع : جعله خشنا لايستطاع النوم عليه . وماجت الكواكب : اضطرب سيرها واختلف . والسهد : الأرق وعدم النوم . يقول إن كثرة البكاء والباكين سلبت الليل سكونه وهدوءه ، ويقول إن الكواكب اضطربت وسهدت لهذا الحادث الجلل .

(٥) مصر : أى الأمة المصرية . وند : نفر وذهب . و « طار فيها كل عقل . . . الخ » : أى إنه فقد الرشد والهدى وبعد عن الجادة لهول المصاب وشدته .

هَرَعَتْ ساعةَ الوَداعِ تُفيضُ الـــدَّمْعَ بَحْراً ، وتُرسِلُ الشَّوقَ وَقْداً (٦)

أُمَّةٌ هالها المُصَابُ فهامَتْ تستَحِثُّ الُخْطا ، شُيوخاً ومُرْدا (٧)

خَرَجَتْ مِن خِبائِها كُلُّ خَوْدٍ لم تُقنِّعْ رأساً ، ولم تُخفِ خَدَّا (٨)

أَعْجَلَتْها مُصيبةُ الوَطنِ المفْـــجُوعِ أَنْ تَختَبِي ، وأَنْ تتَردَّى (٩)

زُمَرٌ تَلْتَقِي على الْحُزْنِ والْيَأْ سِ ، وحَشْدٌ باكٍ يُزاحِمُ حَشْدا (١٠)

وبِحارٌ من الأناسِيِّ ماجَتْ مُزْبِداتٍ ، يَجِشْنَ جَزْراً ومَدّا (١١)

وجِبالٌ تَسِيرُ في يَوْمِ حَشْرٍ كُلُّ فِنْدٍ تَراهُ يَتْبَعُ فِنْدا (١٢)

---

(٦) هرعت: مشت فى اضطراب وسرعة . وتفيض الدمع: ترسله وتسكبه . ووقدا ، أى حارا بنار الحزن .

(٧) هالها المصاب : أفزعها وعظم عليها احتماله . وهامت : ذهبت على وجهها لاتدرى أين تتوجه . وتستحث الخطا : تسرع . والمرد : جمع أمرد . وهو الشاب لم يطرّ شاربه ولم تنبت لحيته . يصف جموع الناس يوم خرجت تهرع لتشييع الراحل بدمع ساكب ووجد لاهب .

(٨) من خبائها : أى من خدرها . والخباء (فى الأصل) : ما يعمل من وبر أو صوف أو شعر ، ويكون على عمودين أو ثلاثة . ويريد به هنا مكمنها وبيتها . والخود : المرأة الشابة ما لم تصر نصفا . ولم تقنع رأسا أى لم تسدل على رأسها قناعا .

(٩) المفجوع : الذى أوجع بفقد شىء يعز عليه ويكرم ، وتختبى (بالتسهيل) : تختبىء (بالهمز) . وتتردى : أى تضع عليها رداءها . يقول فى هـذا البيت والذى قبله : إن الغانيات جزعن لهول المصاب فخرجن سافرات غير متقنعات ، قد أعجلتهن المصيبة عن أن يتوارين أو يأتزرن .

(١٠) الزمر : جمع زمرة ، وهى الفوج . والحشد : الجماعة . أى إن الناس جميعا كانوا بين حزين مهموم ، ومعول باك .

(١١) ماجت : اضطربت . ومزبدات : قاذفات بالزبد ، وذلك لا يكون الا فى ثورة البحر وهيجانه . ويجشن : يهجن ويضطربن . ومد البحر وجزره : ارتفاعه واستطالته الى ناحية مرة ، ثم رجوعه عنها مرة أخرى . يشبه جموع الناس الزاخرة فى كثرتها واضطرابها بالبحر المضطرب الهائج .

(١٢) الفند : الجبل العظيم . وبه شبه الجماعة الكثيرة من الناس . وخص يوم الحشر لأنه يضرب به المثل فى شدة التزاحم ، ثم إن فيه اشارة إلى قوله تعالى : وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب .

فوقَ سطحِ البيوتِ كالنَّحلِ فانظرْ ثمَّ إيَّاكَ أنْ تحاولَ عدَّا (١٣)
كلُّ بيتٍ قدْ عافَ أحجارَهُ الصُّمَّ ، وأضحى دمًا ولحمًا وجلدا (١٤)
والميادينُ كلُّها أممٌ تُزْ جَى ، كما تكدسُ السَّحائبُ رُبْدا (١٥)
فإذا شئتَ أن ترى الأرضَ أرضًا كنتَ ممَّن يحاولُ الأمرَ إدَّا (١٦)
نفسٌ واحدٌ جميعًا ، وقلبٌ (لفؤاد) يئزُّ شوقًا وصهْدا (١٧)
ودعاءٌ يمرُّ بالصَّدرِ برقًا فإذا انسابَ منه أصبحَ رعْدا (١٨)
وخشوعٌ من الجلالِ تراءى وجلالٌ من الخشوعِ تبدَّى (١٩)
حملوه ، وإنما حملوا آ مالَ شعبٍ ، بزهرها الغضّ تندى (٢٠)
حملوا حاميَ الحقيقةِ والدِّيـ ـنِ ، كما تحملُ الملائكُ عهْدا (٢١)

---

(١٣) شبه كثرة النـاس فى تلاصقهم وتلاحمهم فوق السطوح بالنحل فى اجتماعه ، لا تتبين آحاده ، ولا تستطيع احصاءه .

(١٤) عاف : ملّ وكره . يقول إن البيوت ، وقد غطى الناس سقوفها ، وملئوا شرفاتها ، واحتشدوا فى نوافذها ، فلم يدعوا منها فراغا لراء الا حجبوه ، ظهرت كأنها كرهت صخورها واتخذت مكانها جسوم المودعين .

(١٥) تزجى : تساق وتدفع . وتكدس ، أى يركب بعضها بعضا . والربدة : الغبرة . شبه الناس فى شدة تزاحمهم وما يعلو وجوههم من فترة الحزن بالسحب المتراكبة المغبرة .

(١٦) الإد : الأمر العظيم . جعل من يحاول رؤية صفحة الأرض ، وقد غطاها الناس ، كمن يحاول أمرا عظيما خارقا للعادة .

(١٧) النفس : الزفرة ينفثها المحزون . وأزيز القدر : صوتها عند غليانها . شبه بها فى ذلك الصدور تجيش حزنا وهما . والصهد : شدة الحر ، يريد حرقة الحزن . يقول : إن الناس جميعا فى حزنهم على الراحل الكريم سواء .

(١٨) شبه الدعاء ، تمليه الصدور فى سرعة ، بالبرق . وشبه ترديد الألسنة له فى شدة وصخب ، بالرعد .

(١٩) الخشوع : الخضوع . والجلال : العظمة . وتبدى : بدا وظهر .

(٢٠) الغض : النضر الطرى . وتندى ، أى لا تزال ندية ، ولما تذبل . جعل موته موتا لآمال مصر وهى فى ريعانها .

(٢١) حامى الحقيقة والدين ، أى المدافع عنهما الذائد عن حوضيهما . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يحميه . والعهد هنا : ما يعهد الى الملائكة حمله . شبه الراحل به فى طهره وشرف مكانته .

حَمَلوا كَوْكباً أَشَعَّ على مِصْـــرَ سَنًا مُبْصِراً وهَدْياً وسَعْدَا (٢٢)

*
* *

ما عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً لَوْ تَوَانَى ؟ أَو عَلَى الدَّهْرِ ساعة لو تَهَدَّا ؟ (٢٣)

لَفَحَتْ رِيحُهُ أَزاهيرَ آما لٍ ، ملأْنَ الوُجودَ مِسْكًا ونَدًّا (٢٤)

وعَدَتْ كَفُّه عَلَى دَوْحةٍ كا نتْ تَمُدُّ الظِّلالَ فى مِصرَ مَدَّا (٢٥)

وَجدَتْ مِصْرُ فى ذَراها سَلاماً وطوَت فى ظِلالها العَيْشَ رَغْدا (٢٦)

قدْ نَعَيْنا فَرداً به كان عَصْراً وفَقَدْنا عَصْراً به كان فَرْدا (٢٧)

دَوْلةٌ فاقت الـكواكِبَ نُوراً وأَنَافَتْ عَلَى الكواكبِ بُعْدا (٢٨)

علَّمَتْ كلَّ مَالِكٍ كيف تُرْعَى أُمَمٌ حاطَها المُلوكُ وتُهْدَى (٢٩)

*
* *

---

(٢٢) أشع : نشر ضوءه . وسنا مبصرا ، أى نورا يهتدى الناس به ويبصرون . يقول : إنه كان لمصر نورا وهدى وسعادة .

(٢٣) توانى : لم يبادر ولم يتعجل . وتهدا ، أى تمهل وأبطأ ، على أن يكون قد سهّل من تهدأ (بالهمز) . أو تهدى ، أى رشـد وجانب الخطل فيما يفعل . يلوم الدهر فى سرعة عدوانه على الفقيد بالموت .

(٢٤) لفح الرياح : حرها . وريحه ، أى ريح الدهر . والأزاهير : الأزهار . والند : العنبر ؛ وقيل : هو عود يتبخر به .

(٢٥) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة .

(٢٦) الذرا (بالفتح) الكنف والجانب . والعيش الرغد : الواسع الطيب . شبه المليك فى هذا البيت والذى قبله بالدوحة الممتدة الظلال يعيش الناس فى كنفها فى سلام وبحبوحة من العيش .

(٢٧) النعى : الاخبار بالموت . يقول إن الملك الراحل كان فردا فى ذاته ولكنه كان عصرا حافلا بما جدد وأنشأ بمصر من جليل الأعمال ، فهو فرد فى عصر وعصر فى فرد .

(٢٨) أنافت : زادت . جعل مصر بفضل ما نالت فى عهده من حضارة أزهى من الكواكب نورا وأعلى منزلة .

(٢٩) أى إن حكمه كان للملوك مثلا يحتذى فى الرعاية والهداية .

رفع الشَّرقُ رأْسَه (بِفُؤَادٍ) وَنَضَا عَنْه يأْسَهُ فاسْتَجَدَّا(٣٠)
ومَضَى يَسْبِقُ الْخَواطِرَ وثْباً وجَرَى يُجْهِدُ الأَمَانِيَّ وَخْدا(٣١)
وأَتَتْ كلُّ أُمَّة ترتجي (مِصْـــــرَ) وِداداً ، وتَنْهَلُ العِلم وِرْدا(٣٢)
كَعْبَةٌ حَجَّتْ الوُفُودُ إِليها تَسْتَحِثُّ الرِّكَابَ وَفْداً فَوَفْدا(٣٣)
حَفَزَتْها لعَرْشِ (مِصْرَ) أَمانٍ بِنَشِيدِ الوَلاَءِ والْحُبِّ تُحْدَى(٣٤)
فَرأَتْ حَزْمَ جاهِدٍ لَنْ يُبارَى ورأَتْ جُهْدَ حازِمٍ لن يُحَدَّا(٣٥)
أَبصَرُوا المُلْكَ فى جَلالةِ مَعْنا هُ ، يُباهِى السَّماءَ عِزًّا ومَجْدا(٣٦)
أَبْصَرُوا دَوْلَة ومُلْكاً كَبِيراً ومِراساً يُعْيِي الزَّمانَ وجُهْدا(٣٧)

---

(٣٠) نضا عنه يأسه : رمى به وطرحه . فاستجدا : أى فعاد جديدا بما صار اليه . جعل عزة مصر ونهضتها عزة للشرق وحياة له .

(٣١) الخواطر : ما يخطر بالقلب ويهجس فى النفس ؛ الواحد : خاطر . ويجهد الأمانى : يعييها عن متابعته فلا تقوى على اللحاق به . والوخد : ضرب من المشى فيه اسراع واهراع . يصف وثبات الشرق نحو العلا بأنها أسرع من الخواطر ، وأسبق من الأمانى ، فلا الخواطر تلحقها ، ولا الأمانى تقوى على مسايرتها .

(٣٢) تنهل : تشرب ، والورد : مورد الشاربة. ولما جعل العلم موردا جعل التزود منه نهلا وشربا .

(٣٣) الكعبة : البيت الحرام بمكة ، واليها يحج المسلمون . والركاب : الابل ؛ الواحدة : راحلة . وتستحث الركاب : تحضها على السير وتستمرى مافيها من سرعة وقوة . يحدث فى هذا والذى قبله عن مركز مصر بين أمم الشرق ، وكيف أن الدول تسعى اليها طالبة ودها راغبة فى الارتشاف من بحور علمها ، وأنها أصبحت لهم كعبة يحجون اليها ويولون وجوههم شطرها .

(٣٤) حفزتها : أعجلتها وأسرعت بها . والولاء : المحبة والاخلاص . وتحدى : من الحداء ، وهو أن تغنى للابل تدفع بذلك عنها ملال السير فتكون أقوى عليه وأشد ، وقد جعل حداءها الذى تستنهض به ركابها الى مصر لتحقيق أمانيها نشيد الولاء وأغانى المحبة .

(٣٥) جاهدا : أى مجدا مجتهدا . ولن يبارى : أى لن يسابق أو يفعل مثله . ولن يحد : أى لن ينتهى أو يقف عند حد أو مدى .

(٣٦) فى جلالة معناه : فيما ينطق عنه ويبين من عظمته وأبهته . ويباهى : يفاخر .

(٣٧) المراس : المعاناة والجد . ويعيي : يعجز .

هِمـةٌ تَفْرَعُ النُّجومَ ، وعَزْمٌ سلَبَ السَّيْفَ حدَّه والفِرِنْدا(٣٨)
ومَضَاءٌ فى الحادِثاتِ برأىٍ فَضَحَ الصُّبْحَ نُورُه وتَحدَّى(٣٩)
يَستمِدُّ الإلهامَ من عالِمِ الغَيْبِ ، وأَجْدِرْ بمثله أَنْ يُمَدَّا(٤٠)
دَفَعَ الشعْبَ للسبيل فكانت من سَنا هَدْيِه أَمانًا ورُشْدا(٤١)
مُلْهِبا عَزْمَه إِذا اجتازَ غَوْرًا مُسْتَحِثًّا إِذا تسلَّقَ نَجْدا(٤٢)
كلّما خارَ أَجزأَتْ بسمةٌ مِنْه ، فَقَدَّ الخُطا حَثِيثا وجَدَّا(٤٣)
ومَضَى كالقَضاءِ يَهْوِى لِمَرْما هُ ، جَرِيئًا مُجَمَّعَ القَلْبِ جَلْدا(٤٤)
يَبْهَرُ الصَّخرَ أَنْ يَرَى منه صَلْدا آدمىَّ الرُّواءِ ، يَقْرَعُ صَلْدا(٤٥)

---

(٣٨) تفرع : تعلو ، أى إنها تبز النجوم علوا وسموا . وفرند السيف : وشيه وجوهره ، وهو مما يتمدح به السيف . جعل العزم كالسيف مضاء وجوهرا .

(٣٩) تحداه : اذا نازعه الغلبة والفضل . جعل نور رأيه فى مدلهم الخطوب ، وظلمات الحوادث ، يزرى بنور الصبح وينازعه الغلبة والفضل .

(٤٠) الالهام : التوفيق وما تستقبل به الأمور ويستعان على حلها به . وعالم الغيب . يريد الله أى إنه يستمد من الله الرأى ، وخليق بمن كان فى الخير مسعاه ، والى الله منحاه ، أن يمده الله بعونه وتوفيقه .

(٤١) السبيل : الطريق . وسنا هديه : أى نور هدايته . ورشدا : أى بعيدة عن مواطن الزلل مؤدية الى الغرض الحق ، أى إنه أخذ الشعب باجتياز سبيل الرقى التى صارت بفضل هدايته مأمونة الزلل .

(٤٢) ملهبا : مثيرا مهيجا . والغور : ما انخفض من الأرض ، ومستحثا : حاضا . أى إنه يهيج عزمة الشعب الى التغلب على الصعاب ، ويستنهضه الى المجد والسمو .

(٤٣) خار : ضعف وفتر . أجزأت : نابت وأغنت . وحثيثا : مسرعا . أى حسب الشعب كلما وهن العزم منه بسمة من المليك تجدد قواه فيعود جادا مسرعا الى الغاية كما كان .

(٤٤) القضاء : القدر لايدفع ولا يرد . والمرمى : الغرض . ومجمع القلب : شجاع لاتطير نفسه شعاعا أمام المخاوف . والجلد : القوى الشديد .

(٤٥) يبهره : أى يفوقه بقوته فيدهشه . ومنه : أى من الشعب . والصلد : الصلب . وآدمى الرواء : أى فى صورة الآدميين . ويقرع : يضرب . أى إن للشعب قوة فوق قوة الصخر وصلابته .

لا يُبالِي — إِذا سَعَى المَعالِي — خَبَطَ الشَّوْكَ ، أَم تَوطَّأَ وَرْدا؟ (٤٦)

و (فُؤادٌ) أَمامَه خَيْرُ هادٍ قادَ لِلغَايةِ البَعيدَةِ جُنْدا (٤٧)

كانَ لِلْمُقْدِمِينَ رُوحاً وقَلْباً ولِرَكْبِ السَّارِينَ كَفّاً وزَنْدا (٤٨)

لو دَعاهُم إِلى النُّجوم لَسارُوا خَلْفَه يُزْمِعُون لِلنَّجْمِ قَصْدا (٤٩)

وإِذا اليأْسُ مَسَّهُم كان عَطْفاً وسَلاماً عَلَى القُلوبِ وبَرْدا (٥٠)

نَظْرةٌ مِنْه تَبْعَثُ الأَمَلَ الوَا نِى ، وتُحْيِي منه الذى كان أَوْدَى (٥١)

* * *

كان رِدْءاً لِمِصْرَ إِنْ جارَ دهْرٌ وصِماماً لأَمْنِها إِنْ تَعَدَّى (٥٢)

ساسَ بالحِكْمةِ البِلادَ ، فكانَتْ من عَوادِي الزَّمانِ دِرْعاً وسَدّاً (٥٣)

---

(٤٦) خبط الشوك : وطئه وداسه . ومثله فى ذلك : توطأ . أى إن الشدائد وغيرها سواء عنده فى سبيله الى المعالى .

(٤٧) جعل الشعب جندا وجعل مليكه الراحل قائده الى المجد .

(٤٨) المقدمون : الجادون المتقدمون الى الأمور فى عزم وشجاعة . روحا وقلبا : أى حياة وتدبيرا . والسارون الذين يسيرون ليلا ، والمراد العاملون المجدون . وكفا : أى تدفع عنهم ، وتقيهم العوادى . والزند : موصل طرف الذراع فى الكف . والزند أيضا : العود الأعلى الذى تقتدح به النار . أى إنه نور يهتدى به السارون .

(٤٩) يزمعون : يجمعون ويثبتون على قصدهم . يصف الشعب بالطاعة والولاء للمليك .

(٥٠) بردا : راحة وطمأنينة .

(٥١) الوانى : الفاتر الواهى . أودى : أى فنى وذهب .

(٥٢) الردء : العون والناصر . وجار : بغى . وصماما ، يشير الى ماهو معروف فى بعض الآلات البخارية بصمام الأمن ، وبه يتقى كل خطر ويدرأ . شبه المليك به فى حياطته الأمة وانقاذها من المهاوى .

(٥٣) ساس البلاد : تولى أمرها ودبرها وأحسن النظر اليها . وعوادى الزمان : نوائبه . والدرع : ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس فى الحرب وقاية من سلاح العدو (يؤنث ويذكر) . أى إنه بحكمته حفظ مصر من نوائب الدهر وكان لها جنة ووقاية .

فَهْوَ إِنْ شَاءَ صيّر الغِمْدَ سيْفًا   وإِذا شاءَ صَيّر السَّيْفَ غِمْدَا (٥٤)
قد أَعدَّته رَحْمةُ اللهِ لِلْحُكْـــمِ ، كَرِيمًا مُبَارَكًا ، فاسْتَعَدَّا (٥٥)
ورَعَى اللهَ فى الرَّعِيَّةِ والمُلْـــكِ ، فوفَّى حقّ الإِلهِ وأَدَّى (٥٦)
أَيْنَمَا سِرْتَ مَشْرِقًا تَلْقَ شُكْرًا   أَو توجَّهْتَ مَغْرِبًا تَلْقَ حَمْدَا (٥٧)
وإِذا اللهُ رَامَ إِصْلاحَ شَعْبٍ   سَلَكَ القَائِدُ الطَّرِيقَ الأَسدَّا (٥٨)
إِنَّما النَّاسُ بالمُلوكِ ، وأَعْلَى الْـــمُلْكِ شَأْوًا ما كَانَ حُبًّا وَوُدَّا (٥٩)

*
* *

رَدَّ بالحَزْمِ كلَّ خَطْبٍ سِوَى المَوْ   تِ ، ولِلْمَوْتِ صَوْلَةٌ لَنْ تُرَدَّا (٦٠)
والفَتَى فى الحَيَاةِ رَهْنُ عَوَادٍ   لا يَرَى دُونَ مُلْتَقَاهُن بُدَّا (٦١)
حَكَمَ الموتُ فى الأَنَامِ فَسَوَّى   لم يَدَعْ سَيِّدًا ، ولم يُبْقِ عَبْدَا (٦٢)
بَيْنَمَا يَسْحَقُ النِّمَالَ تَرَاهُ   باسِطًا كَفَّه لِيَقْنِصَ أُسْدَا (٦٣)

*
* *

(٥٤) الغمد : جفن السيف . يريد : أنه بحنكته ودربته يصير السلم حربا ويعيد الحرب سلما .
(٥٥) أى إنه ملك موهوب خلقه الله للملك وزوده بصفاته .
(٥٦) رعى الله : خافه وأتقاه . أى إنه أدى حق الاله على خير وجه وأحسنه .
(٥٧) أى إن الناس فى كل مكان يلهجون بالثناء عليه .
(٥٨) رام : أراد . والأسد : الأكثر سدادا واستقامة .
(٥٩) الشأو : الغاية والمدى : أى إن الناس لا يصلحون فوضى لا ملوك لهم . وخير مُلك وأعلاه ما قامت دعائمه على حب متبادل وود تعمر به القلوب .
(٦٠) الخطب : المكروه . والصولة : السطوة والقهر . أى إنه رد عن مصر كل ما نخشاه ونخافه ، ولكنه لم يستطع دفع الموت عن نفسه ، وأنّى لإنسان بدفعه .
(٦١) العوادى : جمع عادية ، وهى ما يلم بالانسان من مكروه . أى إن الانسان فى الحياة عرضة لنوازل الدهر وحادثاته ولا مفر له منها .
(٦٢و٦٣) يسحق : يهلك ويبيد . والنمال : جمع نملة . ويقنص : يصيد ، وهى هنا بمعنى الإهلاك . أى إن الموت لا يعرف سيدا ولا عبدا ، ولا قويا ولا ضعيفا ، بل الجميع أمامه سواء .

يا مَلِيكِى ، والحُزْنُ يَطحَنُ نَفْسِى ! كلّما قلْتُ : خَفَّ . قال : سَأَبْدا[(٦٤)]
أَيْنَ عِزُّ المُلْكِ الّذى كانَ لِلآ مالِ فى سُوحِهِ مَرَاحٌ ومَغْدَى ؟[(٦٥)]
أَين تلْكَ الهِبَاتُ للعِلْمِ تُزْجَى كلُّ رِفْدٍ فيها يُزَاحِمُ رِفْدا ؟[(٦٦)]
أَيَنَ أَيْنَ القُصَّادُ فى ساحةِ القَصْـرِ؟ وأَين الصِّلاتُ تُعْطَى وتُسْدَى ؟[(٦٧)]
أَين ذاكَ الجَبِينُ ينضَحُ نُوراً ؟ أَين ذاكَ الحَدِيثُ يَقْطُرُ شَهْدا ؟[(٦٨)]
قد فقَدْناهُ والمُصَابُ جَلِيلٌ وَجَمِيلُ العَزَاءِ بِالْحُرِّ أَجْدَى[(٦٩)]
نحنُ لِلّه راجِعُون ، وكلٌّ بالغٌ فى مَجَالَةِ العُمْرِ حَدَّا[(٧٠)]
غيرَ أَنَّ الفَتَى يُغَالِبُه الدَّمْـعُ ، فلا يستطيعُ للدَّمْعِ صَدَّا[(٧١)]
كلُّ مَهْدٍ يَصِيرُ مِنْ بَعْدِ حِينٍ — قَصُرَ العُمْرُ أَو تَطَاوَلَ — لَحْدَا[(٧٢)]

*
* *

---

(٦٤) يطحن نفسى : أى يأتى عليها ويبيدها . قال : أى قال الحزن . وسأبدا (بالتسهيل) : سأبدأ (بالهمز) . أى إنه مقيم على حزن متجدد لا ينتهى .

(٦٥) السوح : جمع ساحة ، وهى الناحية . ومراح ومغدى ، أى رواح وغدو .

(٦٦) الهبات : العطايا والمنح ؛ الواحدة : هبة . وتزجى : تساق وتحمل . والرفد : الصلة والعطاء . يشكو حرمان العلم بموت الراحل من صلاته ومنحه التى كانت تترى فى كثرة ودوام .

(٦٧) القصاد : القاصدون من ذوى الحاجات . وتسدى : تعطى وتمنح .

(٦٨) ينضح نورا : أى يشع ويضىء ، والشهد (بالفتح والضم) : العسل ما دام لم يعصر من شمعه . يبكى المليك وقد فقد بفقده الجبين الوضاح والحديث العذب الحلو .

(٦٩) الجليل : الفادح العظيم . وجميل العزاء : الصبر الطيب الحسن . وأجدى : أحق وأولى .

(٧٠) المجالة : الساحة والميدان يجال فيهما ويطاف . شبه بها فسحة العمر وحياة الانسان .

(٧١) يغالبه : ينازعه الغلبة . والصد : المنع .

(٧٢) المهد : الموضع يهيأ للصبى ويوطأ . واللحد : القبر . يريد : أن الناس جميعا مصيرهم إلى الفناء .

قَدْ مَلأْتُ الوُجودَ شَدْواً بِمَدْحِيـــكَ، وهل غيرُ مِزْهَرِي بكَ أَشْدَى؟ (٧٣)

خالداتٌ مِنَ الجَلائلِ أَوْلَتْ شِعْرِيَ المُزْدَهِي بوصْفِكَ خُلْدا (٧٤)

كَتَبَ اللهُ أَنْ يعودَ رثاءً وبُكاءً يُدْمِي العيونَ وكَمْدا (٧٥)

قد نظمتَ العُلاَ قِلادةَ دُرٍّ فنَظمتُ الدموعَ أَرْثيكَ عِقْدا (٧٦)

* * *

أَمَلُ الشَّعْبِ في خَليفتِكَ الفَا رُوقِ أَحْيَا آمالَه وأَجَدَّا (٧٧)

قرأَ الشَّعْبُ في مَلامِحِه الغُـــرِّ سُطورَ المُنَى وأَبْصَر جَدَّا (٧٨)

ورأَى فيـه نَبْعَةَ المجدِ والنُّبْـــلِ : أَبًا مُفْردَ الجلالِ وجَدَّا (٧٩)

لم يَجِدْ للعُلاَ سواه مَثِيلاً ولبَدْرِ السماءِ إِلاهُ نِدَّا (٨٠)

رحمةُ اللهِ للمليكِ المُسَجَّى ! ورَعَتْ عينُه المليكَ المُفَدَّى (٨١)

---

(٧٣) شدوا : ترنما . والمزهر : العود يضرب به . وأشدى ، أي أحسن شدوا وتطريباً .

(٧٤) أولت : أعطت ووهبت . أي إن أعمال الممدوح العظيمة الخالدة التي عرض لها الشاعر واصفا جعلت شعره خالدا بخلودها .

(٧٥) كتب الله : قدّر . وأن يعود رثاء : أي ينقلب رثاء . والكمد : الهم والحزن .

(٧٦) القلادة (بالكسر) : ما يجعل في العنق من الحليّ . ونظمها : تأليف حباتها وجمعها .

(٧٧) وأجدّا : أي صيره جديدا .

(٧٨) الملامح : ما بدا من محاسن الوجه . والغر : الجميلة الحسنة . وسطور المنى : ما ينطق بتحقيق الرجاء . أي إنه سيكون مناط الآمال وطالع يمن وسعد . والجد (بالفتح) : الحظ والسعد.

(٧٩) و « رأى فيه نبعة المجد والنبل » : أي إنه أصيل في مجده عريق في نبله ؛ يقال : هو من نبعة كريمة ، أي من أصل كريم . والنبعة (في الأصل) : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام .

(٨٠) الند : المثل . أي إنه مفرد في علاه وليس للبدر مثيل في سموه وبهائه الا الفاروق .

(٨١) المسجى : الميت قد مد عليه غطاء . والمفدى : الذي يفدى بكل عزيز . ويريد « بالمليك المسجى » : فؤادا . و « بالمليك المفدى » : الفاروق .

رِثَاءُ سَعْد

فجعت الأمـة المصرية بمـوت زعيمها « سـعد زغلول باشـا » فى ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٢٧ فكان لموته حزن عام شمل جميع أرجاء القطر ، فانبرى الأدباء والشعراء لرثائه وذكر مآثره وتعداد فضائله ، والاشادة ببطولتـه وعظمته ، وندبوا فيه العزيمة الصـادقة ، والهمة العالية ، والعزة والاباء ، وأكرم صفات الرجولة الكاملة .

لَا الدَّمعُ غاضَ ، وَلا فُؤادُكَ سَالِي ... دَخَلَ الحِمَامُ عَرِينَـةَ الرِّئْبَالِ (١)
وَأَصابَ فى المَيْدانِ فارسَ أُمَّةٍ ... رَفَعَ الكِنَانَةَ بَعْدَ طُولِ نِضَالِ (٢)
رَشَقَتْهُ أَحْداثُ الْخُطُوبِ فأَقْصَدَتْ ... حَرْبُ الْخُطُوبِ الدُّهْمِ غيرُ سِجَالِ (٣)
لِلْمَوْتِ أَسْلِحَةٌ يَطِيحُ أَمَامَها ... حَوْلُ الْجَرِيءِ ، وَحِيلَةُ الْمُحْتَالِ (٤)
ما كانَ سَعْدٌ آية فى جِيلِهِ ... سَعْدُ الْمُخَلَّدُ آية الأَجْيَالِ (٥)

---

(١) غاض : جف وذهب . والحمام : الموت . وعرينة الرئبال : مأوى الأسد . ولما جعل الفقيد ليثا جعل منزله عرينة . وفى اقتحام الموت على الليث عرينه ، وهو ذو البطش والقوة ما يثير الحيرة ويضاعف الألم ، فالدمع لهذا لا ينضب معينه ، والفؤاد دائم الوجد مقيم على الحزن غير سال.

(٢) الكنانة : مصر . والكنانة : جعبة السهام . والنضـال : الكفاح والجهاد . وفى الكنانة تورية فالزعيم رفع شأن مصر وألقى جعبة سهامه بعد طول جهاده .

(٣) رشـقته : رمته . واحداث الخطوب : ما ينزل من المكاره ويصيب . وأقصدت : لم تخطىء المقتل . والدهم : السود . والحرب السجال : التى تكون ، مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء أى إن الخطب إذا دهم لا يغلبه غالب .

(٤) يطيح : لا يثبت لها ولا يقوى عليها . والحول : القوة . أى إن الموت لا ترده قوة ، ولا تغنى معه حيلة .

(٥) الآية : المعجزة . والأجيال : جمع جيل وهم أهل الزمان الواحد .

تفْنَى أَحاديثُ الرِّجالِ وَذِكْرُهُ ... سَيظَلُّ فى الدُّنيا حَديثَ رِجالِ (٦)
سَارٍ كمِصْبَاحِ السَّماءِ يَحُثُّه ... كرُّ الضُّحَى وتَعاقُبُ الآصالِ (٧)

* * *

أَرأَيْتَ مصرَ تهبُّ لِاسْتقلالِها ... والسَّيْفُ يَلْمَعُ فَوْقَ كلِّ قَذَالِ (٨)
والذُّعْرُ يعصِفُ بالقُلوبِ كَمَا جَرَتْ ... هُوجُ الرِّياحِ على كَثِيبِ رِمالِ (٩)
والأَرضُ تَرْجُفُ ، والسَّماءُ مَرِيضَةٌ ... والنَّفسُ حَيْرَى والهُمُومُ تَوَالى (١٠)
والنَّاسُ فى صَمْتِ المَنُونِ كأَنَّهم ... صُوَرٌ كَسَاها الحُزْنُ ثَوْبَ خَبَالِ (١١)
إِنْ حَدَّثوكَ فَبِالعُيونِ لِيَتَّقُوا ... رَصَدَ العيونِ ، وشِرَّةَ المُغْتالِ (١٢)
والموتُ يَخْطِرُ فى الجُمُوعِ وحَوْلَه ... أَجْنادُه ، من أَنْصُلٍ وَعَوَالى (١٣)

---

(٦) يقول إذا نسيت أحاديث البطولة فان ذكره سيبقى بقاء الزمن .

(٧) سار : متوثب غير خامد ولا ساكن . ومصباح السماء : الشمس . ويحثه : يغريه ويستنهضه . وكر الضحى : مروره . والآصال : جمع أصيل ، وهو ما بعد العصر الى المغرب . جعل ذكر الفقيد فى بقائه وذيوعه كالشمس لا تمل التسيار .

(٨) القذال : مؤخر الرأس ، ويريد الرأس عامة .

(٩) الذعر : الخوف والفزع . ويعصف بالقلوب : يذهب بها ويحطمها . وهوج الرياح : الرياح العاصفة الشديدة غير المستوية فى هبوبها . وكثيب الرمال : ما تجمع منها كالتل ، سمى كذلك لأنه انكثب ، أى انصب فى مكان فاجتمع فيه . والرياح الهوج إذا مرت بالكثيب فرقته وزعزعته .

(١٠) ترجف : تضطرب وتميد . رجف ، من باب نصر ، والسماء مريضة ، أى مكفهرة غائمة غير صاحية . وتوالى ، أى متوالية متتابعة .

(١١) صمت المنون : سكون الموت . يشبه الناس لكثرة ما تولاهم من الهم والحزن ، فبدوا واجمين لا حراك بهم ، بتماثيل عليها سيما الوهل والخبل .

(١٢) ليتقوا : ليحذروا ويأمنوا . والعيون الثانية : الجواسيس ورصدهم : مراقبتهم لهم لوقوفهم على أعمالهم . والشرة (بالكسر) : الشر .

(١٣) يخطر : يمشى مزهوا لظفره بالأرواح . والأنصل : جمع نصل ، ويريد به السيف . والعوالى : الرماح .

رَيَّانَ من مُهَجِ الشَّبابِ كأَنَّما ... مُهَجُ الشَّبابِ سُلافَةُ الجِرْيَالِ (١٤)
وجَنَانُ مِصْرَ عَلَى جَنَاحَيْ طَائرٍ ... مِمَّا أَلَحَّ عليه مِنْ أَهْوال (١٥)
تَرْنُو إِلى أَبنائِها بنَواظِرٍ ... غَرِقَتْ بماءِ شُؤُونِها الهَطّال (١٦)
وإِذَا بصَوْتٍ هزَّ مصرَ زئيرُه ! ... غضَبُ اللُّيوثِ حِمايةُ الأَشْبَال (١٧)
صوتٌ كصُورِ الحَشْرِ جَمَّع أُمَّةً ... منحلَّةَ الأَطْرافِ والأَوْصال (١٨)
فتطَلَّعتْ عَيْنٌ ، وأَصْغَت بعدَها ... أُذُنٌ ، وهمَّت أَلْسُنٌ بسؤال (١٩)
مَنْ ذلك الشَّعشَاعُ طال كأَنَّه ... صدرُ القَنَاةِ وعامِلُ العَسَّال ؟ (٢٠)

---

(١٤) المهج : هنا الدماء . والجريال : الخمر ، وسلافتها : ما تحلّب وسال قبل العصر ؛ وهو أفضل الخمر .

(١٥) الجنان : القلب ، ووجود الجنان على جناحى طائر كناية عن اضطرابه فزعا وهمّا . وألحّ : دام وتتابع فى شدة .

(١٦) ترنو : تديم النظر . والشؤون : عروق الدموع . والهطال : المتتابع المنهمر . يصف فى هذا البيت والأبيات الثمانية قبله ثورة مصر لنيل استقلالها وما انتابها فى ذلك من شدة وعنت واضطراب .

(١٧) الزئير : صوت الأسد ، شبه به صوت الراحل فى قوته وشدته . والليوث : الآساد . والأشبال : أولادها . ولما جعل الفقيد ليثا جعل أبناء مصر له كالأشبال من الأسد . وأشد ما يرى الأسد غاضبا حين يدافع عن أشباله .

(١٨) الصور : القرن ينفخ فيه . والحشر : الجمع ، يريد يوم القيامة . ويشير بصور الحشر إلى قوله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور) . والأوصال : الأطراف ؛ الواحد : وصل (بالكسر وبالضم) . ومنحلة الأطراف والأوصال ، أى لا رابطة بين أهليها . جعل أثر نداء سعد فى جمع الأمة حوله كأثر الصور فى جمع الناس يوم القيامة لا يتخلف عنه أحد .

(١٩) يقول إن الناس تلقوا نداء سعد بدهشة واهتمام .

(٢٠) الشعشاع : الطويل . والقناة : الرمح . وصدرها : معظمها وهو ما يلى السنان . والعسال : الرمح الخطار . وعامله : صدره . يصفه بالطول وهو ممدوح فى الرجال .

مَنْ ذلكَ النَّمِرُ الوَثُوبُ؟ وذلكَ الـ أَسَدُ المُزَمْجِرُ ذو النِّداءِ العالى؟ (٢١)
ومَنْ الذى اخْتَرقَ الصُّفوفَ كأَنَّه قَدَرُ الإلهِ يسيرُ غيرَ مُبالى؟ (٢٢)
سَعْدٌ، وحسبُكَ من ثلاثةِ أَحْرفٍ ما فى البَرِيَّةِ من نُهًى وكمال (٢٣)
كُتُبَ الكتائبِ حَوْلَ مِصرَ سِلاحُها صبْرُ الكريمِ، وهِمَّةُ الفعَّال (٢٤)
ومِنَ السُّيوفِ إِرادةٌ مَصْقولةٌ طُبِعَتْ ليومِ كريهةٍ ونِزال (٢٥)
ومِنَ السَّوابغِ حِكْمةٌ سَعْدِيَّةٌ تُزْرى بوَقْعِ أَسِنَّةٍ ونِبَال (٢٦)
ومِن الحصونِ فؤادُ كلِّ مُصابرٍ جَهْمِ العَزيمةِ ضاحكِ الآمال (٢٧)
فَمَضَى إلى النَّصرِ المُبينِ مُؤزَّرًا والشَّعبُ يَهتِفُ باسْمه ويُغالى (٢٨)

---

(٢١) يقال: زمجر الأسد، وذلك اذا زاد زئيره. جعله كالنمر فى وثباته الجريئة لا يكاد يخطىء فريسته فى واحدة منها، وكالأسد اذا صات غاضبا خلع الأفئدة وأرعد الفرائص.

(٢٢) قدر الاله: قضاؤه الذى يصيب به عباده ولا مرد له اذا نزل ولا دافع له إذا حم يصف فى هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله ما تولى الناس من إعجاب بصفات الزعيم الراحل جسمية وخلقية، فمن طول محمود، الى جرأة النمر فى وثبته، وصوت الأسد فى غضبه، الى نفاذ فى الأمور كالقدر ينطلق لا يبالى ما أمامه.

(٢٣) النهى: العقول؛ الواحدة: نهية (بالضم). سميت كذلك لأنها تنهى عن القبيح.

(٢٤) كتب الكتائب: جمع الجيوش. ويريد جمعه للناس على المطالبة بحقهم. ولما جعلهم جيشا جعل سلاحهم الصبر على الشدائد والهمة الوثابة.

(٢٥) طبعت: صيغت وعملت. والكريهة: الشدة. والنزال: القتال والطعان. أى إن لهم من إرادتهم القوية ما يغنى غناء السيوف إذا ألم خطب أو عرا مكروه.

(٢٦) السوابغ: الدروع؛ الواحدة: سابغة. وسعدية: نسبة الى الزعيم الراحل سعد زغلول. وتزرى بوقع ... الخ، أى لا تباليها ولا تأبه لها. والأسنة: جمع سنان وهو نصل الرمح. والنبال: السهام. الواحد: نبل. جعل حكمة الفقيد وسداد رأيه كالدروع للمحاربين.

(٢٧) المصابر: الذى يبز غيره فى الصبر ويغلبه فيه. وجهم العزيمة: عابسها. وعبوس العزيمة دليل على قوتها وصلابتها. وضاحك الآمال: أى مملوء رجاء وثقة بنجاح أمنيته وأمله. جعل حصونهم التى يمتنعون فيها أفئدة اتصف أصحابها بصبر لا يمل وعزيمة جبارة وثقة ويقين بحقهم.

(٢٨) مضى: أى سعد. ومؤزرا: قويا.

وَهَدَى الشَّبَابَ إِلَى الْحَيَاةِ فَأَدْرَكُوا ... مَعْنَى الْحَيَاةِ وَعِزَّ الِاسْتِقْلَالِ (٢٩)

وَجَرَى يُغَبِّرُ ، لَا الْعَسِيرُ بِخَاذِلٍ ... أَمَلًا ، وَلَا نَيْلُ السُّهَا بِمُحَالِ (٣٠)

فَكَأَنَّهُ سَيْفُ الْمُهَيْمِنِ خَالِدٌ ... وَكَأَنَّ دَعْوَتَهُ أَذَانُ بِلَالِ (٣١)

مَا رَاعَهُ نَفْيٌ ، وَلَا لَعِبَتْ بِهِ ... فِي حُبِّ مِصْرَ زَعَازِعُ الْأَوْجَالِ (٣٢)

وَيَرَى الْحُتُوفَ وَقَدْ مَلَأْنَ طَرِيقَهُ ... نَارَ الْحُبَاحِبِ ، أَوْ وَمِيضَ الْآلِ (٣٣)

يَزْدَادُ فِي عَصْفِ الشَّدَائِدِ قُوَّةً ... وَيَجُولُ حِينَ يَضِيقُ كُلُّ مَجَالِ (٣٤)

---

(٢٩) يقول : إنه أرشد الشبان إلى طريق الحياة العاملة، ففهموا معنى الحياة وقيمة الاستقلال .

(٣٠) يغبر : أي يثير الغبار، وهذا كناية عن السرعة فى السير . والسها (بالألف والياء) : كوكب صغير من بنات نعش الصغرى ، يضرب به المثل فى الشىء البعيد إدراكه والحصول عليه . يصفه فى سعيه بأنه الدائب المقدام الذى لايعوقه عسير ، وبأنه الطموح الذى لا ينثنى عن بلوغ الغاية ، وإن بعدت .

(٣١) المهيمن : من أسماء الله تعالى . وخالد : هو خالد بن الوليد المخزومى الصحابى المعروف ، وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقوته وبأسه على الكفار وكثرة ما أبلى : سيف الله المسلول . وإلى هذا يشير الشاعر . وكانت وفاته فى خلافة عمر بن الخطاب . وبلال : هو بلال بن رباح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما كان أسرع المسلمين الى تلبية أذانه . جعل سعدا فى بطشه وقوته كخالد ، وفى اجتماع الناس حوله وتلبيتهم لندائه كبلال إذا أذّن للصلاة .

(٣٢) ما راعه : ما أفزعه ولا أخافه . وزعازع الأوجال ، أى شدائد المخاوف وما يعصف منها بالأفئدة ويزعزعها .

(٣٣) الحتوف : المهالك . والحباحب : اسم رجل بخيل كان لايوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان ، فضربوا بضعف ناره المثل . والحباحب أيضا : ذباب يطير بالليل له شعاع فى ذنبه كالسراج ؛ وربما جعلوا الحباحب لما يرى فى ذنبه كأنه نار . والآل : الذى يرى فى الصحراء طرفى النهار كأنه ماء . ووميضه : لمعانه وبريقه . أى انه يرى المهالك على شدتها كنار الحباحب استهانة بها ، وكوميض السراب فى أنه خيال لاحقيقة له ، فهو من أجل ذلك لايبالى بها ولا يهابها .

(٣٤) فى عصف الشدائد : فى شدتها وهيجانها . والمجال : السبيل والمسلك . أى كلما اشتد البأس زاده قوة ، وأنه يخلص من كل مأزق حين يعجز غيره عن الخلاص منه .

كَالشُّعْلَةِ الْحَمْرَاءِ لَوْ نَكَّسْتَهَا ... لَأَضَفْتَ إِشْعَالًا إِلَى إِشْعَالِ (٣٥)

وَالسَّيْلُ إِنْ أَحْكَمْتَ سَدَّ طَرِيقِهِ ... دَكَّ الْحُصُونَ فَعُدْنَ كَالْأَطْلَالِ (٣٦)

وَالصَّارِمُ الْفَصَّالُ لَمْ يَكُ حَدُّهُ ... لَوْلَا الْلَهِيبُ بِصَارِمٍ فَصَّالِ (٣٧)

*
* *

خَصْمٌ شَرِيفٌ نَالَ مِنْ خُصَمَائِهِ ... مَا نَالَ مِنْ إِجْلَالِ كُلِّ مُوَالِي (٣٨)

عَرَفُوهُ وَضَّاحَ السَّرِيرَةِ طَاهِرًا ... شَرُّ الْبَلَاءِ خُصُومَةُ الْأَنْذَالِ! (٣٩)

إِنَّ الشَّجَاعَةَ أَنْ تُنَاضِلَ مُصْحِرًا ... لَا أَنْ تَدِبَّ كَفَاتِكِ الْأَصْلَالِ (٤٠)

*
* *

---

(٣٥) الشعلة الحمراء : المتقدة المتوهجة . يشير الى ماهو مشاهد عند تنكيس عود الثقاب مثلا ليكون ذلك أسرع في التهابه واشتعاله. ونكستها : قلبتها رأسا على عقب. ويريد بالتنكيس ما كان ينال الفقيد من الأذى . جعله كالنار الملتهبة المشتعلة لا يزيدها التنكيس إلا قوة اشتعال وتأجج .

(٣٦) دك الحصون : أتى عليها وهدمها حتى سوّاها بالأرض . والأطلال : جمع طلل ، وهو ما يشخص من آثار الدار ويبقى بعد تهدمها . جعله كالسيل تزيده الحوائل التي تقام في طريقه قوة فيدك الحصون ويتركها أثراً بعد عين . وهذا البيت وما بعده في قوة المثل .

(٣٧) الصارم الفصال : السيف القاطع . يقول : كما أن النار هي التي تجعل السيوف قوية قاطعة كذلك الأهوال والحوادث هي التي جعلته شجاعا ماضيا .

(٣٨) الموالي : المناصر . أي إن خصمه كنصيره في اجلاله وتمجيده ، لشريف خصومته المبرأة من الأغراض والأهواء .

(٣٩) وضاح السريرة ، أي لايضمر سوءاً ولا شراً . والأنذال : جمع نذل ، وهو الخسيس الساقط .

(٤٠) مصحرا : أي بارزا ظاهرا . والأصلال : جمع صل (بالكسر) وهي الحية . أي ان الشجاع لايلجأ إلى الاختفاء من عدوه ثم الوثوب عليه ، كما تفعل الحية في سعيها الى من تريد الايقاع به .

إِنْ قَامَ يَخْطُبُ قُلْتَ حَيْدَرَةُ انْبَرَى ... لِلْقَوْلِ فِي سَمْتٍ وَصِدْقِ مَقَالِ (٤١)
إِعْجَازُ عَارِضَةٍ ، وَنُورُ بَدِيهَةٍ ... وَبَدِيعُ تَنْسِيقٍ ، وَحُسْنُ صِقَالِ (٤٢)
يَخْتَارُ مِنْ آيِ الْكَلاَمِ جَوَاهِرًا ... دُرَرُ الْبَلاَغَةِ كَاسْمِهِنَّ غَوَالِي! (٤٣)
مَا عَقَّهُ حُرُّ الْبَيَانِ ، وَلاَ جَرَتْ ... أُمُّ اللُّغَاتِ وَفَاءَهُ بِمِطَالِ (٤٤)
وَالسَّامِعُونَ كَأَنَّمَا لَعِبَتْ بِهِمْ ... صَهْبَاءُ قَدْ نُفِحَتْ بِرِيحِ شَمَالِ (٤٥)
فَإِذَا أُثِيرَ رَأَيْتَ (بُرْكَانًا) رَمَى ... حُمَمًا ، وَدَكَّ الْأَرْضَ بِالزِّلْزَالِ (٤٦)
مُتَنَمِّرًا كَاللَّيْثِ دِيسَ عَرِينُهُ ... مُتَوَثِّبًا يَدْعُو الرِّجَالَ نَزَالِ (٤٧)

---

(٤١) حيدرة : الأسد ، وهو لقب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين ويقول فى ذلك : ✲ أنا الذى سمتنى أمى حيدرة ✲

وهو معروف بالفصاحة فى القول ، وخطبه مجموعة فى كتاب (نهج البلاغة) . وفى سمت ، أى فى حسن هيئة ووقار .

(٤٢) العارضة : البيان واللسن . وإعجازها ، أن تصل إلى مدى لايستطاع الوصول اليه . والتنسيق : التنظيم . والصقال : صقل الألفاظ والاتيان بالواضح الأخاذ منها .

(٤٣) الآى : جمع آية ، وهى المعجزة . وغوالى ، جمع غالية .

(٤٤) عقه : امتنع عليه وخانه . وحر البيان : خالصه ونقيه . وأم اللغات : اللغة العربية . ووفاءه ، أى وفاءه لها بنصرتها . ويشير بذلك إلى رآسته للمؤتمر المصرى الذى كان من همه جعل التعليم فى المدارس المصرية باللغة العربية (ما عدا اللغات) وقد كان باللغة الانجليزية . والمطال : التسويف وعدم الوفاء .

(٤٥) الصهباء : الخمر ، سميت بذلك للونها . ونفحت بريح شمال ، أى هبت عليها ريح الشمال الباردة فأكسبتها برودة ، والخمر تسوغ وتجود إذا كانت كذلك . جعل بيانه فى لعبه بالعقول كالخمر .

(٤٦) أثير : استفز وهيج . والحمم : ما يقذف به البركان من المواد الملتهبة . جعله فى غضبته كالبركان يثور فيغطى الأرض بناره ، ويدكها بما يصحبه من زلزال .

(٤٧) متنمرا : عابسا متجهما . وعرين الأسد : مأواه . ومتوثبا : واثبا . ونزال : اسم فعل أمر بمعنى : انزل . ويريد بها الدعوة إلى النضال .

كَلِمٌ إِذَا حَدَرَ اللِّثَامَ رَأَيْتَهَا حَالَتْ إِلَى مَسْنُونَةٍ وَنِصَالِ (٤٨)
لَا تَذْكُرُوا نَارَ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا نَارُ الصَّوَاعِقِ عِنْدَهَا كَذُبَالِ! (٤٩)

***

نَفْسٌ كَأَنْفَاسِ الْمَلَائِكِ طُهِّرَتْ وَشَمَائِلٌ أَحْلَى من السَّلْسَالِ (٥٠)
وَتَوَاضُعُ النُّسَّاكِ فِيهِ يَزِينُهُ شَمَمُ الْمُلُوكِ وَعِزَّةُ الْأَقْيَالِ (٥١)
وَخَلَائِقٌ كَالزَّهْرِ سَارَ عَبِيرُهُ مَا بَيْنَ أَمْوَاهٍ وَبَيْنَ ظِلَالِ (٥٢)
وَعَزِيمَةٌ جَبَّارَةٌ لَوْ حُمِّلَتْ أُحُداً لَمَا شَعَرَتْ له بِكَلَالِ (٥٣)
وَشَجَاعَةٌ فِي اللهِ يَكْلَؤُهَا الْحِجَا وَالْحَزْمُ فِي الْإِدْبَارِ وَالْإِقْبَالِ (٥٤)
وَعَقِيدَةٌ لَوْ هُزَّتِ الْأَجْبَالُ مِنْ ذُعْرٍ لَمَا اهْتَزَّتْ مَعَ الْأَجْبَالِ (٥٥)

***

---

(٤٨) اللثام : ما كان على الفم من فضل العمامة . حدره : أزاله عن موضعه . ويريد بحدره للثام : استعداده للخطابة . وحالت : تحولت . ويريد بالمسنونة : الرماح ؛ وبالنصال : السيوف جعل أثر كلامه كأثر الأسنة والسيوف .

(٤٩) الصواعق : جمع صاعقة وهى نار تسقط من السماء لا تمر على شيء إلا أحرقته . والذبال : جمع ذبالة وهى فتيلة المصباح . جعل نار الصواعق إذا قيست إلى لاذع كلماته كالذبالة فى نارها الهينة .

(٥٠) أنفاس الملائكة طاهرة لأنها تمتزج بالصلاة والتسبيح ، والشمائل : الطباع ؛ الواحد : شمال (بالكسر) . والسلسال : الماء العذب .

(٥١) النساك : جمع ناسك وهو العابد المتزهد المتقشف . والشمم : الاباء والأنفة . والأقيال : جمع قيل ، وهو الرئيس .

(٥٢) عبير الزهر : ما ينبعث عنه من ريح طيبة . والأمواه : المياه .

(٥٣) أحد : جبل معروف ، كانت عنده غزوة عرفت به . والكلال : التعب والاعياء .

(٥٤) يكلؤها : يحفظها ويرعاها . والحجا : العقل . وفى الادبار والاقبال ، أى فى شدته ورخائه .

(٥٥) جعل عقيدته أرسخ وأثبت من الجبال .

دَارُ النِّيَابَةِ عُوجِلَتْ فِي مِدْرَهٍ ... كَانَ الزَّمَانُ بِهِ مِنَ الْبُخَّالِ (٥٦)
ضُرِبَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ لَمَّا أَنْ غَدَا ... فِي دَهْرِهِ فَرْداً بِلَا أَمْثَالِ (٥٧)
قَدْ كَانَ فَيْصَلَهَا إِذَا عَجَّتْ بِهَا ... لُجَجُ الْخِلَافِ وَلَجَّ كُلُّ جِدَالِ (٥٨)
يَزِنُ الْكَلَامَ كَمَا يُوَازِنُ صَيْرَفٌ ... فِي النَّقْدِ مِثْقَالاً إِلَى مِثْقَالِ (٥٩)
وإِذَا الْحَقِيقَةُ أَظْلَمَتْ أَسْدَالُهَا ... صَدَعَ الدُّجَى فَبَدَتْ بِلَا أَسْدَالِ (٦٠)
جَمَعَ الْقُلُوبَ عَلَى الْوِفَاقِ وصَانَه ... مِنْ وَهْنِ رِعْدِيدٍ وَطَيْشِ مُغَالِي (٦١)
لَمْ يَنْتَقِلْ حَتَّى تَفَجَّرَ نَبْعُهُ ... وشَفَى النُّفُوسَ نَمِيرُهُ بِزُلَالِ (٦٢)

---

(٥٦) عوجلت : أى دهمها الموت فى مدرهها . والمدره : زعيم القوم والمتكلم عنهم .

(٥٧) الأمثال (الأولى) : جمع مثل (بالتحريك) وهو القول السائر . وأمثال (الثانية) : جمع مثل (بكسر أوله أو بالتحريك) : وهو الشبيه والنظير .

(٥٨) الفيصل : القاضى يفصل فى الأمور بثاقب رأيه . وعجت : اشتدت وثارت . ولج الخلاف : قوى وهاج تشبيها له بلجج البحر ، وهى معظمه حيث يشتد ماؤه .

(٥٩) الصيرف : الصرّاف . يصف الفقيد بقوة تخيره للألفاظ ، وانتقائه للعبارات ووضعها فى مواضعها ، وأنه فى ذلك كالصيرف دقة وحرصا وحسن تقدير وضبط .

(٦٠) الأسدال : الستور ترخى فتحجب ما وراءها . ولما كان الحق كالنور إشراقاً ووضوحا ، كان خفاؤه ظلمة . وصدع : شق . يصف الفقيد بحسن البيان وقوة الحجة ، وأن الحق بفضلهما يعود أبلج واضحاً ، بعد أن كان مستوراً خفياً .

(٦١) الوفاق : الاتحاد بين أبناء مصر على اختلاف أديانهم . صانه : حفظه ووقاه . والوهن : الضعف والخور . والرعديد : الجبان . والطيش : الخرق فى الرأى والشطط فى التقدير . ويريد بوهن الرعديد وطيش المغالى : تثبيط المثبطين جبنا وضعفا ، ونزق المتطرفين فى الرأى ، وما يجره هذا وذاك من تفويت للنفع وتعرّض للمضار .

(٦٢) النبع : عين الماء ، والضمير فيه يعود على الوفاق . والنمير : الماء الناجع فى الرى . والزلال : المـاء البارد العذب الصافى . يقول إن الفقيد لم ينتقل إلى الآخرة ، حتى نعم أهل مصر وشفوا أنفسهم بالحصول على خير نتائجه .

عَقَدَ الإلهُ عُراهُ جَلَّ جَلالُهُ أَتَرَى لِعَقْدِ اللهِ مِنْ حَلاَّلِ ؟ (٦٣)

*
* *

لَهْفِي عَلَيْهِ وَهْوَ رَهْنُ فِرَاشِهِ مُتَفَزِّزاً مِنْ دائِه القَتَّالِ ! (٦٤)
لَهْفِي عَلَى لَيْثِ الكِنَانَةِ أُغْمِدَتْ أَظْفَارُهُ مِنْ بَعْدِ طولِ صِيَالِ ! (٦٥)
قَنَصَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ واحِدَ دَهْرِهِ ورَمَتْهُ مِنْ أَدْوَائِها بِعُضَالِ (٦٦)
يَرْنُو إِلَيْهِ العَائِدُونَ بِأَعْيُنٍ غُزْرِ الدُّمُوعِ كَثِيرَةِ التَّسْآلِ (٦٧)
مُتَقَدِّمِينَ ، تَسُوقُهُمْ لَمَعُ المُنَى مُتَرَاجِعِينَ ، مَخَافَةَ الإِعْوَالِ (٦٨)
والمَوْتُ يَسْخَرُ بالحَيَاةِ وطِبِّها جُهْدُ الحَيَاةِ نِهَايَةُ الآجَالِ ! (٦٩)

---

(٦٣) العرا : جمع عروة ، وهى من الثوب أخت زره . والضمير فى عراه يعود إلى الوفاق . وعقد العرا : كناية عن القوة والاحكام .

(٦٤) رهن فراشه ، أى طريح الفراش لا يملك مغادرته إعياء ووهنا . ومتفززا : لا يقر على حال ولا يستقيم على جنب من تباريح الألم . يتوجع لما نزل بالفقيد من ألم مضن فى مرض موته .

(٦٥) يريد « بليث الكنانة » : الفقيد . جعله للكنانة ليثا لدفعه عنها وذوده عن حياضها كما يدفع الليث عن عرينه ويحميه . وإغماد الأظفار فى الليث من مظاهر فتوره وضعف سطوته وانحلال قوته ؛ ويريد به الموت . ولما جعل الفقيد ليثا حسن أن يكنى عن موته باغماد الأظافر .

(٦٦) بنات الدهر : نائباته . والعضال من الأدواء : المستعصى منها على الشفاء .

(٦٧) يرنو : يديم النظر فى سكون . والتسآل : السؤال . جعل العيون فى حيرتها وما تنطق به من لهفة وجزع وإدامتها النظر إليــه كالملحة فى السؤال ، وذلك لما تحمله نفوس ذويها من حب للفقيد وتعلق به .

(٦٨) لمع المنى : بارقات الرجاء . والاعوال : البكاء مع صوت . يصف العائدين ، يملأ الرجاء فى شفاء الفقيد نفوسهم فيتقدمون لرؤيته ، ثم تمتلىء نفوسهم جزعا وهمّا لما هو فيــه فيخافون الانفجار بالبكاء ، فيرجعون عنه حتى لا يزيدوا إلى ألمه ألما .

(٦٩) الطب : العلاج . يقول : إذا حمّ القضاء فلا ينفع الطب والدواء ، وما أمام الممعن فى الحياة إلا الموت ، فهو غاية الجميع ، والأمد الذى ينتهون إليه من مطافهم .

وَالشَّعْبُ يَسْأَلُ: كَيْفَ سَعْدٌ؟ مَالَهُ؟ ... وَالنَّاسُ فِي ذُعْرٍ وفي بَلْبَالِ (٧٠)
يَفْدُونَ لِلْبَيْتِ الْكَرِيمِ كَأَنَّهُمْ ... زُمَرُ الْحَجِيجِ تَسِيرُ فِي أَرْسَالِ (٧١)
يَفْدُونَ بِالنَّفْسِ الرَّئِيسَ ، وَإِنَّمَا ... نَفْسُ الرَّئِيسِ بِقَبْضَةِ الْمُتَعَالِي ! (٧٢)
عَرَفُوا الْجَمِيلَ ، وَلَا تَزَالُ بَقِيَّةٌ ... فِي النَّاسِ لِلْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ ! (٧٣)
مَنْ يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ فَإِنَّمَا ... بِفِعَالِهِ يَشْرِيهِ ، لَا بِالْمَالِ (٧٤)

*
* *

يَا أَيُّهَا النَّاعِي ! حَنَانَكَ ! إِنَّمَا ... هِيَ أُمَّةٌ أَضْحَتْ بِغَيْرِ ثِمَالِ ! (٧٥)
مَاذَا تَقُولُ وَلِلرَّزِيئَةِ رَوْعَةٌ ... تُغْنِي بَلَاغَتُهَا عَنِ الْأَقْوَالِ ؟ (٧٦)
مَنْ كَانَ يَرْثِي أُمَّةً فِي وَاحِدٍ ... تَكْفِيهِ بَارِقَةٌ مِنَ الْإِجْمَالِ (٧٧)

---

(٧٠) البلبال : همّ النفس وما يعتريها من وساوس وأحزان . جعل وقع مصابه في النفوس عظيما لعظم مكانته . وهذا ما سيعود إلى وصفه في البيتين الآتيين .

(٧١) الزمر : الجماعات . والأرسال : جمع رسل (بالتحريك) . وهو الجماعة من كل شيء ، يصف تزاحمهم حول بيته وذهابهم إليه جماعات جماعات ، يسألون عنه لتطمئن نفوسهم .

(٧٢) بقبضة المتعالى : بيد الله سبحانه وتعالى . أي إن الناس من فرط حبهم للرئيس يودون لو يفدونه بالأرواح ، ويستخلصون حياته من يد الموت ؛ ولكن أني لهم ذلك وأمره إلى الله ، إذا أراد شيئاً فلا مرد له .

(٧٣) الاجمال : الاحسان في الصنع . جعل ما أظهره الناس من شعور نحو الفقيد وما نزل به ، عرفانا لجميله عليهم واعترافا بفضله فيهم .

(٧٤) يقول : من أراد أن يخلد له بين الناس ذكراً طيباً ، وثناء عطراً ، فسبيله إلى ذلك عمل طيب يقدمه ، كما أسلف الفقيد إلى أمته فترك فيها مجداً وذكراً باقيين على الدهر .

(٧٥) الثمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه . يذكر خوفه على هذه الأمة بعد أن حال الموت بينها وبين زعيم أمرها وباعث نهضتها ، وكيف أنها أصبحت بعده كمن لا عائل له يصرّف شؤونه .

(٧٦) الرزيئة : المصيبة لا قوة على احتمالها . جعل لسان الحال أفصح من لسان المقال في الافصاح عما ناب الأمة ودهاها ، من فقد رجلها الذي كانت تعول عليه .

(٧٧) البارقة : الومضة . والاجمال : الاختصار . ويريد : « بالبارقة من الاجمال » : اللمحة أو الاشارة . يقول : من عرض لرثاء عظيم يمثّل أمة كسعد ، فحسبه في ذلك كلمة .

وَإِذَا الْبَيَانُ أَبَى عَلَيْـهِ فَرِيدُهُ فَالدَّمْعُ فِيـهِ فَرَائِدٌ وَلآلِى (٧٨)

*
* *

سَارَتْ مَطِيَّةُ نَعْشِهِ عُجْبًا بِهِ تَخْتَالُ بَيْنَ الوَخْدِ والْإِرْقَالِ (٧٩)

فِيهَا ـ كَتَابُوتِ الْكَلِيمِ ـ سَكِينَةٌ وَبَقِيَّـةٌ مِنْ هَيْبَـةٍ وَجَلَالِ (٨٠)

لا تَحْمِلُوهُ عَلَى المَدَافِعِ إِنَّمَـا فَخْرُ الزَّعِيمِ قِيَادَةُ الأَعْزَالِ (٨١)

أَجْدِرْ بِمَنْ حَمَـلُوهُ فِي غَزَوَاتِهِ أَنْ يَحْمِلُوهُ عَشِيَّةَ التَّرْحَالِ (٨٢)

*
* *

سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الزَّعِيمِ ، فَإِنَّهُ سَنَنُ الْهُدَى وَجَلَائِلِ الأَعْمَالِ (٨٣)

---

(٧٨) فريد البيان : عزيزه ونادره ، من كل قول مستملح وعبارة طريفة نادرة . والفرائد : الجواهر النفيسة ؛ الواحدة : فريدة ، يقول : إن عزّ القول واستعصى ففى البكاء غنية وكفاء ، وهو والكلام فى الافصاح عما فى النفس سواء .

(٧٩) المطية : الدابه تمتطى ، أى يعتلى مطاها ، وهو ظهرها . جعل النعش مطية . والوخد والارقال : ضربان من السير فيهما سعة خطو . جعل النعش فى سيره كأنه يتهادى عجبا ، وذلك لعظمة من يحمله .

(٨٠) الكليم : هو موسى عليه السلام . يشير إلى قوله تعالى : « إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة » . جعل تابوته فى هيبته وجلاله كذلك التابوت المشار إليه فى الآية الكريمة .

(٨١) يشير بهذا البيت إلى حمل نعش الفقيد على المدفع ، ويقول : جنّبوا نعشه أن يحمل على المدافع ، فلقد كان رجل سلم ، وفى حمله على المدافع ما يدل على غير ذلك . ولقد كان الفقيد الراحل يفخر بقيادته أمة عزلاء لمناهضة أمة تملك من السلاح والعدة ما يعز على غيرها .

(٨٢) يريد بالغزوات : حملات الراحل على أعدائه حملات كان سلاحه فيها لسانه وبيانه والحق الذى جرّد نفسه للدفاع عنه . وعشية الترحال : ساعة الوداع ونقله إلى مقره الأخير . يقول : إن أحق الناس بحمله جنده العزل من السلاح الذين طالما حملوه على أكتافهم فى حياته ، فهؤلاء أولى بحمله فى مماته .

(٨٣) السنن : الطريق يقول : إن الزعيم الراحل قد اختط خطة قويمة فيها الفلاح والغنم ، فلا تتحولوا عنها حتى تصلوا إلى الغاية المنشودة .

قَدْ خَطَّ مِنْ أَخْلَاقِهِ وجِهَادِهِ ... لِلْفِتْيَةِ السَّارِينَ خَيْرَ مِثَالِ (٨٤)

إِنْ كَانَ لَمْ يَنْجُلْ فإِنَّ لَهُ بِكُمْ ... عَدَدَ النُّجُومِ الزُّهْرِ مِنْ أَنْجَالِ (٨٥)

لا تيأَسُوا، فلَكَمْ أُبِيدَتْ قَبْلَكُمْ ... أُمَمٌ بِيَأْسٍ قَاتِلٍ وَمَلَالِ (٨٦)

إِنَّ الشُّعُوبَ تُصَابُ فى أَبْطَالِهَا ... وحَيَاتُها فى سِيرَةِ الأَبْطَالِ ! (٨٧)

هِيَ قُدْوَةٌ لِلعَامِلِينَ ، وَأُسْوَةُ الْـ ... ـمُسْتَبْسِلِينَ ، وَقِصَّةُ الأَطْفَالِ (٨٨)

سَعْدٌ حَيَاةٌ فى المَمَاتِ ، وَقَبْرُهُ ... مَهْدُ الجِهَاد وَمَجْدُ الاسْتِقْبَال (٨٩)

أَحْرَى بِمَنْ وَهَبَ الْحَيَاةَ لِقَوْمِهِ ... أَلَّا تُمَسَّ حَيَاتُهُ بِزَوَال (٩٠)

---

(٨٤) يصف ما أوتيه الفقيد من خلق قوى وجهاد لاتحول معه ، وفى هذا وذاك ما لو أتيح لمن بعده الاتصاف به ليضمنوا ما نهضنا من أجله .

(٨٥) لم ينجل : لم يعقب ولدا . والزهر المتلألئة المشرقة . يقول : ان مات سعد عن غير ولد فحسبه أمة فيها العدد العديد تدين له بالبنوة لأنها على رأيه وعقيدته .

(٨٦) أبيدت : أهلكت . ينصح لأمته وعشيرته بألا يجعلوا اليأس يملكهم بموت زعيمهم ، ذاكرا لهم أن اليأس قاتل ، وأنه ما من أمة استشعرت اليأس فى مسعاها الا كان الفناء نصيبها .

(٨٧) يقول : ان الأمم تفجع بموت أبطالها ، ولكنها تحيا باحتذاء سيرتهم وترسم خطاهم .

(٨٨) هى : أى سيرة الأبطال . الأسوة (بالكسر والضم) : مايؤتسى به ويقتدى . والمستبسلون : الشجعان . أى ان فى حياة الفقيد ما لو ترسمه العاملون ، واحتذاه الشجعان ، وجعله الأطفال سمرهم لأفلحوا وبلغوا غاية الكمال .

(٨٩) مهد الجهاد : موطنه ومبعثه . يقول : ان سعدا حى فى مماته بذكراه ، وان هذا القبر الذى ضمه عنوان للجهاد والجد ، كما أنه فخر الحاضر ومجد المستقبل .

(٩٠) يقول : خليق بمن بعث الحياة فى أمته أن يظل حيا بذكراه بينهم بعد مماته .

دَمْعَةٌ عَلى صَدِيق

فى اليوم الأول من شهر مارس سنة ١٩٣٦ انتقل الى جوار ربه المرحوم الأستاذ « أبو الفتح الفقى » وكيل دار العلوم ، ورئيس جماعة دار العلوم ، فكان لنعيه وقع على القلوب أليم ، وفقدت مصر بفقده عالما من أفاضل علمائها ، ورجلا من خيرة رجالها .

وكان رحمه الله صديقا حميا للشاعر ، فبكاه ورثاه بهذه القصيدة التى ألقيت فى الحفلة التى أقامتها لتأبينه جماعة دار العلوم بدار الأوبرا الملكية فى مساء الاثنين ٢٠ من ابريل سنة ١٩٣٦

مَلَكَ الْمُصَابُ عليهِ كُلَّ جهاتِه إِنْ كانَ مِن صَبْرٍ لَدَيْكَ فهاتِهِ ! (١)
أَسْوانُ تَعْرِفُهُ إِذا اخْتَلَطَ الدُّجَى بالنَّبْرَةِ السَّوْداءِ فى أَنَّاتِه (٢)
يَبْكِى ويَنْظُرُ فى السَّماءِ مُصَعِّداً ما يَبْتَغِى الْحَيْرَانُ مِنْ نَظَراتِه ؟ (٣)
خَفَقَانُ نَجْمِ الأُفْقِ مِن خَفَقَانِه وَهَجِيرُ قَيْظِ الْبِيدِ مِنْ زَفَراتِه ! (٤)

---

(١) ملك المصاب عليه كل جهاته ، أى استولى عليه وغلبه على جميع أمره فأصبح لايرى الا حزينا فى حركاته وسكناته . وان كان من صبر . . . الخ ، أى ان الصبر قد أعوزه فبات لايجده فهو يسأل غيره أن يمده به ليقوى على احتمال ما كان .

(٢) الأسوان : الحزين . والدجى : الظلام ؛ الواحدة : دجية (بالضم) . واختلاط الدجى : ركوب بعضه بعضا وذلك اذا اشتد وتناهى . والنبرة : الصوت . ويريد بالنبرة السوداء : صوته الحزين . والأنات : مايصدر عن الموجع من آهات وتأوهات .

(٣) مصعدا ، أى متردد النظرات لايكاد يستقر بصره فى بقعة . والحيران : الذى تشعبت أمامه السبل فلا يدرى بأيها يأخذ ، وما يبتغى الحيران ... الخ ، أى انها نظرات فى غير جدوى ، ولا الى قصد ، ولكنه الحزن يدفع النفس الحزينة الى الحيرة والذهول .

(٤) يريد بخفقان النجم : اضطرابه فى تألقه : وهجيرالقيظ : شدة الحر . والبيد : الصحارى والفلوات يبيد فيها الانسان ويهلك ؛ الواحدة : بيداء . والزفرات : امتداد النفس من شدة الغم والحزن ، الواحدة : زفرة (بالفتح) . يقول ان اضطراب النجم على دوامه بعض اضطراب هذا الحزين وشىء منه ، وحرارة البيد فى شدتها جزء من حرارة زفراته وتأججها . وهذا أقصى ما يوصف به حزين اضطرابا وحرقة حزن .

وبُكاءُ كلِّ غمامةٍ هتّانةٍ ... مِنْ بعضِ ما يُبْدِيهِ مِنْ عَبَرَاتِه (٥)
ونُوَاحُ ذاتِ الطوْقِ فى أعْوادِها ... ما تُرْسِلُ الأقْلامُ مِن نفثاتِه (٦)
يرْثى فيحتبِسُ البكاءُ بصوْتِه ... أينَ الرَّخيمُ العَذْبُ مِنْ أصْواتِه ؟ (٧)
فى صَدْرِه قلِقُ الجوانِح مُوجَعٌ ... مَلَّتْ نُجُومُ الليلِ من دقّاتِه (٨)
كالطَّيْرِ فى قفصِ الحديدِ مُوثَّقا ... قد أوْهنَ الأسْلاكَ مِن خفقاتِه (٩)
يبْكي ويَضْرِبُ بالجَنَاحِ مُجرَّحًا ... يا وَيْلَ ما فعلتْ يمينُ رُماتِه ! (١٠)

*
* *

نُوَبٌ كليْلاتِ المَحَاقِ تتابَعتْ ... مُتَشابِهاتٍ ، هذه مِن هاتِه (١١)
وبناتُ دهْرٍ قد زَحَمنَ مَنَا كِبي ... وَيلاهُ ! لوْ أسْتَطيعُ وَأْدَ بناتِه ! (١٢)

(٥) الهتانة : ذات الماء المنهمر . والعبرات : الدموع . جعل ما يرسله من الدموع فوق ما ترسله السحب ، مبالغة فى كثرة بكائه .

(٦) النواح : البكاء فى صياح وعويل . وذات الطوق : الحمامة . والطوق لون يحيط بعنقها يخالف لون سائر جسمها . والأعواد : الأغصان . وما ترسل الأقلام : ما تخطه . ونفثاته هنا : شعره . يقول لم يكن نوح الحمام إلا ترديداً لشعرى الحزين فى رثاء الفقيد .

(٧) الصوت الرخيم : اللين السهل . أى إنه قد غصّ بالبكاء فلم يعد يقوى على إظهار صوته العذب الرخيم .

(٨) قلق الجوانح ، أى قلب مضطرب شديد الخفقان . وملت : سئمت وضجرت . يقول : إن شدة دقات القلب من كثرة ما أوجعه من الألم ، قد أضجرت النجوم وأقلقتها مع بعد ما بينهما .

(٩) الطير : الطائر يطلق على الواحد والجمع . وموثقاً ، أى قد أحكم صنعه وإغلاقه . وأوهن الأسلاك : أضعفها وألان من صلابتها . وخفقاته : ضرباته بجناحيه . جعل قلبه لكثرة ما أوهن الأضلاع بخفقانه كطير سجين فى قفص قد أوهن أسلاكه بخفقاته .

(١٠) مجرحا : أى بجناح كثرت جراحاته .

(١١) النوب : المصائب تنوب بها الأيام وتصيب . والمحاق (بالتثليث) : آخر الشهر ، وقيل ثلاث ليال من آخره . أي إنها مدلهمة حالكة كليالى المحاق كلها سود .

(١٢) بنات الدهر : حادثاته وشدائده . وزحمن منا كبي ، أى أثقلننى لكثرتهن حتى عييت بحملهن . وويلاه ، أى ما أشد عذابى . ووأد البنت : دفنها فى القبر وهى حية ، فعلت العرب ذلك مخافة العار والحاجة . وقديما كانت كندة تئد بناتها . يشكو كثرة ما يصيبه به الدهر من حوادث ، ويود لو استطاع أخذها قبل أن تأخذه .

أَوْدَى (أَبو الفتحِ) الْمُرَجَّى واختَفَى — عَلَمٌ طَوَاه الدهرُ فى طَيَّاتِهِ (١٣)
وانحازَ للرَّكْبِ الذى مِن آدمٍ — ما زَال يُزْعِجُنَا رَنِينُ حُدَاتِه (١٤)
سارتْ به الْأَحْبَابُ تَسْتَبِقُ الْخُطَا — والقلْبُ مَكْظُومٌ عَلَى حَسَرَاتِه (١٥)
فَوقفتُ أَنْظُرُ فى الفَلاةِ فلم أَجِدْ — إِلَّا جلالًا فى فَسِيحِ فَلاتِه! (١٦)

* * *

يا جَامِعًا شَمْلَ الشُّيوخِ بحَزْمِهِ — مَنْ ذَا يَلُمُّ اليومَ مِن أَشْتَاتِه؟ (١٧)
يَمْشِى الرَّعيلُ نواكسًا أَبصارُهُ — مِن بعدِ ما عَبِثَ الرَّدَى بحُمَاتِه (١٨)
أَلْوَى بِعَزْمَتِهِ وَهَدَّ شِمَاسَهُ — قَدَرٌ أَطَاحَ القَرْمَ عَن صَهَوَاتِه (١٩)

---

(١٣) أودى : مات . والمرجى : من يرجى لتحقيق الآمال . وعلم : أى رجل من رجالات مصر المشهورين ، جعله كالراية فى الظهور والعزة . ولما جعله علما جعل موته طيا .

(١٤) انحاز : مال . والركب : ركبان الابل والخيل ، اسم جمع ، وقيل جمع على خلاف الأصل . شبه بهم الراحلين عن الدنيا . الحداة : الذين يرفعون الصوت بالغناء يستحثون بذلك الابل على المسير . شبه الجنائز وما يحيط بها من أصوات بالركب والحداة . إلا أنه حداء يزعج النفس ويؤلمها .

(١٥) تستبق الخطا : تسرع . والحسرات : جمع حسرة ، وهى شدة اللهفة على الفائت . ومكظوم على الحسرات ، أى قد أغلق عليها فانحبست فيه .

(١٦) الفلاة : القفر . ويريد بها حيث قبور الموتى . يصف ما ملك نفسه من خشية ورهبة عند ما ردد طرفه بين القبور .

(١٧) الشمل (هنا) : ما تفرق من الأمر . ويريد بالشيوخ : رجال التعليم المتخرجين فى دار العلوم ، ويشير بجمعه لشملهم : إلى أثره فى تكوين جماعة دار العلوم وتوحيد صفوف أبنائها . وأشتاته : أى ما تفرق منه ؛ الواحد : شت (بالفتح) .

(١٨) الرعيل : القطعة من الجياد شبه به جماعة دار العلوم . ونواكسو الأبصار : مطأطئو الرءوس ، أبصارهم إلى الأرض . والحزين أكثر ما يرى مطرقا . والعبث : الافساد . والردى : الموت . والحماة : المدافعون والمانعون ؛ الواحد : حام .

(١٩) ألوى بعزمته : أتى عليها وأوهنها . وشماسه : أى عزته وتأبيه وامتناعه . والضمير فى عزمته وشماسه يعود على الرعيل فى البيت المتقدم . والقدر : القضاء . وأطاح : أزال وأذهب . والقرم : السيد العظيم ، تشبيها له بالفحل لم يمسه حبل ولم يحمل عليه . والصهوات : جمع صهوة (بالفتح) وهى مقعد الفارس من الفرس . جعل مكانه فى الحياة مجاهدا ، كمكان الفارس على ظهر فرسه . وجعل موته كتردى الفارس من فوق فرسه ، وفى هذا هلاكه .

حَيْرَانُ يعــثرُ بالأَعِنَّةِ مثلما ... يتعثَّرُ التَّمتامُ فى تاءاتِه (٢٠)

يَطفُو نَشِيجُ اليَأْسِ من لَهَوَاتِه ... وتـئزُّ نارُ الشَّوْقِ فى لَبَّاتِه (٢١)

سارتْ به الفُرْسانُ تَخْبِطُ فى الدُّجَى ... والرَّكبُ قدزاغتْ عُيونُ هُداتِه (٢٢)

يَبْكُون للطِّرْفِ المُخَلَّى سَرْجُه ... والفارسِ المُنْبَتِّ عن غاياتِه (٢٣)

يَبْكُون للدِّرْعِ المطَرَّحِ حَطَّمَتْ ... أَيدِى الزَّمانِ العُسْرُ من حَلَقاتِه (٢٤)

يَبْكُون أَطْولَهم يداً ، وأَبَرَّهم ... كفًّا ، وأَسْبَقَهم إلى قَصَباتِه (٢٥)

*

* *

خُلُقٌ كما يَصْفُو النُّضارُ وطَلْعَةٌ ... أَزْهَى من ابنِ الليلِ فى هالاَتِه (٢٦)

---

(٢٠) الأعنة : جمع عنان (بالكسر) ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . وعثور الرعيل بالعنان : سقوطه وكبوته . جعل أبناء دار العلوم وقد هدّهم الحزن لا يقوون على السير فهم يتعثرون فى أذيالهم كما يتعثر الفرس فى عنانه . والتمتام : الذى يرد كلامه إلى التاء والميم عن عيب فيه . شبههم فى طول عثرتهم ولزومها لهم بالتمتام لا يخلص من تمتمته .

(٢١) يطفو : يعلو . والنشيج : أن يغص الباكى ببكائه فى حلقه من غير انتحاب . واللهوات : جمع لهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . ويريد الحلق . وتئز : تصوّت . واللبات : جمع لبة وهى المنحر .

(٢٢) الدجى : الظلام . جعل فقده فقداً لنورهم الذى به يهتدون ، فهم لذلك يخبطون فى الظلام على غير هدى . وزاغت العيون : اضطربت وانحرفت .

(٢٣) الطرف : الفرس الكريم ، والكلام على المجاز . والمخلى سرجه : أى الذى أصبح مكانه من سرجه خاليا . أى إنهم كلما نظروا إلى مكانه خالياً بكوه . والمنبت : الذى حيل بينه وبين إدراك غايته .

(٢٤) الدرع : ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس فى الحرب وقاية من سلاح العدو (يؤنث ويذكر) . جعل الفقيد لقومه كالدرع جنة ووقاية . والمطرح : الملقى . والعسر : الشديدة .

(٢٥) يكنى بطول اليد : عن السبق إلى الفضل . وأبرهم كفا : أى أكثرهم جوداً وعطاء . وأسبقهم الى قصباته ، أى إنه كان أولهم فى ذلك . والقصبات فى الأصل : ما كان ينصب فى حلبة السباق ، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع .

(٢٦) يصفو : يخلو مما يكدره . والنضار : الذهب . ويطلق على الفضة إلا أنه قد غلب على الذهب . وابن الليل : القمر . والهالات : جمع هالة ، وهى دارة القمر التى تحيط به . يشبه صفاء خلقه بصفاء الذهب ، ويجعل طلعته أكثر بهاء من طلعة القمر .

مَنْ صارَ فى الخَمْسِينَ فَخْرَ بِلادِهِ ... قد كان فى العِشْرِينَ فَخْرَ لِدَاتِه (٢٧)

والدَّهْرُ لا يُنْشِى الرِّجالَ صَوارِماً ... إلاَّ إذا نَضِجُوا على جَمَراتِه (٢٨)

صانَ الكَرامةَ أَن تُمَسَّ ، وَإنَّما ... إذْلالُ نَفْسِ المَرْءِ من زَلاتِه (٢٩)

مُنِعَ الرَّقيقُ ولا تزالُ عِصابةٌ ... تَهْفُو إلى أَغْلالِهِ وسِماتِه ! (٣٠)

قد كان كالفَلَكِ الدَّءُوبِ نشاطُه ... لا يستريحُ الدَّهرَ من دَوْرَاتِه (٣١)

فاذا تراءى ساكناً فلأنَّه ... فى أَسرعِ الأَحْوالِ من حَرَكاته ! (٣٢)

الحَقُّ والإيمانُ مِلْءُ فُؤَادِه ... وبَلاغَةُ الأَعْرابِ مِلْءُ لَهاتِه (٣٣)

فإذا تَخطَّرَ للجِدالِ مُصاولاً ... فاحْذَرْ فَتَى الفِتْيانِ فى صَوْلاتِه ! (٣٤)

السيلُ فى دَفَعاتِه ، والسيفُ فى ... عَزَماتِه ، والموتُ فى وَثَباتِه (٣٥)

---

(٢٧) يصفه بعلو المكانة شيخا وفتى.

(٢٨) لا ينشى : لا يكوّن ، وهو مسهل من لا ينشىء (بالهمز) . والصوارم : جمع صارم وهو السيف القاطع . والجمرات : النار المتقدة ؛ الواحدة : جمرة . ويريد بهـا شدائد الدهر وما يبتلى به . أى إن الرجال لا تظهر أقدارهم إلا بعد أن يعركهم الدهر .

(٢٩) صان : حفظ . والزلات : الهفوات ؛ الواحدة زلة . أى إنه عاش عزيزا محافظا على كرامته ، وإن من هفوات صغار النفوس أن يدفعوا نفوسهم الى الملق والذلة .

(٣٠) تهفو : تميل . والأغلال : القيود ، الواحـد : غل (بالضم) . والسمات : العلامات . أى إن من الناس من يضع نفسه مواضع الذلة والعبودية جريا وراء مطمع وكان فى مكنته أن يعيش عزيزاً .

(٣١) الفلك : مدار النجم . والدءوب نشاطه ، أى المجدّ فى نشاطه ، المستمر عليه .

(٣٢) يصفه فى هذا البيت والذى قبله بدأبه المتصل وجهده المتواصل حتى انه لا يرى ساكنا أبداً كالفلك لا يفتر عن الحركة والنشاط . وهو أسرع ما يكون حينما يبدو لك ساكنا ، لأنك لسرعته لا ترى حركته .

(٣٣) أى إن قلبه قد ملىء ايمانا ويقينا وملىء قوله بلاغة وفصاحة .

(٣٤) تخطر للجدال : مشى فى اختيال . ومصاولا : مواثبا . أى إنه كان فى جدله قوى المراس بين الحجة .

(٣٥) أى إنه كان كالسيل قوة فى اقدامه ، وكالسيف مضاء فى عزيمته ، وكالموت فى هجومه لا يبقى أمامه شىء الا أتى عليه وأفناه .

لَيس القَوِيُّ بِنَابِهِ وبِظُفْرِهِ ... مِثْلَ القَوِيِّ بِرَأْيِهِ وثَبَاتِهِ (٣٦)
والحُجَّةُ البَيْضَاءُ أَفْصَلُ مَقطَعاً ... مِن نَصْلِ كُلِّ مُهَنَّدٍ وشَبَاتِهِ (٣٧)

*
* *

ماذَا أَصَابَ اللَّيْثُ عَن غَدَوَاتِهِ ... صُبْحاً، وماذَا نَالَ مِن رَوْحَاتِهِ؟ (٣٨)
سَمَحتْ لَه الدُّنْيَا بِمَاءِ سَرَابِهَا ... فَابتَاعَه مِنهَا بِمَاءِ حَيَاتِهِ (٣٩)
إِنَّ الأَمَانِيَّ الحِسَانَ جَمِيلَةٌ ... لَوْ حَقَّقَ الإِنْسَانُ أُمْنِيَّاتِهِ! (٤٠)
فلَرُبَّ رَوْضٍ لِلنَّوَاظِرِ مُعْجِبٍ ... كَمَنَتْ سُمُومُ الصِّلِّ فى زَهَرَاتِهِ! (٤١)
قَدْ كانَ لِي أَمَلٌ سَقَيْتُ فُرُوعَه ... بِدَمِي وغَذَّيْتُ المُنَى بَعذَاتِهِ (٤٢)
أَحْنُو عليه مِن الهَجِيرِ يَمَسُّه ... وَمِنَ النَّسِيمِ يَهُزُّ مِن أَسَلاتِهِ (٤٣)

---

(٣٦) الناب والظفر : عدة الحيوان المفترس والطير الجارح وبهما يتسلحان . أى ان قوة الانسان فيما أوتيه من رأى وثبات ، لا فيما امتنع به من سلاح وهذا ما سيذكره فى البيت التالى .

(٣٧) الحجة البيضاء : الجلية الواضحة التى لا غموض فيها . وأفصل مقطعاً ، أى أقوى فصلا وأشد عند القطع فى الأمور والبتّ فيها . والمهند : السيف المطبوع من حديد الهند وهو من أجود السيوف . ونصل المهند وشباته : حديدته بحدها . أى قد تفعل الحجة فى حل معضلات الأمور ما لا يفعله السيف القاطع .

(٣٨) غدواته وروحاته : ذهابه ومجيئه سعيا وراء المجد والجاه ، ويريد بالليث الفقيد .

(٣٩) السراب : ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالأرض . يصف الحياة فى هذا البيت والذى قبله بأنها أمل كاذب خادع لا يحقق الانسان فيها شيئا .

(٤٠) يقول : إن الآمال جميلة ولكنها لا تتحقق فى هذه الحياة .

(٤١) كمنت : توارت واستخفت . والصل : الحية التى لاينفع مع سمها علاج. أى رب روض أعجبك منظره ، والسم الناقع طى زهراته .

(٤٢) العذاة : الأرض الطيبة البعيدة الوخم . ويريد بها منبته الطيب . وهذا البيت والأبيات الثمانية بعده فى غرض خاص بالشاعر .

(٤٣) الهجير : شدة الحر . والأسلات : الفروع الدقيقة . أى إنه كان لشدة عطفه عليه يقيه بنفسه من الحر أن يلفحه ، ومن الهواء أن يعصف بعوده اللدن الطرى .

وَأَذُودُ عَنْهُ الطيرَ إِنْ حَامَتْ على ... زهرٍ يُضِيءُ الأُفقَ في عَذَبَاتِه (٤٤)
الليلُ يَنفحُـهُ بِذائبِ طَلِّهِ ... والصُّبحُ يَمنَحُه شُعاعَ إياتِه (٤٥)
حتّى إذا قَوِيَتْ لِدَانُ غُصونِه ... واستَحْصَدَ المَرْجُوُّ مِن ثمراتِه (٤٦)
وأَخذتُ أَستَجلي السَّنَا مِن نَوْرِه ... وأَشَمُّ ريحَ الخُلْدِ مِن نفحاتِه (٤٧)
وأُفاخِرُ الزُّرَّاعَ أَنَّ غِراسَهم ... لم يَزْكُ مِثلَ زَكائِه ونَباتِه (٤٨)
عَصَفَتْ به هُوجٌ نَخَرٌ مُعَفَّراً ... وجَنَى عَلَيْهِ الحَيْنُ قبلَ جُنَاتِه (٤٩)
وَوَقَفْتُ أَنظُرُ لِلحُطَامِ مُحَطَّماً ... مُتَفَتِّتَ الأَفْلاذِ مثلَ فُتَاتِه (٥٠)
أَهْوِنْ بِدُنْيَا مَا لِحَيٍّ عِندَها ... وَعْدٌ يُنَجَّزُ غيرَ وَعْدِ وَفاتِه! (٥١)

---

(٤٤) أذود : أمنع وأطرد . وحامت : حلقت ودارت . والعذبات : الأغصان . أى إنه كان يحفظه ويحميه من كل ما يخشاه عليه .

(٤٥) ينفحه : يهب عليه بليلا . والطل : الندى . والاياة : النور . أى إن أسباب الحياة والرغد كانت موفورة .

(٤٦) لدان الغصون : اللينة الطرية ؛ الواحد : لدن . واستحصدت الثمرات : قاربت النضج وحان لها أن تحصد .

(٤٧) أستجلى : أنظر وأتبين. والنور : الأزهار ، الواحدة : نوره . وسناه : تألقه واشراقه ونفحاته : ما يفوح وينتشر من رائحته العطرة . وأشم ريح الخلد ، أى ريح الجنة .

(٤٨) يزكو : ينمو .

(٤٩) الهوج : الرياح العاصفة غير المستوية فى هبوبها . يريد عصف الموت . والمعفر : الذى اختلط بالتراب . والحين : الهلاك . والجناة : ما يجنى .

(٥٠) الحطام : ما تحطم وتكسر. يريد رفاته . ومحطما ، أى مهدود القوى حزنا ، والأفلاذ : جمع فلذة (بالكسر) وهى القطعة من الكبد . يصف فى هذا البيت والأبيات الثمانية قبله فقيده الذى أودى من بعد ما اكتمل وقوى ، مشبها إياه بالنبت فى أدواره المختلفة ، ثم يذكر ما كان يبذله فى سبيله حتى إذا ما استحصد عدا عليه الموت فاختطفه من بين يديه ، أحوج ما يكون اليه ، وتركه محطم الأوصال مفتت الكبد حزنا .

(٥١) يذم الدنيا ويحقرها إذ لا وفاء عندها بوعد إلا وعد الموت فهى حريصة على إنجازه وعدم خلفه .

سَلْ كُلَّ مَنْ كَتَبَ الكَتائِبَ غَازِيًا ... هل رَدَّ عنه الجَيْشُ سَهْمَ مماتِهِ؟ (٥٢)

إنَّ ابنَ داودٍ على سُلطانِه ... قد خرَّ مُنفرِداً على مِنْساتِه (٥٣)

وهو الذى مَلَكَ المُلوكَ بِبَأسِه ... وأَخافَ جِنَّ الأَرْضِ مِن سَطَواتِهِ (٥٤)

كلُّ ابنِ أُنثى فى الحَياةِ إلى مدًى ... والمرءُ فى الدُّنيا إلى مِيقاتِهِ (٥٥)

* * *

أَأَخِي ! دعوتُ فلم تُجِبْ ، ولرُبّما ... قد كُنتَ أَسبقَ ناهضٍ لدُعاتِهِ (٥٦)

قَدْ كانَ عَهْدُكَ فى بَشاشةِ أُنْسِهِ ... عَهْدَ الشَّبابِ مَضَى إلى طِيَّاتِهِ (٥٧)

كانَ الزَّمانُ يُظِلُّنا بِرَبيعِهِ ... فتركتنى للقُرِّ مِن مَشْتاتِهِ (٥٨)

---

(٥٢) الكتائب : الجيوش ؛ الواحدة : كتيبة . وكتبها : جمعها وهيأها . أى لا يصد الموت ولا يمنعه الجيش الجرار فى عدته وعدده .

(٥٣) ابن داود : هو سليمان بن داود عليهما السلام ، وقد آتاه الله ملكا وسلطانا واسعاً ، وسخر له الريح والجن وعلمه منطق الطير . وقد ورد فى القرآن الكريم تعداد نعم الله عليه . والمنساة (بالكسر) : العصا . يشير إلى ما يروى من أنه عليه السلام مات متكئا على عصاه ، وبقى كذلك لا يعرف موته ، حتى نخرت عصاه فلم تقو على حمله فخر على الأرض ، فعلم أنه ميت . أى إن سليمان عليه السلام لم يغن عنه ملكه أمام الموت شيئا .

(٥٤) البأس : الشجاعة والقوة . السطوات : مفردها سطوة وهى القهر والغلبة .

(٥٥) المدى : الغاية . والميقات : الوقت المضروب للشىء . أى إن كل انسان مرهون بغاية ووقت تنتهى عندهما حياته .

(٥٦) دعوت : ناديت . والناهض : الذى ينهض ويسرع فى وقت الشدة لمن يستجير به . الدعاة : الداعون .

(٥٧) الطيات : جمع طية ، وهى الجهة والمقصد . يذكر عهد الشباب ، وفيه عرف الفقيد واستمتعا معا بحياة ملؤها البشر والسرور .

(٥٨) ربيع الزمان : أيامه النضرة الطيبة . يريد به أيام الشباب . والقر : البرد . والمشتاة : زمن الشتاء . ويريد بقر الشتاء أيام الكبر أى إنه بعد موت صديقه أصبح يعانى من الحزن والكبر أياما كقر الشتاء نفحا وشدة .

أَبكى الشَّبابَ وَزَهْوَهُ وَصِحَابَه ... والمُشْرِقَ الوَضَّاحَ مِن بَسَماتِهِ (٥٩)
كُنَّا كفَرْعَىْ بانةٍ فتَفَرَّقَا ... والدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَالاتِه ! (٦٠)
والعُمْرُ أَضْيَقُ أَنْ يُمَدَّ لِسَالِكٍ ... إن أَوْسَعَ الخُطُواتِ فى سَاحاتِه (٦١)
أَصْفَيْتَنى مَحْضَ الودادِ وَطَالمَا ... خَلَطَ المُمَاذِقُ مِلْحَه بفُرَاتِه (٦٢)
وَرَفَعْتَ مِن شِعْرى ، وكنتَ تُحِبُّهُ ... وتُحِسُّ سِرَّ الفَنِّ فى أَبْيَاتِه (٦٣)
فاسْمَعْهُ مِن بالٍ أَطَاعَ شُجُونَه ... فَطَغَتْ زَوَاخِرُهَا عَلَى مَرْثَاتِه (٦٤)
نَظَمَ الدُّمُوعَ فَكُنَّ بَحْراً كامِلاً ... وأَقَامَ بالزَّفَرَاتِ تَفْعِيلاتِه (٦٥)
أَنْشِدْه حَسَّانًا إذَا لاقَيْتَهُ ... فى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ بَيْنَ رُوَاتِه (٦٦)

---

(٥٩) زهو الشباب : بهاؤه واشراقه. يبكى جمال الشباب ورفاقه وما كان له من سرور ومتعة.

(٦٠) البانة : واحدة البان ، وهو شجر سبط القوام لينه ، ورقه كورق الصفصاف. أى إنه وصديقه كانا كغصنين فى شجرة ، ذهب أحدهما وبقى الآخر ، وهكذا الدهر لا يترك الناس على حالة واحدة .

(٦١) أى إن العمر لا يطول للمجدين للعلا كالطريق القصير لا يلبث المسرع فيه أن يبلغ نهايته .

(٦٢) محض الوداد : خالصه. وأصفاه محض الوداد : صدقه الأخاء والمحبة . والمماذق: الكاره الذى لا اخلاص عنده . والفرات : العذب . يقول : انك كنت مخلصا لى ، على حين نرى غيرك ممن لا وفاء عندهم يشوبون الاخوة والصداقة بما يعكرها .

(٦٣) رفعت من شعرى : أى أشدت بذكره .

(٦٤) الشجون الهموم والأحزان ؛ الواحد : شجن (بالتحريك) . وطغت: فاضت وجاوزت الحد . زواخرها : أى كثيرها وعميمها تشبيها لها بالبحر الزاخر الكثير الماء . ومرثاته ، أى ما أعده لك من شعر يرثيك به .

(٦٥) نظم الدموع : ضمها وألفها . وبحراً كاملا أى ممتلئا . ويريد به أحد بحور الشعر المسمى بالكامل ، وفى هذا اللفظ تورية ظاهرة لأن القصيدة من هذا البحر . والزفرات : الأنفاس الحارة من الحزن . والتفعيلات : الأجزاء التى يتألف منها الشعر . يقول فى هذا البيت والذى قبله : ان حزنه الكثير طغا على شعره فكانت مرثاته فيك بحرها من دموعه وتفعيلاتها من زفراته .

(٦٦) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصارى شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وافخَرْ بقَوْمِكَ أَنْ أَعادُوا للْوَرَى　　عهدَ البَيانِ ومُجْتَلَى آياتِهِ (٦٧)
وانعَمْ برِضْوانِ الإِله وظِلِّه　　واسعَدْ بعَيْشِ الْخُلْدِ فى جَنَّاتِهِ (٦٨)
إنَّ الَّذِى خَلَقَ البُكاءَ أَغاثَه　　باللُّطفِ والإِحْسانِ مِن رَحَماتِهِ (٦٩)

---

(٦٧) بقومك ، أى بأبناء دار العلوم . ومجتلى آياته ، أى آياته الناطقة البينة المرئية . يشير الى فضل أبناء دار العلوم فى احياء اللغة العربية.

(٦٨) رضوان الاله : رضاه .

(٦٩) أغاثه باللطف . . . الخ ، أى كشف عن الناس شدته لطفا منه ورحمة واحسانا .

الحُبُّ

نظمت هذه القصيدة فى صيف سنة ١٩١٦

عَاجَ الْخيَالُ فَلم يَبُلَّ أُوَامَا ... ومَضَى وخَلَّفَ فى الضُّلُوعِ ضِرامَا(١)
مالِى ولِلْكَحْلاءِ ! هِجْنَ عُيُونُها ... فَالآنَ قَلْبِى أَنْصُلًا وسِهاما(٢)
ياقلبُ وَيْحَك ! ماسَمِعْتَ لناصِحٍ ... لَمَّا ارْتَمَيْتَ ، ولَا اتقَيْتَ مَلاما(٣)
لَعِبَتْ بِكَ الْحَسْنَاءُ ، تَدْنُو سَاعةً ... فَتُثِيرُ ما بِكَ ، ثُمَّ تَهْجُرُ عَامَا(٤)

---

(١) عاج عوجاً و معاجاً : أقام أو وقف . والبلل : الندى ، وبله : نداه . والأوام : حر العطش ، والمراد حرارة الشوق . والضرام : اشتعال النار . يقول ان خيال محبوبته قد زاره برهة ، فلم يطفىء حرارة الشوق ، ثم مضى بعد أن زاد لواعج الحب وتباريح الغرام ، وترك فى الضلوع منها ما يشبه النار المشتعلة .

(٢) الكحلاء : المرأة يعلو جفون عينيها سواد مثل الكحل من غير اكتحال ، والاسم الكحل ، وهو من صفات الحسن ومظاهر الجمال . وهجت : أثرت ونبهت . والأنصل : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها . والسهام : جمع سهم وهو كل ما يرمى به فيصيب المرمى ، والمراد بالأنصل والسهام ما انبعث من عيون محبوبته من نظرات فاتنة ساحرة أوقعته فى شرك الغرام ، والخلاصة أنه يأسف على أنه تعرض لهذه الفتاة الجميلة الكحلاء وهاج عيونها فصدن قلبه بنظرات ساحرة فاتنة كأنها أنصل وسهام .

(٣) ويح : كلمة رحمة . والناصح : المخلص الصادق فى ارشاده ومشورته . والملام : اللوم والعذل . يطلب لقلبه الرحمة ، ويقول له : انك لما ارتميت فى مهاوى الحب أعرضت عن نصيحة الناصح ، ولم تجعل بينك وبين اللوم وقاية . وهو بهذا البيت والذى بعده يلوم قلبه ويشفق عليه ويشير الى أنه مستهام لا يسلو .

(٤) يقول ان هذه الفتاة الحسناء تعبث بك فهى تقرب منك ساعة فتثير مكنون حبك ثم تهجرك بعد أن تؤجج فيك لواعج الشوق وتضاعف تباريح الغرام ويطول هجرانها وأنت على تلك الحال .

والحُبُّ ما لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلٌ غُـرٌّ يعودُ مَعَـرَّةً وَأَثَامَا ! (٥)

والحُبُّ أَحْلَامُ الشَّبَابِ هَنِيئَةً ما أَطْيَبَ الأَيَّامَ والأَحلامَا ! (٦)

والحُبُّ نازِعَةُ الكَرِيمِ تَهُزُّهُ فَيَصُولُ سَيفاً أَو يَسِيلُ غَمَاما ! (٧)

والحُبُّ مَلْهاةُ الحَيَاةِ وَطِبُّهَا وَلَقَدْ تَكُونُ بِهِ الحَيَاةُ سَقَاما ! (٨)

والحُبُّ نِيرانُ المَجُوسِ ، لَهِيبُهَا يُحْيِي النُّفُوسَ ، وَيَقْتُلُ الأَجْسَاما ! (٩)

والحُبُّ شِعْرُ النَّفْسِ إِنْ هَتَفَتْ بِهِ
سَكَتَ الوُجُودُ وَأَطْرَقَ اسْتِعْظَامَا ! (١٠)

---

(٥) تكتنفه : تحيط به . وشمائل : جمع شمال وهى الطبع والخلق . غر : جمع غراء وهى الشريفة البيضاء . والمعرة : الاثم والذنب . والأثام : جزاء الاثم . يقول ان الحب ينبغى أن يكون عذريا شريفا عفيفا ، تحيط به وتصونه أخلاق نبيلة طاهرة يتحلى بها الحبيبان كلاهما ، والا كان معرة وإثما كبيرا ، وكانت عاقبة أمره نكرا ، وفى هذا البيت والأبيات التى بعده وصف بليغ للحب العفيف ، وتبيان لكثير من مظاهره وصفاته وآثاره .

(٦) الأحلام : جمع حلم وهو الرؤيا ، والمراد بأحلام الشباب أمانيه الحسان . يقول ان الحب من أحلام الشباب الهنيئة وأمانيه الحسان ، ثم يعجب من طيب أيام الشباب وطيب أحلامه .

(٧) النازعة : الميل . ويصول : يهجم ويثب . والغمام : السحاب . جعل الحب عاطفة الكريم تهزه فتجرد منه سيفا يصول ويقاتل ، أو سحابا يسيل بالخير ويجرى بالنماء والخصب ، والمعنى أن من ثمار الحب الشجاعة والجود .

(٨) الملهاة : اللهو . والطب : علاج الجسم والنفس . السقام : المرض . يقول ان الحب يجعل الحياة مرحة ساحرة ، وهو علاج لأدوائها وشرورها ، اذا كان معتدلا صادقا طاهرا نبيلا ، فاذا خرج عن ذلك كانت به الحياة مرضا وعبئا ثقيلا .

(٩) المجوس : أمة من الناس يعبد أكثرهم النار ، ويلقون بأنفسهم فيها معتقدين أنها اذا أحرقت الأجسام فانها تطهر النفوس وتحييها ، والشاعر يشبه الحب بهذه النار ، فهو يذبل الأجسام ويضنيها ، لكنه يطهر نفوس المتحابين ويحييها ، ويبعث فيها كثيرا من خلال المروءة والبر والشهامة .

(١٠) هتفت : صاحت . وأطرق : سكت ولم يتكلم وأرخى عينيه ينظر الى الأرض . واستعظام الشيء : عده عظيما . يقول ان الحب هو الشعر النفسانى ، فاذا أنشدته النفس وهتفت به أنصتت الدنيا وأصغى الكون وأطرق الوجود استعظاما لجمال هذا الشعر واعجابا بروعته .

وَالْحُبُّ مِنْ سِرِّ السَّمَاءِ فَسَمِّهِ ... وَحْيًا إِذَا مَا شِئْتَ أَوْ إِلْهَامَا (١١)
لَوْلَاهُ مَا أَضْحَى وَلِيدُ زَبِيبَةٍ ... يَوْمَ التَّفَاخُرِ سَيِّدًا مِقْدَامَا (١٢)
وَلَمَا رَمَى فِي الْجَحْفَلَيْنِ بِصَدْرِهِ ... لَا يَتَّقِي رُمْحًا وَلَا صَمْصَامَا (١٣)
اَلْحُبُّ أَلْبَسَهُ الْمُرُوءَةَ يَافِعًا ... وَأَعَدَّهُ لِلْمَكْرُمَاتِ غُلَامَا (١٤)

* * *

(١١) الوحى ما ألقيته الى غيرك ليعلمه ، ثم غلب استعماله فيما يلقى الى الأنبياء من عند الله. والالهام : مصدر ألهمه الله تعالى خيرا لقنه إياه ، أو الالهام كل مايلقى فى الروع أى القلب . والمعنى أن الحب من الأسرار السماوية التى يجهل الناس كنهها وحقيقتها ، ولا غرو فهو ائتلاف بين الأرواح ، والأرواح من أسرار السماء ، ومن أجل هذا يحق لك أن تسمى الحب وحيا أو إلهاما، لأنه شعور يلقيه الله تعالى فى قلوب المتحابين ، وهما يجهلان حقيقته وطريقة القائه .

(١٢) الوليد : المولود والصبى والعبد ، والمراد به هنا عنترة بن شداد العبسى ، أحد فرسان العرب وأغربتها وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وزبيبة أمه ، وكانت أمة حبشية سوداء ، سباها أبوه فى احدى غزواته فأولدها عنترة ، وكان من عادات العرب ألا تلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله فى عداد العبيد ، ولذلك كان عنترة عند أبيه منبوذا بين عبدانه ، وما زال كذلك حتى أغار بعض العرب على عبس واستاقوا ابلهم ، ولحقتهم بنو عبس وفيهم عنترة ، فقاتل قتالا شديدا حتى هزم القوم واستنقذ الابل ، فحرره أبوه واعترف ببنوته ، ومن ذلك الوقت ظهر اسم عنترة بين فرسان العرب وساداتها .

وقد عشق عنترة فى شبابه بنت عمه « عبلة » وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه ويدعيه ، فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد ، فحفزه ذلك للمعالى يتطلبها والمجد ينشده ، وهاج ذلك من شاعريته فاجتمع له الشعر السلس القوى ، والشجاعة النادرة ، والهمة العالية من حسب وشجاعة ومروءة وغير ذلك . والسيد : الرئيس الماجد الشريف . والمقدام : الجرىء الشجاع .

والمعنى أن الحب جعل ابن الأمة عنترة يوم المباهاة ماجدا شريفا جريئا شجاعا ، ولولا الحب لبقى عنترة خاملا فى زمرة الخدم والعبيد ، فالحب يحفز النفس الى المعالى ، ويجعل الخامل نابها ، والعبد سيدا ، والجبان شجاعا .

(١٣) فاعل رمى مستتر يعود على وليد زبيبة وهو عنترة بن شداد كما تقدم فى شرح البيت السابق . والجحفل : الجيش الكثير . والصمصام : السيف لاينثنى لقوته وصلابته . يقول لولا الحب مارمى عنترة بنفسه فى المعامع يستقبل بصدره رماح الأعداء وسيوفهم غير جاعل بينه وبينها وقاية . يصف الشاعر بهذا البيت والبيتين قبله وبعده «عنترة» بالسودد والشجاعة والمروءة والمكرمات .

(١٤) المروءة : آداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات . واليافع : الشاب راهق العشرين من سنه . والمكرمات : جمع مكرمة وهى الكرم وفعل الخير .

يَا شَــدَّ ما فَعَلَ الْغَــرَامُ بِمُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسًى وَصَبَابَةً وَهُيَاما ! (١٥)

كَانَتْ صَؤُولًا لا تُنِيلَ خِطَامَهَا فَغَدَتْ أَذَلَّ السَّائِمَاتِ خِطَاما ! (١٦)

سَكَنَتْ إِلَى حُلوِ الْغَـرَامِ وَمُرِّهِ وَرَعَتْ عُهُودًا لِلْهَوَى وذِمَاما (١٧)

وَطَوَتْ أَحَادِيثَ الْجَوَى فَطَوَتْ بِهَا دَاءً يَهُدُّ الرَّاسِيَاتِ عُقَـاما (١٨)

نَالَ الضَنَى مِنْهَـا الَّذِي قَدْ نَالَهُ فَعَلامَ رَوَّعَهَا الصُّدُودُ عَلاما ؟ (١٩)

*
* *

---

(١٥) « يا » للتنبيه ، أو حرف نداء والمنادى محذوف ، والتقدير يا أخى أو يا من أشكو إليه أمرى . وشد الشىء يشد شدة : قوى واشتد فهو شديد . وما مصدرية. والغرام : الولوع بالشىء والمراد به العشق . والمهجة : النفس . والأسى : الحزن . والصبابة : رقة الشوق وحرارته. والهيام : ذهاب العقل من العشق ، يقول : يا أخى قد اشـتد فعل الغرام بنفسى حتى ذابت بسبب الحزن على فراق الحبيب ورقة الشوق إليه وذهاب عقلى معه .

(١٦) الصؤول : الوثاب النافر من الابل ، شبه نفسه بالجمل الشرود . والخطام : الزمام أى المقود . وغدت : صارت . والسائمات : جمع سائمة اسم فاعل من سامت الماشية أى رعت ، يقول إن نفسه كانت صعبة الانقياد لا تنيل أحداً زمامها ، فما زال الحب يساورها حتى صـارت أذل من سواها ، وأطوع قيادا .

(١٧) فاعل سكنت ضمير مستتر يعود على المهجة وهي النفس، وسكنت: اطمأنت واستأنست. ورعت : حفظت وصانت . والعهود : المواثيق والذمم . والهوى : الحب . والذمام : الحق والحرمة. يقول إن نفسه اطمأنت إلى الغرام حلوه ومره ، فهى راضية بجميع أحواله محافظة على عهوده ومواثيقه وحقوقه وحرمته.

(١٨) طوت : كتمت وأخفت أى نفسه . والجوى : هوى باطن ، والحزن والحرقة وشـدة الوجد . ويدك : يهدم . والراسيات الجبال . وداء عقام : لا يبرأ منه . يقول إن نفسه طوت أحاديث الحب ، وأخفت حرقته ، وكتمت تباريحه . فطوت بذلك داء شديداً ممتنع البرء يهد الجبال . ولا ريب أن إظهار أمر الحب أيسر على النفس من كتمانه ، يعرف ذلك المحبون .

(١٩) الضنى : المرض المخامر كلما ظن برؤه نكس . وروعها : أفزعها وأخافها . والصدود : الاعراض ، والمعنى أن نفسه قد أصابها المرض والشقاء بسبب الحب ، فلم يزيد فى فزعها وخوفهـا صد الحبيب وإعراضه فيضاعف عليها آلام السقام ؟ والشاعر بهذا البيت والأربعة الأبيات التى قبله، قد وصف المحب أبلغ وصف ، وأبان أثر الحب ولواعجه أجمل بيان .

يا زَهْرَةً نَمَّ النَسيمُ بِعَرْفِهـا   وَجَرَى بِها ماءُ النَعيمِ جِماما(٢٠)

يا جَنَّـةً لَوْ كانَ يَنْفَعُ عِنْـدَها   نُسْكٌ لَبِتْنا سُـجَّدًا وَقِيَاما(٢١)

يا طَلْعَةَ الرَوْضِ النَضيرِ تَحِيَّـةً !   وَمُجَاجَةَ الْمِسْكِ الذَكِيِّ سَلَاما !(٢٢)

---

(٢٠) يكنى بالزهرة عن حبيبته . ونمّ : أفشى وأظهر . والعرف : الريح الطيبة . والجمام : جمع جميم وهو الـكثير من كل شيء ، والمعنى أن محبوبته كالزهرة الغضة النضيرة ، نشر النسيم رياها وجرى بها ماء النعيم كثيرا غزيرا ، وهذا كناية عما هي فيه من الرفاهية ولين العيش ، وفى هذا البيت والبيتين بعده وصف بليغ لمحبوبته فقد كنى عنها بالزهرة ثم بالجنـة ثم بطلعة الروض ، ثم بمجاجة المسك .

(٢١) النسك : العبادة ، وسجد : جمع ساجد ، والسجود من أركان الصلاة معروف. وقياما مصدر قام أى وقف فى صلاته ، يقول لمحبوبته : يا جنـة لو كانت كجنة الخلد يقربنا منهـا النسك والعبادة لسهرنا الليل ساجدين قائمين .

(٢٢) الطلعة : الوجه . والروض : جمع روضة وهى أرض ذات ماء وعشب ونبات وزهر . والنضير : الحسن . والتحية : مصدر حياه أى دعا له بالحياة . والمجاجة فى الأصل الريق ، ويراد به هنا الفتات أو الخلاصة . والمسك طيب معروف ، وهو عند العرب أفضـل الطيب . ومسك ذكى وذاك : ساطع ريحه .

الأعمى

أقامت جمعية رعاية العميان بمصر فى ١٥ من أبريل سنة ١٩٣٧ حفلة بدار الأوبرا الملكية ، لحض المحسنين على مد يد الاحسان الى هـذه الطائفة البائسة ، لتتمكن الجمعية من توسيع نطاقها وتثقيف عدد كبير من هؤلاء المكفوفين ليستطيعوا العيش وحدهم ، وليستغنوا عن ذُل السؤال ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى هذا الحفل .

مَنْ مُجِيرِى مِنْ حَالِكَاتِ اللَّيَالِى؟   نُوَبَ الدَّهْرِ مالَكُنَّ ومالِى! (١)

قَد طَوَانِى الظَّلامُ حتَّى كأنِّى   فى دَيَاجِى الوجودِ طَيْفُ خَيَالِ (٢)

كلُّ ليلٍ لهُ زَوالٌ ولَيْلِى   دقَّ أطنابَهُ لِغَيرِ زَوَالِ! (٣)

كلُّ ليل له نجومٌ ، ولكنْ   أينَ أمثالُهُنَّ من أمثالى؟ (٤)

تَثِبُ الشَّمسُ فى السماءِ وشَمْسِى   عُقِلَتْ دُونَها بألْفِ عِقَالِ (٥)

---

(١) حالكات الليالى : الليالى الشديدة السواد والظلمة . ونوب الدهر : نوازله وما يصيب به . والكلام على لسان الأعمى ، فهو يشكو ممـا رمته به نوائب الدهر فأفقدته عينيـه فأصبحت أيامه كلياليه سوداً ، ويهتف بالمعين له على هذا فلا يجده .

(٢) طواه ، أى احتواه وجمله بين ثناياه . ودياجى الوجود : غياهب ظلماته وحالك سواده . وطيف خيال : ما يراه النائم فى نومه . شبه الأعمى نفسه بالطيف مبالغة فى خفائه وعدم احساس الناس به الا بقدر ما يرى من الخيال حين يطيف .

(٣) الأطناب : الأوتاد : الواحد : طنب (بضمتين) . ودق الأطنـاب : كناية عن الاقامة وعدم الرحيل ، لأن بيوت العرب كانت خياما تطوى مع السفر . وتنشر وتدق أطنابها عند الاقامة .

(٤) تشتاق نفسه أن يرى نجوم الليل مزهرة وضاءة ، ولكن القدر حال بين النجوم وبين أمثاله من المكفوفين .

(٥) تثب الشمس : تتنقل فى السماء . وعقلت : حبست وقيدت . ودونها ، أى دون السماء . والعقال : حبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه . يتحسر فى هذا البيت والذى قبله على أنه حرم مع حرمانه نور عينيه نور النجوم ليلا وضياء الشمس نهارا ، فهو يخبط ليله ونهاره فى ظلام دامس .

لا أَرَى حِينما أَرَى غيرُ حَظِّى حَالِكَ اللَّونِ عَابِسَ الآمالِ (٦)

***

هو جُبٌّ أَعِيشُ فِيه حزِيناً كاسِفَ النَّفْسِ دائمَ البَلْبالِ (٧)

ما رأَتْ بَسْمةَ الشُّموسِ زَوَايا هُ، ولا داعَبتْ شُعاعَ الهِلال (٨)

فإِذَا نِمْتُ فَالظَّلامُ أَمامِى أَوْ تيقَّظْتُ فَالسَّوادُ حِيالى (٩)

أَتَقَرَّى الطَّرِيقَ فِيه بِكَفِّى بين شَكٍّ وحَيْرَةٍ وضَلال (١٠)

وأُحِسُّ الْهَواءَ نَهْوَ دَلِيلِى عن يَمِينى أَسِيرُ أَوْ عَن شِمالى (١١)

كُلَّما رُمْتُ منه يَوْماً خَلَاصًا عَجزتْ حِيلَتِى وَرَثَّتْ حِبالى (١٢)

عَبَثًا أُرسِلُ الأَنِينَ مِن الْجُبِّ إِلىٰ ساكِنِى القُصُورِ العَوالى! (١٣)

---

(٦) عابس الآمال : أى مظلمها . مأخوذ من عبوس الوجه ، وذلك اذا كلح وقطب ، ولا يكون الا فى غضب أو حزن .

(٧) الجب : البئر البعيدة الغور . شبه حياة الأعمى بها فى أن كلا منهما مظلمة دائمة الظلمة لا ينفذ اليها ضوء . وهذا ما سيذكره فى البيت الآتى . وكاسف النفس، أى حزين عابس. والبلبال : الهم والهواجس المقضة المزعجة .

(٨) بسمة الشموس ، أى ضوءها . والمداعبة : الملاعبة والممازحة . شبه اتصال خيوط الشعاع بالمكان فى حركتها وعدم استقرارها بالمداعبة .

(٩) حيالى : قبالى . أى ان ليله ونهاره كلاهما أسود مظلم .

(١٠) أتقرى الطريق ... الخ ، أى أتتبع الطريق بكفى أتلمس بها مواضع الأمن . يقال : تقرى فلان البلاد ، اذا تتبعها يخرج من أرض الى أرض .

(١١) لدقة احساس الأعمى يستعين باتجاه الهواء فى تعرف طريقه .

(١٢) رمت : رغبت وأردت . ومنه ، أى من الجب . ورثت حبالى : أى تقطعت بى أسباب الخلاص والنجاة . ورثاثة الحبل : بلاه وبذاذته .

(١٣) الأنين : التأوه وارسال الصوت عن ألم وتوجع . ويريد بساكنى القصور العوالى : أصحاب الثراء والجاه الذين بيدهم انقاذه والعمل على راحته .

***

مَنْ لسَارٍ بلَيْلَةٍ طولُها العُمْـــرُ، يَجُوبُ الأَوْجالَ لِلأَوْجالِ؟ (١٤)

مُـــتَرَدٍّ فى هَاوِيَاتٍ وِهادٍ لاهِثٍ فوقَ شامِخَاتِ جِبالِ (١٥)

عِنْـدَ صَحْراءَ للأعاصِيرِ فِيهـَا ضَحِكُ الجِنِّ أَو نَحِيبُ السَّعَالى (١٦)

لم يَزُرْها وشْىُ الرَّبيعِ ولـكِنْ لَكَ ماشِئْتَ مِنْ نَسِيجِ الرِّمالِ (١٧)

لَيْس للطيرِ فوقَها مِن مَطارٍ أَوْ بَنِى الإِنْسِ حَوْلَها مِن مَجالِ (١٨)

خَلَقَ اللهُ قَفْرَهَا ثُمَّ سَوَّى مِن ثَرَاهُ أَنامِلَ البُخَّــالِ (١٩)

رَهْبَــةٌ تَمْـلَأُ الجَوانِحَ رُعْبـًا وأَدِيمٌ وَعْرٌ كَحَدِّ النِّصَـالِ (٢٠)

---

(١٤) يجوب : يقطع الأرض سائرا . والأوجال : المخاوف ؛ الواحدة : وجل (بالتحريك). يشبه الأعمى بسار فى ليلة مظلمة لا تنتهى الا بانتهاء عمره قد حفت بالمخاوف وملئت بالمكاره ، فهو لا ينتقل فيها من مكروه الا الى مكروه ، ولا يخلص من شدة الا ليقع فى شدة .

(١٥) المتردى : الساقط . والوهاد : الأراضى المنخفضة . والهاويات : البعيدة الانخفاض . واللاهث : الذى يخرج لسانه تعباً واعياء وعطشاً . وشامخات الجبال : العالية المرتفعة . يصف حال هذا السارى الذى شبه الأعمى به وهو يضرب فى الأرض منخفضاتها ومرتفعاتها والاعياء قد استولى عليه .

(١٦) الأعاصير : عصف الرياح وشدة هبوبها وزوابعها . والنحيب : البكاء . والسعالى : جمع سعلاة ، وهى أنثى الغول . ويريد الغيلان عامة . أى إنها صحراء قد ملئت رعباً وخوفاً ، فكأنك تسمع فى عصف رياحها ضحكات الجن وإعوال الغيلان ، وكان العرب يتوهمون ذلك فى الصحارى الموحشة .

(١٧) وشى الربيع : نباته ذو الألوان المختلفة . والوشى (فى الأصل) : تطريز الثوب وتجميله. ولك ما شئت ... الخ : أى أنى سرحت الطرف لا تجد غير رمال ذات لون واحد .

(١٨) من مطار ، أى من طيران . ومن مجال ، أى من أثر لجولان الناس وسيرهم .

(١٩) سوى ، أى خلق . جعل أنامل البخال من هذه الصحراء بجامع الجدب والامحال . فكما أن هذه لا تجود تربتها بزرع فهؤلاء لا تتفتح أيديهم عن معروف أو نوال .

(٢٠) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر ؛ الواحدة : جانحة . وأديم الصحراء : وجهها . والنصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف والسكين . جعل رمال الصحراء وحصاها تحت الأقدام العارية كحز النصال ألماً وتقطيعاً .

وامتـداد كأنه الأمـل الطـا ئش ما ضاق ذرعه بمحال (٢١)
سار فيها الأعمى وحيداً شريداً حائراً بين وقفة وارتحال (٢٢)
في هجير ما خف حر لظاه بنسيم ، ولا ببرد ظلال (٢٣)
مل عكازه من الضرب في الأر ض على خيبة ورقة حال (٢٤)
يرفع الصوت لا يرى من مجيب أقفر الكون من قلوب الرجال! (٢٥)

* * *

من لهاو في لجة هي دنيا ه وأيام بؤسه المتوالى ؟ (٢٦)
ظلم بعضها يزاحم بعضاً كليال كررن إثر ليالى (٢٧)
يفتح الموج ماضغيه فيهوى ثم يطفو محطم الأوصال (٢٨)

---

(٢١) الطائش : الذى يذهب على غير هدى وقصد . وضيق الذرع : كناية عن قلة الحيلة وضعف الطاقة . يشبه اتساع أرجاء الصحراء بالأمل الذى لا ينتهى عند قصد وغاية ، والذى لا يرى محالا أمامه يعبأ به ويقف فى سبيله .

(٢٢) الشريد : الطريد المبعد .

(٢٣) الهجير : شدة الحر . واللظى : اللهب والحرقة . أى ليس مع حر الصحراء وشدة توقد رمالها نسيم عليل أو ظل ظليل يكسران من حدة هذا الحر . جعل هذه الصحراء بما فيها من متاعب سبق له وصفها فى الأبيات السابقة ، كدنيا الأعمى كلها آلام متصلة يعيا بحملها .

(٢٤) العكاز : عصا ذات زج فى أسفلها يتوكأ عليها . ورقة الحال : الفقر وقلة ذات اليد .

(٢٥) يشكو فى هذا البيت والذى قبله فقره وعدمه وسيره المتواصل فى الأرض للسؤال ؛ ثم هو لا يجد قلبا رحيما يعطف عليه ويرق لحاله .

(٢٦) الهاوى : الساقط . اللجة : معظم البحر حيث يكثر الماء ويصعب المخرج . شبه دنيا الأعمى بها فى شدتها .

(٢٧) تتابع ظلام الموج عليه حتى كأنه ليال لا نهار لها .

(٢٨) الماضغان : الحنكان لمضغهما المأكول . واستعارهما للموج لأنه يهصر الأجسام ويضعضعها . والأوصال : الأعضاء ، الواحد : وصل (بكسر الواو أو ضمها) يصفه فى دنياه بالغريق تتقاذفه أمواج البحر فيهوى تارة ويطفو أخرى .

لا تَرَى منه غيرَ كَفٍّ تُنَادِي حِينما عَقَّه لِسَانُ المَقَالِ[٢٩]
والرِّياحُ الرِّياحُ تَعْصِفُ بالمِسْـكِينِ عَصْفَ الأيَّامِ بالآجالِ[٣٠]
يسْمَعُ السُّفْنَ حَوْلَه ماخِرَاتٍ مَنْ يُبالِي بِمِثْلِه مَنْ يُبالِي ؟[٣١]
يسمَعُ الرَّقْصَ والأَهازِيجَ تَشْدُو بَيْنَ وَصْلِ الهَوَى وهَجْرِ الدَّلالِ[٣٢]
شُغِلَ القَوْمُ عنه بالقَصْفِ واللَّهْـوِ وَهَامُوا بِحُبِّ بِنْتِ الدَّوالِى[٣٣]
ما لَهُمْ والصَّرِيعَ فى غَمْرةِ اللُّـجِّ يَصُدُّ الأَهْوَالَ بالأَهْوَالِ[٣٤]
لا يُرِيدُونَ أَنْ يُشَابَ لهم صَفْـوٌ بِنَوْحٍ للبُؤْسِ أَو إِعْوَالِ[٣٥]
هكذا تُمْحِلُ القُلوبُ، وأَنْكَى أَنْ تُبَاهِي بذلكَ الإمْحَالِ ![٣٦]
هكَذَا تُقْبَرُ المُروءةُ فى النَّا سِ، ويُقْضَى على كَرِيمِ الخِلالِ ![٣٧]

---

(٢٩) عقه : خانه ولم يسعفه بالمقال .

(٣٠) الآجال : الأعمار . وعصف الأيام بالآجال : تحطيمها إياها والاتيان عليها .

(٣١) السفن الماخرات : الجاريات التى تشق الماء مع صوت .

(٣٢) الأهازيج : جمع أهزوجة . وهى ما يهزج به من الأغانى ، أى ما يترنم بها ويطرب . وتشدو : يرتفع صوتها الشجىّ الحلو . والدلال : التدلل وتمنع المحب ، وما به من تمنع .

(٣٣) القصف : الاقامة فى لهـو وأكل وشرب . وبنت الدوالى ، أى الخمر . والدوالى : عنب بالطائف أسود الى الحمرة ، ومنه تعصر الخمر . وجعلها بنته لأنها منه .

(٣٤) الصريع : المصروع . وغمرة اللج ، أى حيث يكثر ماء البحر ويشتد . ويصد الأهوال بالأهوال ، أى ان الأهوال ، وهى الشدائد ، تغشاه من كل مكان فيلاقى الشدائد فى دفعها .

(٣٥) يشاب : يختلط به مايعكره . والصفو : ماصفا لهم من شأنهم ولذ وطاب . والنوح والاعوال : البكاء ورفع الصوت به .

(٣٦) إمحال القلوب : تجردها من العطف والرحمة ، مأخوذ من إمحال الأرض ، وهو إجدابها . وأنكى : أى أكثر إيلاما وأشد حزا فى النفس وتقطيعا .

(٣٧) الخلال : الخصال ؛ الواحدة خلة (بالفتح) .

* * *

مَنْ لهذا الأعْمَى يَمُدُّ عَصَاه عاصِبَ البَطْنِ لم يَبُحْ بِسُؤَالِ؟ (٣٨)
مَنْ رآهُ يَرَى خَليطاً مِن البُؤ سِ هَزِيلاً يَسيرُ في أَسْمَالِ (٣٩)
هو في مَيْعَةِ الصِّبا وتَراهُ مُطْرِقَ الرَّأسِ في خُشُوعِ الكِهَالِ (٤٠)
ساكِناً كالظَّلَامِ ، يَحْسَبُهُ الرَّا ءُونَ مَعْنًى لليأسِ في تِمْثَالِ (٤١)
فَقَدَ الضَّوْءَ والحَيَاةَ ، وهل بَعْـ ـدَ ضِياءِ العَيْنَيْنِ سَلْوَى لِسَالِ؟ (٤٢)
مَطَلَتْهُ الأَيَّامُ والنَّاسُ حَقاً فَقَضَى عَيْشَه شَهِيدَ المِطَالِ (٤٣)

* * *

ما رَأَى الرَّوْضَ في مَآزِرِهِ الخُضْـ ـرِ يُباهِي بِحُسْنِها ويُغَالى (٤٤)
ما رَأَى صَفْحَةَ السَّماءِ وَمَا رُكِّـ ـبَ فِيها مِنْ باهِرَاتِ اللآلى (٤٥)

---

(٣٨) عاصب البطن ، أى يشده برباط يدفع بذلك ألم الجوع ، ويكون أقدر على الصبر عليه واحتماله . ولم يبح : لم يظهر ؛ وفعله من باب نصر .

(٣٩) الهزيل : الذى قد ذهب لحمه فبدت عظامه . والأسمال : جمع سمل (بالتحريك) وهو الثوب الخلق البالى .

(٤٠) ميعة الصبا : أوله وريعانه . والكهال : جمع كهل ، وهو الشيخ الذى قد اشتعل رأسه شيبا .

(٤١) جعله فى سكونه إعياء وهما عابس الوجه واجما حزينا ، كالظلام حين يخيم فيبدو ساكنا غير متحرك . فمن رآه على حاله تلك رأى اليأس كله تجسم فى هذا الجسم الساكن فبدا كالتمثال تنطق أساريره بما فيه من معنى اليأس والقنوط .

(٤٢) السلوى : كل ما سلاك . جعل فقد العينين فقدا للحياة ، إذ بدونهما يفقد الانسان كثيرا من ملاذ الحياة ونعيمها .

(٤٣) مطل الحق : تسويفه بوعد الوفاء مرة بعد أخرى . يشير الى إبطاء الناس فى مساعدته وتوانيهم فى ذلك .

(٤٤) المآزر : الثياب ؛ الواحد : مئزر . شبه بها مايغطى الروض ويستره من نبات أخضر . ويغالى : يفخر .

(٤٥) صفحة السماء : رقعتها . وباهر اللآلى : الكواكب والنجوم التى تبهر بضوئها .

ما رأى النِّيلَ فى الخمائِلِ يختا ... لُ بأذيالِه العِراضِ الطِّوالِ (٤٦)
ما رأى فِضَّةَ الضُّحَى فى سَنَاها ... أَوْ تَمَلَّى بعَسْجَدِ الآصالِ (٤٧)
فَدعوه يَشْهَدْ جَمَالاً من الإحْسَانِ ، إِنْ فاته شُهُودُ الجَمالِ (٤٨)
ودعوه يُبْصِرْ ذُبَالاً مِنَ الرَّحْمَةِ ، إنْ عَقَّه ضياءُ الذُّبالِ (٤٩)
قد خَبَرْتُ الدُّنيا فلم أَرَ أَزْكَى ... مِنْ يَمِينٍ تفتَّحتْ عَنْ نَوَالِ ! (٥٠)

*
* *

أَيُّها الْوَادِعُونَ يَمْشُونَ زَهْوًا ... بَيْنَ جَبْرِيَّةٍ وَبَيْنَ اخْتِيالِ (٥١)
يُنفِقُونَ القِنْطَارَ فى تَرَفِ العَيْشِ ، ولَا يُحْسِنُونَ بالمِثْقَالِ (٥٢)
ويَرَوْنَ الأَمْوَالَ تُنْثَرُ فى اللَّهْوِ ، فَلَا يَجْزَعُونَ لِلأَمْوَالِ (٥٣)

---

(٤٦) الخمائل : المواضع الكثيرة الأشجار الملتفة ، الواحدة خميلة . يشبه فروع النيل ونهيراته وهى تنساب بين الخمائل بالأذيال يجرها المتبختر المختال وراءه .

(٤٧) تملى : استمتع . وهذا الفعل مما يتعدى بنفسه ولكنه لما ضمنه معنى استمتع عداه بالباء . والعسجد : الذهب ، والآصال : جمع أصيل وهو مابعد العصر الى المغرب . شبه بياض الضحى بالفضة وصفرة الآصال بالعسجد .

(٤٨) الاحسان : البر ومد اليد بالمعروف .

(٤٩) ذبالا من الرحمة ، أى بصيصا من نورها . والذبال فى الأصل : الفتيلة . شبه الرحمة بالقنديل يرسل نوره على لسان ذبالته . وعقه : فاته وامتنع عليه . وضياء الذبال ، أى نور المصابيح ، ويريد النور عامة .

(٥٠) خبر الدنيا : أحاط بما فيها علما . وأزكى : أطهر وأطيب . والنوال : البذل والعطاء . وتفتح اليمين بالنوال : امتدادها بالجود والاحسان .

(٥١) الوادعون : المترفون الذين ضمنوا بحبوحة العيش ورغده فباتوا فى هدوء ودعة . والزهو : التيه والتكبر . والجبرية : نسبة الى الجبر بمعنى الجبروت والعظمة .

(٥٢) ترف العيش : مازاد على الحاجة وكان للترفيه والتنعيم . والمثقال : مايوزن به . يريد شيئا قليلا .

(٥٣) تنثر : تبعثر عن كثرة وتبذير . فلا يجزعون ، أى فلا يحزنون على ضياعها .

إِن فى بَلْدَةِ المُعِزِّ جُحُوراً مُتْرَعاتٍ بأَدْمُعِ الأَطْفالِ(٥٤)
كلُّ جُحْرٍ بالبُؤْسِ والفَقْرِ مملو ءٌ ، ولكنّه من الزّادِ خالى(٥٥)
بَسَقَتْ فيه للجَرَاثيمِ أَفْنا نٌ تدلَّتْ بكلِّ داءٍ عُضَال(٥٦)
لوْ رأَيتَ الأَشباحَ مِنْ ساكنيه لرَأَيْتَ الأَطْلَالَ فى الأَطْلال!(٥٧)
يَرْهَبُ النُورُ أَنْ يمُرَّ به مَـــــرًّا ، وتَخْشَى أَذاهُ ريحُ الشَّمال(٥٨)
تَحْسَبُ الطِّفلَ فيه فى كَفَنِ المَوْ تَى وقَدْ ضمَّه الرِّداءُ البالى(٥٩)
أَيها الأَغنيــاءُ أَين نَدَاكُمْ ؟ بَلَغ السَّيْلُ عالياتِ القِلال!(٦٠)

---

(٥٤) بلدة المعز : القاهرة نسبة الى المعز لدين الله الفاطمى ، الذى أنشئت القــاهرة له على يد قائده جوهر الصقلى سنة ٣٦١ هـ (٩٦٩ م) . وكانت ولاية المعز سنة ٣٤١ هـ (٩٥٣ م) . وكان عهده فى مصر من أزهى عصورها ، زادت فيه ثروة البلاد زيادة كبيرة . وتوفى المعز سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) . ويريد بالجحور تلك الخربات والأكواخ المظلمة التى يسكنهــا الفقراء ، ومترعات : مفعمة مملوءة . وجعلها مملوءة بدموع الأطفال لكثرة بكائهم واعوالهم من ألم الجوع والفاقة . وهذا ما سيذكره فى البيت التالى .

(٥٥) امتلأت منازلهم بالفقر وخلت مما احتاجوا اليه وهو الزاد .

(٥٦) بسقت : ارتفعت وطالت . والأفنان : الفروع والأغصان ؛ الواحد : فنن (بالتحريك) والداء العضال : المعي الغالب . جعل الجراثيم لطول ما قرت فى تربة هــذه الأكواخ كأنها نبتت وأصبحت أشجارا ذوات فروع عالية تدلت لا بالأثمار ، ولكن بالأوبئة الفتاكة والأمراض المستعصية .

(٥٧) جعل ساكنى هذه الأكواخ لكثرة ما نال الجوع والهزال من أجسامهم بين هــذه الأكواخ المتهدمة كأطلال تعيش بين أطلال .

(٥٨) لما جعل ساكنى هذه الجحور أشباحا ، وهى مما يخاف ويتقى ، جعــل النور والهواء لا يمران بها خوفا ورعبا ، أو أنه لمــا كانت هذه الجحور مملوءة بالأوبئة والأمراض خشى النور والهواء أن يمرا بها .

(٥٩) جعل الطفل فى هزاله وأسماله البالية كأنه الميت انطوى عليه الكفن الخلق .

(٦٠) الندى : الكرم والجود . والقلال : جمع قلة وهى من الجبــل أعلاه . وبلوغ السيل عاليات القلال كناية عن اشتداد الخطب وتجاوزه غاية المدى .

هُمْ عِيالُ الرَّحمنِ ماذا رأَيتُمْ أَو صَنَعْتُم لهؤلاءِ العِيالِ ؟[٦١]

***

رُبَّ أَعْمَى له بصيرةُ كَشْفٍ نفذَتْ من غَياهِبِ الأَسْدالِ ![٦٢]
أَخذ اللهُ منهُ شيئًا وأَعطى وأَعاضَ المِكْيالَ بالمِكْيالِ[٦٣]
يَلْمَحُ الخَطْرَةَ الخَفِيَّةَ للنَّفْـ ـسِ لها في الصُّدورِ دَبُّ النِّمالِ[٦٤]
ويَرَى الحقَّ في جَلالةِ معنا هُ فيحيا في ضَوْءِ هذا الجَلالِ[٦٥]
كان شَيْخُ المَعرَّةِ الكَوْكَبَ السَّا طِعَ في ظُلْمةِ القُرُونِ الخَوالى[٦٦]
فأَتَى وهْوَ آخِرٌ (مِثْلَما قا لَ) بما نَدَّ عنْ عُقولِ الأَوالى[٦٧]

***

أَنقِذوا العاجزَ الفَقيرَ وصُونُوا وجْهَه عَنْ مَذَلَّةٍ وابْتِذالِ[٦٨]

---

(٦١) العيال : من تلزمك نفقتهم والقيام بأمرهم . والفقراء عيال الرحمن ، لأنهم لا وزر لهم ولا ملجأ إلا اليه .

(٦٢) البصيرة : الفطنة . والغياهب : الظلمات . والأسدال : الحجب وما يقوم بينك وبين الشيء يستره عنك . يقول ان من بين العميان من أعاضه الله عن فقد بصره بصيرة نافذة وحدسا صادقا يكشف بهما ما يخفى عن المبصرين . وسيبسط الشاعر هذا المعنى فى الأبيات الثلاثة الآتية .

(٦٣) المكيال : أداة الكيل . أعاض : أبدل .

(٦٤) الخطرة : ما يخطر بالبال من الأفكار . ويضرب بدب النمال فى خفاء الصوت وضعفه .

(٦٥) يريد الشاعر أن فهم الكفيف حقائق الأشياء سبب فى الرضا .

(٦٦) شيخ المعرة : هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى الشاعر ، الفحل الفيلسوف . ولد بمعرة النعمان (وهى بلد بين حماه وحلب) سنة ٣٦٣ هـ واليها ينسب . وقد كف بصره فى الثالثة من عمره وتوفى بالمعرة سنة ٤٤٩ هـ .

(٦٧) ند : استعصى وامتنع . يشير الى قوله :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

(٦٨) الابتذال : الامتهان .

عَلِّموهُ ، يَطْرُقْ مِنَ العَيْشِ بابًا ... وامْنَحُوه مَفَاتِحَ الاقْفَالِ (٦٩)
لا تَضُمُّوا إلى أَسَاهُ عَمَى الجَهْـ ... ـلِ فَيَلْقَى النَّكَالَ بَعْدَ النَّكَالِ (٧٠)
كُلُّ شيءٍ يُطَاقُ مِن نُوَبِ الأَيَّـ ... ـامِ إلاَّ عَمَايَةَ الْجُهَّالِ (٧١)
عَلِّموه ، فالعِلْمُ مِصْباحُ دُنيا ... هُ ولا تَكْتَفُوا بِصُنْعِ السِّلاَلِ (٧٢)
إِنْ جَفَاهُ الزَّمانُ والآلُ والصَّحْـ ... ـبُ فَكُونوا لِمِثْله خيرَ آلِ (٧٣)
نَزَلَ الوَحْيُ فى التَّرَفُّقِ بالأَعْـ ... ـمَى وبسْطِ اليدَيْنِ للسُّؤَالِ (٧٤)
سوف تتلو الأجيالُ تاريخَ مِصْرٍ ... فأَعِدُّوا التَّاريخَ لِلأَجْيالِ (٧٥)
بالأَيادِي الحِسانِ يُمْحَى دُجَى البؤْ ... سِ وتَسْمُو الشُّعوبُ نَحوَ الكمالِ (٧٦)
يَذْهبُ الفَقْرُ والثَّراءُ ويَبْقى ... ما بَنَى الخَيِّرونَ من أعْمَالِ ! (٧٧)

---

(٦٩) جعل العلم مفتاحا فى يد الأعمى يفتح به ما سد من أبواب العيش أمامه .

(٧٠) الأسى : الحزن . والنكال : الشر والمكروه .

(٧١) نوب الأيام : مصائبها وما تنتاب به . والعماية : الغواية والضلال .

(٧٢) السلال : جمع سلة وهى معروفة . يشير الى مايعلمه العميان فى الملاجىء من صنع السلال . ويهيب بأولى الامر ألا يقفوا فى تعليمهم عند هذا الحد .

(٧٣) الآل : الأهل والعشيرة .

(٧٤) السؤال : جمع سائل . يشير إلى ما نزل من القرآن الكريم على النبى صلى الله عليه وسلم فى الترفق بالأعمى فى (سورة عبس) .

(٧٥) يعنى أن الأجيال المقبلة سوف تقرأ تاريخ مصر الحاضر ، فانظروا أى تاريخ تحبون أن يقرأ عنكم ويحفظ لكم .

(٧٦) الأيادى الحسان : النعم تسدى لمستحقيها . والدجى : الظلمة .

(٧٧) الخيرون : كثيرو الخير . والغرض : أنه لا يبقى للانسان إلا ثواب الأعمال الطيبة .

أفُولُ نجمين

في ١٨ من نوفمبر سنة ١٩٣٣ غادر سرب الطيارات الحربية المصرية انجلترا قاصداً الى مصر ، وفيما كان السرب طائراً في سماء فرنسا سقطت إحدى طائراته محترقة في بلدة « مونشو سورنج » واحترق طياراها المرحومان « فؤاد حجاج أفندي » و « شهدي دوس أفندي » وبذلك أفل نجمان من نجوم مصر ، وفقدت وهي في مستهل نهضتها شابين من خيرة شبابها جرأة وشهامة وإقداما .

وهكذا أبى القدر الا أن يكون لمصر ذات التاريخ المجيد أثر جليل خالد في هذا الميدان الفسيح الذي احتسبت فيه الأمم المتمدينة الألوف من أبنائها لتسخير الريح وتذليل الهواء في سبيل العز والمنعة والحضارة والفخار .

وفي هذه القصيدة يصور الشاعر هذا الحادث الجلل ، ويصف وقعه وآثاره .

جَمَعَ الشُّجُونَ وبَدَّدَ الأَحْلَامَا ... خَطْبٌ أَنَاخَ بِكَلْكَلٍ وأَقَامَا (١)

أَخْلَى الكِنَانَةَ مِنْ أَمَرِّ سِهَامِهَا ... عُوداً ، وَرَاعَ النِّيلَ والأَهْرَامَا (٢)

وعدَا عَلَى رَوْضِ الشَّبَابِ وظِلِّهِ ... فَغَدَا بِهِ رَوْضُ الشَّبَابِ حُطَامَا (٣)

---

(١) الشجون : الأحزان والهموم ؛ الواحد : شجن (بالتحريك) . وبدد الأحلام ، أي ذهب بما كنا نرجو ونأمل . والخطب : الأمر المكروه . وأناخ : برك . والكلكل الصدر . وأقام : استمر . وإناخة الخطب بكلكله كناية عن ثقله وعدم احتماله ، تشبيها له بالجمل إذا برك بصدره على الشيء .

(٢) أخلى : جعلها خالية فارغة . والكنانة (بالكسر) : جعبة تجعل فيها السهام . والسهام : النبال ؛ الواحد : سهم . وأمرها : أشدها وأقواها . ولما شبه مصر بالكنانة جعل أبناءها كالسهام عدة ووقاية . وراع : أفزع .

(٣) عدا : اعتدى . والحطام : ما تكسر من اليبس . أي إن الموت عدا عليهما وهما في نضرة الشباب فأيبس عوديهما وفتتهما .

غُصنَانِ ، هَزَّهُمَا الصِّبَا فَتَمايَلا ... وسَقَاهُمَا الأَمَلُ الروِيُّ جِمَامَا (٤)
نَجْمَانِ ، غَالَهُمَا الزَّمانُ فأَصْبَحا ... بَعْدَ التَّأَلُّقِ والسُّطُوعِ رُكَاما (٥)
نسْرانِ ، لو رَضِيَ القَضَاءُ تَحَلَّقَا ... دَهْراً ، عَلَى أُفُقِ الدِّيارِ وَحَاما (٦)

* * *

إِبْكِ الشَّبَابَ الغَضَّ فى رَيْعَانِهِ ... وأَفِضْ عَلَيهِ مِنَ الدُّمُوعِ سِجَامَا (٧)
وانْثُرْ أَزَاهِيراً عَلَى الزَّهْرِ الَّذِى ... كَانَتْ لَه كُلُّ القُلوبِ كِمَاما (٨)
وابْعَثْ أَنِينَكَ للسَّحَابِ شِكَايَةً ... فإِلَامَ تَحْتَبِسُ الأَنِينَ إِلَاما ؟ (٩)
لَهْفِى عَلَى أَمَلٍ مَضَى فى لَمْحَةٍ ... لَوْ دَامَ فى الدُّنْيا السُّرُورُ لَدَاما ! (١٠)
لَمْ نَشْكُرِ الأَيَّامَ عند بَرِيقِهِ ... حَتَّى أَخَذْنَا نَشْتَكِى الأَيَّاما (١١)

(٤) هزهما الصبا ، أى ملئا قوة وفتوة . فتمايلا ، أى فتثنيا اعجابا وتيها . والروى ، أى البالغ غاية الرى . والجمام : جمع جم (بالفتح) وهو معظم الماء والكثير منه . وسقاهما . . الخ أى إنهما ملئا آمالا عذابا كثيرة .

(٥) غالها : أرداها وأهلكهما . والتألق : اللمعان والاضاءة . والسطوع : الانتشار . وأصبحا ركاما ، أى قطعا متراكمة ، بعضها فوق بعض .

(٦) حلقا : ارتفعا . وحام الطائر حول الشيء : دار به . أى لو أن القضاء أمهلهما لرأيناهما كالنسرين يحلقان فى جو مصر ويحومان .

(٧) الغض : الناضر . وريعان الشباب : أوله . وأفض : اسكب . وسجاما : كثيرا .

(٨) الأزاهير : الأزهار . ويريد بالزهر : الفقيدين اللذين كان يحكى شبابهما الزهر نضرة . والكمام . جمع كم (بالكسر) وهو وعاء الطلع وغطاء النور . أى أن القلوب كانت تحوطهما وترعاهما وكانت لهما كالكمام للزهر جنة ووقاية .

(٩) الأنين : التأوه وارسال الصوت بالألم . وشكاية : أى شاكيا . أى ارفع الصوت عاليا بالأنين والشكوى علك تفرج عن نفسك . وقد يكون لذكر السحاب هنا معنى آخر وهو أنه لما كان فى الجو حتفهما صح ارسال الأنين بالشكاية إلى السحاب .

(١٠) لهفى : كلمة يتحسر بها على ما فات . ولو دام فى الدنيا . . . الخ . أى إن السرور فى الأيام لا يدوم ولذا لم تبق الأيام على هذا الامل ليدوم به سرورنا .

(١١) عند بريقه ، أى عند ما لاح وظهر والضمير فى (بريقه) يعود على الأمل . أى لم نكد نهم بشكر الأيام على ما حققت لنا من أمل ، حتى عدنا نشكو ونألم لقضائها على هذا الأمل فى مهده .

لم تَلْمَحِ العَيْنُ الطَّمُوحُ شُعَاعَه ... حَتَّى رَأَتْ ذَاكَ الشُّعاعَ ظَلَامَا(١٢)

* * *

حَجَّاجُ ! لاقَيْتَ اليَقِينَ مُكَافِحاً ... بطَلاً، ويا شُهْدِى! قَضَيْتَ هُمَامَا(١٣)

رَكِبَا الهَوَاءَ، وكلُّ نَفْسٍ لو دَرَتْ ... غَرَضٌ تَنَازَعُهُ المَنُونُ سِهَامَا(١٤)

والمَوْتُ يَلْقَى الاسْدَ فى عِرِّيسِهَا ... ويَغُولُ حَوْلَ كِنَاسِهَا الآرَامَا(١٥)

لا الدِّرْعُ تُصْبِحُ حِينَ تَبْطِشُ كَفُّهُ ... دِرْعاً ولا السَّيْفُ الحُسَامُ حُسَامَا(١٦)

رَكِبَا جَمُوحَ الجَوِّ يَلْوِى رَأْسَه ... كِبْراً، ويَأْنَفُ أَنْ يُنِيلَ زِمَامَا(١٧)

فى عَاصِفَاتٍ لم تُزَعْزِعْ مِنْهُمَا ... عزْماً كَحَدِّ السَّيْفِ أَوْ إقْدَامَا(١٨)

والجَوُّ أَكْلَفُ، والسَّماءُ مَرِيضَةٌ ... واللَّيْلُ دَاجٍ، والخُطُوبُ تُرَامَى(١٩)

---

(١٢) العين الطموح : المتطلعة إلى العلا والمجد . أى لم يكد يبدو لنا ضوء ذلك الأمل حتى خبا نوره وعاد ظلاما .

(١٣) اليقين ، أى الموت الذى هو حق لامرية فيه . ومكافحا ، أى مواجها المكاره والشدائد . وقضيت : مت .

(١٤) الغرض : الهدف الذى يرمى اليه . وتنازعه ، أى تتنازعه . وسهاما : حال من المنون . والسهام : النبال . الواحد : سهم . والمنون : الموت . أى إن أسباب الفناء يزاحم بعضها بعضا ويسابق فى اصابة هذا الغرض .

(١٥) العريس : مأوى الأسد . ويغولها : يأخذها من حيث لا تدرى ويهلكها . والكناس : بيت الظبي فى الشجر يستتر فيه . سمى كذلك لأنه يكنس الرمل حتى يصل اليه . والآرام : الظباء الخالصة البياض . الواحد : رئم ، أى إن القوى والضعيف أمام الموت سواء .

(١٦) الدرع : ثوب ينسج من زرد الحديد يلبسه المحارب وقاية وجنة ، يؤنث ويذكر . وكفه ، أى كف الموت . والحسام : القاطع . أى أن الموت لا يتقى ولا يغلب على أمره .

(١٧) جموح الجو ، أى عاصيه الذى يغلب راكبه ، تشبيها له بالفرس الجموح يركب رأسه لا يثنيه شىء . ويلوى رأسه ، أى يصرفه اباء وامتناعا . والزمام : ما تقاد به الدابة .

(١٨) لم تزعزع منهما عزما ، أى ان عزمهما كان ثابتاً لم يهتز جبنا ولا خوفا أمام العواصف .

(١٩) أكلف : مغبر مدلهم . ومريضة ، أى غير صاحية ولا صافية . والليل داج : أى قد غامت سماؤه وخفيت نجومه . وترامى : تترامى ، أى أن الخطوب لكثرتها يقذف بعضها بعضا .

والمَوْتُ يَخْفِقُ فى جَنَاحَىْ جَارِحٍ ... مَلأَ الفَضَاءَ شَرَاسَةً وعُرَاما (٢٠)
بَسَمَا إلى الخَطْبِ العَبُوسِ ، وإنَّمَا ... يَلْقَى الكَمِىُّ قَضَاءَه بَسَّاما (٢١)
لَهْفِى عَلَى البَطَلَيْنِ غَالَهُمَا الرَّدَى ... لَمْ يَمْلِكَا دَفْعاً ولا إحْجَاما ! (٢٢)
المَوْتُ تَحْتَهما يَصُولُ مُخَاتِلاً ... والمَوْتُ فَوْقَهما يَحُومُ زُؤَاما (٢٣)
ثَبَتَا لِحُكْمِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ ... والخَطْبُ يَلْقَاهُ الكِرَامُ كِرَاما (٢٤)
والسَّيْفُ أَكْثَرُ ما يُلاقِى حَتْفَه ... يومَ الكَرِيهةِ صَارِماً صَمْصَاما (٢٥)
قد يُنْسِىءُ المَوْتُ النِّمالَ بِجُحْرِها ... ويَغُولُ فى آجَامِهِ الضِّرْغَاما (٢٦)
يا هَوْلَها من لَحْظَةٍ لا نَارُها ... بَرْدٌ ، ولا كَانَ اللَّهِيبُ سَلاما (٢٧)

---

(٢٠) الجارح : المفترس من الطير . والشراسة : الشدة والأذى . والعرام : الحدة والشدة . يصف فى هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله الجو واظلامه وعصف رياحه حين طارا .

(٢١) العبوس : المقطب . والخطب اذا اشتد وصف بالعبوس . والكمى : الشجاع .

(٢٢) الردى : الهلاك . واحجاما : أى رجوعا وانصرافا . وغالها : ذهب بهما .

(٢٣) يصول : يثب ويعدو . والمخاتلة : الخداع عن غفلة . ويحوم : يحلق مطيفا بهما . والزؤام من الموت : الكريه المجهز . أى ان الموت غشيهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم .

(٢٤) يقول انهما لم يجبنا عند الموت ، وكذلك الكريم يبقى كريما عند المكاره .

(٢٥) الكريهة : الحرب وشدتها . والصارم الصمصام : السيف القاطع الصلب . أى ان أكثر السيوف تعرضا للتلف فى الحروب أمضاها وأصلبها لكثرة ما يضرب بها . وكذلك الشجعان أقربهم الى الحتف أكثرهم جرأة واقداما .

(٢٦) ينسىء : يمهل ويؤجل . ويغول : يهلك . والآجام : الشجر الكثير الملتف . الواحدة : أجمة ، يتخذها الأسد مأوى له . والضرغام : الأسد . أى ان الموت قد يترك الهين الحقير ويعدو على القوى الخطير .

(٢٧) يا هولها ، أى يا شدة ما أفزعت وعظيم ما انتابت . واللحظة : المرة من اللحظ ، واستعمالها بمعنى الوقت مجاز . وبردا ، أى لا لظى فيها ولا حرقة . وسلاما ، أى أمنا لاضرر فيه .

هَلْ أَخْطَرَا فِيهَا عَلَى بَالَيْهِما ‏ ‏ النِّيلَ والآباءَ والأَعْمَامَا ؟ (٢٨)

والْمَوْطِنَ الصَّدْيَانَ يَرْقُبُ عَوْدَةً ‏ ‏ وَيلاهُ ! قَدْ عَادَا اليه رِمَامَا (٢٩)

أَتَقَاسَمَا فِيهَا الوَدَاعَ بِلَفْظَةٍ ‏ ‏ أَمْ لَمْ تَدَعْ لَهُمَا الْمَنُونُ كَلاَمَا ؟ (٣٠)

هل فَكَّرَا فى الأُمِّ تندُبُ حَظَّهَا ‏ ‏ والزَّوْجِ تُسْكِتُ وَالِهِينَ يَتَامَى (٣١)

إِنَّ السَّلاَمَةَ قَدْ تَكُونُ مَذَلَّةً ‏ ‏ وَيَكُونُ إِقْدَامُ الجرىءِ حِمَامَا (٣٢)

والْمَرءُ يَلْقَى باخْتِيَارِ كِلَيْهِمَا ‏ ‏ حَمْدًا يُحَلِّقُ بِاسْمِهِ أَوْ ذَامَا (٣٣)

والْمَجْدُ يَعْتَدُّ الْحَيَاةَ قَصِيرَةً ‏ ‏ وَيَرَى فَنَاءَ الْخَالِدِينَ دَوَامَا ! (٣٤)

---

(٢٨) فيها ، أى فى اللحظة السابق ذكرها . وأخطرا على باليهما النيل ... الخ ، أى ذكرا الوطن والأهل .

(٢٩) الصديان ، المتعطش لهما . ويرقب : ينتظر ويتطلع . والرمام : جمع رمّة ، وهى ما تفتت من العظام . يريد رفاتهما .

(٣٠) تقاسما فيها الوداع بلفظة ، أى اقتسما بينهما فيها كلمة وداع نطق كل منهما ببعض حروفها . والمنون : الموت . يصف اللحظة التى قضيا فيها بشدة القصر .

(٣١) تندب حظها : تبكيه . ووالهين ، أى أطفالا روعهم الحزن ففزعوا الى أمهم .

(٣٢) الحمام : الموت .

(٣٣) كليهما ، أى السلامة والاقدام . ويحلق باسمه ، أى يرفعه ويذيع شهرته ، مأخوذ من تحليق الطائر وهو ارتفاعه فى طيرانه . والذام : العيب .

(٣٤) يعتد : يعد . والخالدون ، أى ذوو الأعمال الخالدة .

حنين طائر

نظمت هذه القصيدة فى سنة ١٩١٥

طَائِرٌ يَشْدُو عَلَى فَنَنِ ... جَدَّدَ الذِّكْرَى لِذِى شَجَنِ (١)

قَامَ وَالأَكْوَانُ صَامِتَةٌ ... ونَسِيمُ الصُّبْحِ فى وَهَنِ (٢)

هَاجَ فى نفسِى وقد هدَأَتْ ... لَوْعَةً لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنِ (٣)

هَزَّهُ شَوْقٌ إلى سَكَنٍ ... فَبَكَى لِلْأَهْلِ والسَّكَنِ (٤)

وَيْكَ لا تَجْزَعْ لِنَازِلَةٍ ... ما لِطَيْرِ الْجَوِّ مِنْ وَطَنِ (٥)

قَدْ يَرَاكَ الصُّبْحُ فى حَلَبٍ ... وَيَرَاكَ اللَّيْلُ فى عَدَنِ (٦)

أَنْتَ فى خَضْرَاءَ ضَاحِكَةٍ ... مِنْ بُكَاءِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ (٧)

---

(١) يشدو : يغنى ويترنم . والفنن : الغصن . ويريد بالذكرى تذكر أسباب الحزن ودواعيه . والشجن : الحزن .

(٢) الوهن : الضعف .

(٣) هاج : أثار أى الطائر المترنم . واللوعة : الحرقة .

(٤) السكن : كل ما سكنت اليه وارتاحت اليه نفسك من وطن أو صديق أو نحوهما .

(٥) ويك : عجبا لك . والجزع : نقيض الصبر . والنازلة : الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس .

(٦) حلب : بلد فى سورية بالقرب من حدودها الشمالية . وعدن : بلد على ساحل الخليج المسمى باسمها جنوبى جزيرة العرب .

(٧) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . والهتن : المنصب الهطل . والمعنى أنك تعيش فى أرض مخصبة كثيرة النبات والشجر باسمة الزهر تمطرها سحب غزيرة المياه ، فكيف تجزع ؟

أَنْتَ فى شَجْرَاءَ وَارِفَةٍ   تَارِكٌ غُصْنًا إِلَى غُصُنِ (٨)
عَابِثٌ بِالزَّهْرِ مُغْتَبِطٌ   نَاعِمٌ فى الْحِلِّ والظَّعَنِ (٩)
فى ظِلاَلٍ حَوْلَهَا نَهَرٌ   غَيْرُ مَسْنُونٍ وَلاَ أَسِنِ (١٠)
فى يَدَيْكَ الرِّيحُ تُرْسِلُهَا   كَيْفَمَا تَهْوَى بِلاَ رَسَنِ (١١)

* * *

يا سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ أَفِقْ   لَيْسَ لِلَّذَاتِ مِنْ ثَمَنِ (١٢)
وابْعَثِ الأَلْحَانَ مُطْرِبَةً   يا حَيَاةَ الْعَيْنِ والأُذُنِ (١٣)
غَنِّ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا   ونِظَامِ الكَوْنِ والسُّنَنِ (١٤)
وبِقِيعَانٍ هَبَطْتَ بِهَا   وبِمَا شَاهَدْتَ مِنْ مُدُنِ (١٥)

---

(٨) أرض شجراء: كثيرة الشجر. وورف الظل يرف ورفا ووريفا ووروفا : اتسع وطال وامتد.

(٩) عابث : لاعب . والمغتبط : المغبوط وهو الذى يتمنى الانسان مثل حاله . وناعم : متنعم متمتع فى سعة من العيش ولين ورفاهة . والحل : مصدر حل المكان وحل به أى نزل به . والظعن بسكون العين وفتحها مصدر ظعن أى سار وارتحل .

(١٠) مسنون : منتن . والأسن من الماء : الآجن وهو المتغير الطعم واللون .

(١١) تهوى : تحب . والرسن : الحبل تربط به الدابّة . والمعنى أن قدرتك على الطيران تامة والريح مسخرة لك تركب متنها وتطلقها بلا عنان كيفما شئت .

(١٢) سيدنا سليمان بن سيدنا داود عليهما السلام ، والمعنى أن الله قد سخر لك الريح كما سخرها من قبل لسليمان ، فخلّ عنك الهمّ والجزع ، وانعمْ بما حباك من اللذات فانهـا إن فاتتْ لا يستطيع أحد رجعها بأى ثمن .

(١٣) الألحان : جمع لحن وهو صوت التغريد والغناء ، ولحن فى قراءته إذا طرّب بها وغرّد . وأطربه بعث فى نفسه الطرب وهو خفة تصيب الانسان لشدة سرور ، ومعنى الشطر الثانى أن صورته وهيئته مُتعة للعين ، وصوته مُتعة للأذن .

(١٤) السُنن : جمع سُنة وهى الطبيعة .

(١٥) القيعان : جمع قاع وهو المستوى من الأرض . وهبط : نزل وبابه جلس .

وبأَزهارِ الصَّباحِ وقدْ نَهضَتْ مِنْ غَفْوَةِ الوَسَنِ (١٦)
وبِقلبٍ شَفَّهُ وَلَهٌ حَافِظٍ لِلعَهْدِ لم يَخُنِ (١٧)
كُلُّ شَيءٍ فى الدُّنَا حَسَنٌ أَيُّ شَيءٍ لَيْسَ بالْحَسَنِ (١٨)
خَالِقُ الْأَكْوَانِ كَالِئُهَا وَاسِعُ الْإِحْسَانِ وَالْمِنَنِ (١٩)

***

كانَ لِي إِلْفٌ فَأَبْعَدَهُ قَدَرٌ عَنِّي وأَبْعدَنِي (٢٠)
أَنا مَدَّ الدَّهرِ أَذْكُرُهُ وَهْوَ مَدَّ الدَّهرِ يَذْكُرُنِي (٢١)
قد بَنَيْنَا العُشَّ مِنْ مُهَجٍ غُسِلَتْ مِنْ حَوْبَةِ الدَرَنِ (٢٢)

---

(١٦) الغفوة : النوْمة الخفيفة . والوَسَن : النعاس . والمعنى أن الأزهـار قد تفتحت فى الصباح كما يفتح الانسان عينيه إذا قام من نومه .

(١٧) شفه الهم : هزله . والوله : الهمّ والحزْن والحيرة .

(١٨) الدُنا : جمع دنيا ، يريد أن يحمل الطائر على المرح والسرور وترك الجزع والبكاء ، فبعد أن دعاه إلى الغناء بجمال الدنيا ودقة نظام الكون ، ثم بحسن المشاهد الطبيعية وجمال الآثار الصناعية ، ثم بروعة الأزهار وقد تفتحت وقت الصباح ، ثم بحسن الفضيلة وبهائها دفعه إلى مذهب المتفائلين وهو أن كل ما فى الدنيا خير ونعيم ، وإذا ظهر فيها ما يخالف ذلك فانما هو لعدم فهم حقيقته ، فربّ نقمة فى طيها نعمة ، ورب شرّ أدى إلى خير عظيم .

(١٩) كالئها : حافظها . والمنن : جمع منّة وهى النعمة ، أى ما دام الله سبحانه وتعالى يكلأ الكون برعايته وهو واسع الفضل كثير النعم ، فيجب ألا يحمل الانسان همّا فى هذه الحياة .

(٢٠) الالف : الأليف والحبيب . والقدر : ما يقدّره الله عزّ وجل ويقضى به . ولما كان الشاعر يخاطب طائراً جعل نفسه طائراً أيضا وبثّ شكايته إلى من أصيب بمثل مصابه .

(٢١) مدّ الدهر : مداه وطوله .

(٢٢) المهج : جمع مهجة وهى النفس والروح . والحوبة : الاثم والذنب . والدرن : الوسخ ، والمراد أن ألفتنا قامت على العفاف بين نفسين مطهرتين من أدران الآثام .

مِنْ لَدُنْهُ الْوُدُّ أَخْلَصُهُ والْوَفَا والطُّهْرُ مِنْ لَدُنِي (٢٣)
كانَتِ الْأَطْيَارُ تَحْسُدُهُ جَنَّةَ الْمَأْوَى وتَحْسُدُنِي (٢٤)
وظَنَنَّا أَنْ نَعيشَ بِهِ عِيشَةَ الْمُسْتَعْصِمِ الْأَمِنِ (٢٥)
فَرَمَتْ كَفُّ الزَّمَانِ بِهِ فَكَأَنَّ الْعُشَّ لم يَكُنِ (٢٦)
طَارَ مِنْ حَوْلِي وَخَلَّفَنِي لِلْجَوَى والْبَثِّ والْحَزَنِ (٢٧)
وَنَأَى عَنِّي وما بَرِحَتْ نَازِعَاتُ الشَّوْقِ تَطْرُقُنِي (٢٨)
وَمَضَى والْوَجْدُ يَسْبِقُهُ وَدموعُ الْعَيْنِ تَسْبِقُنِي (٢٩)

*
* *

إِنْ تَزُرْ يا طَيْرُ دَوْحَتَهُ بَيْنَ زَهْرٍ نَاضِرٍ وَجَنِي (٣٠)
وَشَهِدْتَ « التِمْسَ » مُضْطَرِبًا وَاثِبًا كالصَّافِنِ الْأَرِنِ (٣١)

---

(٢٣) المعنى أننا اشتركنا فى بناء هذا العش ، فبنيناه من حبٍّ ووفاء وطهر ، فكان من أليفى الود ، وكان منى الوفاء والطهر .

(٢٤) حسده على النعمة وحسده النعمة كرهها عنده وتمنى زوالها عنه . والمراد بجنة المأوى ما كان يجمعهما من منزل يفيض بأسباب النعيم والرفاهية والسعادة .

(٢٥) المستعصم : الممتنع المتقوى . والأمن : السالم المطمئن .

(٢٦) المعنى أننا افترقنا وشتت الزمان شملنا .

(٢٧) الجوى : الحرقة وشدة الوجد . والبث : أشد الحزن .

(٢٨) نأى : بعد . والنازعات جمع نازعة وهى ميل النفس الشديد . وتطرقنى : تجيئنى ، والطروق فى الأصل المجىء ليلاً .

(٢٩) الوجد : الحزن والحب .

(٣٠) الدوحة : الشجرة العظيمة . وناضر : حسن ، والنضرة الحسن والرونق . والجنى : ما يجنى من الشجر ما دام غضا .

(٣١) التيمس : نهر مشهور فى انجلترا . والصافن من الخيل ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . والأرن : النشيط مصلت الأذنين . يشبه أمواج النهر بالخيل المتوثبة .

عَبِثَتْ رِيحُ الشَّمالِ بِهِ فَطَغَى غَيْظًا على السُّفُنِ (٣٢)
فانْشُدِ الْأَطْيارَ وَاحِـدَها فى الْحُلَى والْحُسْنِ والْجَدَنِ (٣٣)
وَتَرَيَّثْ فى الْمَقَالِ لَهُ قَدْ يَكُونُ الْمَوْتُ فِى اللَّسَنِ ! (٣٤)
صِفْ لَهُ يا طَيْرُ ما لَقِيَتْ مُهْجَتِى فى الْحُبِّ مِنْ غَبَنِ (٣٥)
صِفْ لَهُ رُوحًا مُعَذَّبَةً ضَاقَ عَنْ آلامِهَا بَدَنِى (٣٦)
صِفْ لَهُ عَيْنًا مُقَرَّحَةً لِأَبِىِّ الدَّمْعِ لَمْ تَصُنِ (٣٧)

---

(٣٢) العبث : اللعب . وريح الشمال هى التى تهب من ناحية القطب ، وتقابل الجنوب . وطغى النهر هاجت أمواجه . والسفن : جمع جمع لسفينة .

(٣٣) نشدت الضالة من باب قتل : طلبتها . والحلى : جمع حلية وهى الصفة ، والحلية أيضاً الحلى وهو ما تتزين به المرأة من المصوغات والجواهر ونحوها . والجدن : حسن الصوت . يكنى بواحد الأطيار عن محبوبته التى امتازت من سائر النساء بصفات الجمال وحسن الصوت .

(٣٥) تريث : اتئد وتمهل . والمقال : القول . واللسن : الفصاحة ، والمراد إطلاق القول بلا روية ولا تدبر ، يحرص الشاعر على أن يؤدى الطائر رسالته إلى محبوبته خير أداء .

(٣٥) المهجة : النفس . والغبن : مصدر غبنه فى البيع ونحوه يغبنه أى خدعه .

(٣٦) المعنى أن آلام نفسه أشد وأكثر من أن يحتملها بدنه فهو معرض للتلف قريب من الهلاك .

(٣٧) مقرحة : مجروحة من كثرة البكاء . وأبى الدمع : ممتنعه . وصنت الشىء : حفظته ، والمعنى أن عينيه لم تقويا على حبس دمع كان ممتنعاً ، وقد قرحهما كثرة البكاء على فراق محبوبته . توقع الشاعر أن يزور الطائر الذى يحادثه حبيبته فى بيتها الممتع القائم بين الزهر والشجر والثمر ، ويرى على مقربة من نهر التيمس مضطرباً متموجاً كالصافن النشيط من الخيل ، تلعب به ريح الشمال فيغيظه عبثها فيهيج ويطغى على السفن ، توقع الشاعر كل هذا فطلب إلى الطائر أن يسأل عن محبوبته المتميزة عن لداتها بما تتزين به من الجواهر وصفات الحسن وجمال الصوت ، وأمره بالحذق واللباقة فى القول ، ونهاه عن عثرات اللسان القاتلة ، وذلك كى يصف لها ما تلقاه نفسه بسبب الحب من الوله والذهول ، وما تعانيه روحه من آلام وأوجاع لا يطيقها جسمه النحيل الذابل ، وما تقاسيه عيناه من تقرح وطول سهاد وكثرة بكاء .

*
* *

يا خَلِيــــــلِى والْهَوَى إِحَنٌ لَا رَمَاكَ اللهُ بِالْإِحَنِ (٣٨)
إِنْ رَأَيْتَ الْعَيْنَ نَاعِسَةً فَتَرَقَّبْ يَقْظَـــــةَ الْفِتَنِ (٣٩)
أَوْ رَأَيْتَ الْقَدَّ فى هَيَفٍ فاتَّخِذْ ما شِئْتَ مِنْ جُنَنِ (٤٠)
قَدْ نَعِمْنَا بِالْهَوَى زَمَنًا وَشَقِينا آخِـــــرَ الزَّمَنِ ! (٤١)

(٣٨) الخليل : الصاحب . والهوى : الحب . والإحن : جمع إحنة وهى الحقد والغضب . يقول لصديقه إن الحب قد يجر إلى الحقد والضغينة والغضب ، ولهـذا يدعو الله أن يجنب صديقه ضغائن الحب وأوزاره .

(٣٩) عين ناعسة : فاترة ، والفتور من صفات الحسن فى عيون النساء . يقول إن رأيت امرأة ذات طرف فاتر ، وعين ناعسة ساحرة ، فتوقع انتباه محنة الحب وانتظر وقوعك فى شرك الغرام .

(٤٠) القد : اعتدال القامة وحسن التقطيع . والهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة ، وبابه فرح . والجنن : جمع جنة وهى السترة وكل ما وقى . يقول إذا رأيت امرأة هيفاء تتبختر فى مشيتها معجبة بحسن قوامها وجمال تقطيعها فاطلب ما يقيك من هذه الصفات المغرية والمحاسن الفاتنة .

(٤١) الهوى : الحب ، ويريد به وصال الحبيب وقربه . يقول قد سعدت أنا وحبيبى بالقرب والوصال زمنا ، ثم شاء القدر أن نفترق فشقينا بهذا الفراق .

بين الشاعر لصديقه أن الهوى يجر إلى الضغينة والغضب ، ودعا ألا يرمى بشىء من هذا ، ثم فصّل له بعض ما يوقع الانسان فى فتنة الحب من فتور طرف المرأة وتبخترها بجمال قوامها ، وحذره هذا البلاء مبيناً له أن سلوان العاشقين غير ممكن ، فقد أسعدنا الوصل وأشقانا الفراق ، والبيت الأخير يشعر بالوفاء والحنين الشديد .

وَصِيَّة

عرض على الشاعر بعض أصدقائه قطعة نثرية باللغة الفرنسية يوصى فيها كاتبها ابنته بالتحلى بكريم الصفات ، ثم طلب إليه أن يقول شعراً على مثالها فنظم هذه القصيدة فى سنة ١٩١٨

يَا بُنَيَّتِي إِنْ أَرَدْتِ آيَةَ حُسْنٍ ... وَجَمَالاً يَزِينُ جِسْماً وَعَقْلاً (١)
فَانْبِذِي عَادَةَ التَّبَرُّجِ نَبْذاً ... فَجَمَالُ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَعْلَى (٢)
يَصْنَعُ الصَّانِعُونَ وَرْداً وَلَكِنْ ... وَرْدَةُ الرَّوْضِ لَا تُضَارَعُ شَكْلاً (٣)
صِبْغَةُ اللهِ صِبْغَةٌ تَبْهَرُ النَّفْـ ... ـسَ ، تَعَالَى الإِلَهُ عَزَّ وَجَلَّا (٤)
ثُمَّ كُونِي كَالشَّمْسِ تَسْطَعُ لِلنَّا ... سِ سَوَاءً : مَنْ عَزَّ مِنْهُمْ وَذَلَّا (٥)
فَامْنَحِي الْمُثْرِيَاتِ لِيناً وَلُطْفاً ... وَامْنَحِي الْبَائِسَاتِ بِرّاً وَفَضْلاً (٦)

---

(١) الآية : العلامة .

(٢) انبذى : اطرحى واتركى (فعله من باب ضرب) . والتبرج : أن تظهر المرأة زينتها للأجانب . يقول : إن الفتاة بجمال أخلاقها لا بجمال ثيابها .

(٣) لا تضارع ، أى لا تحاكى ولا يستطاع الاتيان بمثلها .

(٤) صبغة الله : فطرته التى فطر الناس عليها . وسميت صبغة : لظهور أثره تعالى عليها ظهور الصبغ على المصبوغ . وتبهر النفس : تذهلها وتملك عليها مناحى الاعجاب .

(٥) تسطع : تضىء وتشرق .

(٦) امنحى : جودى وأعطى . والمثريات من أصبن ثراء وغنى . والبر : الصلة . يوصيها بأن يكون معروفها موزعا بين الناس على السواء ، فينال المثريات من لينها ولطفها ، كما يصيب البائسات من عطفها وصلاتها ، فتكون فى ذلك كالشمس لا يحرم أحد ضوءها .

زِينَةُ الوَجْهِ أَنْ تَرَى العَيْنُ فيه ... شَرَفًا يَسْحَرُ العُيُونَ وَنُبْلا (٧)

واجعَلِي شِيمَةَ الحَيَاءِ خِمَارًا ... فهوَ بالغَادَةِ الكَرِيمَةِ أَوْلَى (٨)

لَيسَ لِلبِنْتِ فِي السَّعَادَةِ حَظٌّ ... إِنْ تَنَاءَى الحَيَاءُ عَنْهَا وَوَلَّى (٩)

والبَسِي مِنْ عَفَافِ نَفْسِكِ ثَوْبًا ... كُلُّ ثَوْبٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى (١٠)

وَإِذَا مَا رَأَيتِ بُؤْسًا فَجُودِي ... بِدُمُوعِ الإِحْسَانِ يَهْطِلْنَ هَطْلا (١١)

فَدُمُوعُ الإِحْسَانِ أَنْضَرُ فِي الخَدِّ ... وَأَبْهَى مِنَ اللآلِي وَأَغْلَى (١٢)

وانظُرِي فِي الضَّمِيرِ — إِنْ شِئْتِ مِرآ ... ةً — فَفِيهِ تَبْدُو النفوسُ وتُجْلَى (١٣)

ذَاكِ نُصْحِي إِلَى فَتَاتِي وَسُؤْلِي ... وابْنَتِي لا تَرُدُّ لِلأَبِ سُؤْلا (١٤)

---

(٧) أي إن زينة الوجه فيما تتحلى به صاحبته من خلال الشرف وتتمسك به من أهداب الفضيلة ، لا بما يكون عليه من أصباغ .

(٨) الشيمة : السجية والطبع . والخمار : ما تغطى به المرأة رأسها ووجهها . الغـادة : الشابة الحسنة .

(٩) تناءى : تباعد . وولى : ذهب . يطالبها فى هذا البيت والذى قبله بأن تجعل لها من عفافها خمارا إذ هو خير للفتاة الكريمة وأولى ، وإذا تجردت عن الحياء فقد حرمت سعادتها .

(١٠) أى إنه ليس أبقى على الدهر من عفاف تتحلى به الفتاة وتتجمل .

(١١) يهطل : ينصب انصبابا فى تتابع وكثرة .

(١٢) أنضر وأبهى : أحسن وأزهى . يقول : إن جمال العطف والاحسان أحلى من جمال الزينة .

(١٣) تجلى : تظهر . جعل الضمير كالمرآة لأنه يرى صاحبه صورة صحيحة من أعماله . ينصح للفتاة بالتزام الجادة والسبيل المستقيمة ، وهى كلما كانت إليهما أقرب رأت فى صفحة الضمير صورة نقية جميلة تقر بها عينها .

(١٤) سؤلى . أى مطلبى .

تحية دار الاذاعة

احتفلت دار الاذاعـــة فى شهر ابريل ســنة ١٩٣٧ بانتهاء العـــام الثالث من إنشائها ، ودعت لذلك نخبة من رجال العلم والأدب فى مصر ، ليذيع كل منهم كلمة فى هذا الصدد ، فاختصها الشاعر بهذه القصيدة وأذاعها فى هذا اليوم

سارِى الْهَوَاءِ مَلَكْتَ أَيَّ جَناحِ ! ... وحَلَلْتَ أَيَّ مَشارِفٍ وَبِطاحِ ! (١)
وبأَىِّ ناحِيَـةٍ أَقَمْتَ ؟ فإِنَّني ... أَلْقَـاكَ بَيْنَ تَوَثُّبٍ وَجِماحِ (٢)
فى كُلِّ مَغْدًى مِنْ ذُيُولِكَ مَسْحَبٌ ... وخُطَاكَ ماثِلَةٌ بِكُلِّ مَراحِ (٣)

---

(١) السارى : السائر فى الليل ، ولما كان الهواء من الأجسام اللطيفة حسنَ وصفه بالسرى ، والمراد أن لطفه يخفيه كما يخفى الليلُ السائرَ فيه . والمشارف : أعالى الأرض ، واحدها مَشرَف . والبطاح : جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دُقاق الحصى . تعجب الشاعر من قوة جناح الهواء ، تلك القوة الهائلة التى لم توجد قط فى جناح أىّ طائر ، وهو بذلك يصفه بمنتهى السرعة والدُءوب ، ثم تعجب فى الشطر الثانى من المشارف والبطاح التى نزل بها ، والمراد أنه يصل إلى ما لا يصل إليه سواه ، ويغشى أمكنة لم يطرقها سار ولا سائر .

(٢) التَّوثب : الوثوب وهو الطفور أى القفز فى ارتفــاع . والجماح : مصــدر جمح الفرس براكبه يجمح أى استعصى حتى غلبه . والمراد بالجماح هنا النشاط والسرعة . يستفهم عن الناحية التى أقام الهواء بها استفهام تعجب ، لأنه يلقاه إما متوثباً وإما مسرعا نشيطاً كالفرس المنفلت لايثنيه شىء .

(٣) المغدَى : اسم مكان من الغدو وهو السير فى أول النهار . والمسحب : مصدر ميمى من سحبه كمنعه : جره على وجه الأرض فانسحب . والخطا : جمع خُطوة وهى ما بين القدمين ، والمراد آثار الخطا . وماثلة : قائمة ، والمراد ظاهرة . والمراح اسم مكان من الرواح وهو السير فى العشى . والرواح : الذهاب والرجوع ، والمجاز فى البيت ظاهر . يقول إن ذيول الهواء تدل على سيره فى كل مغدى كما أن آثار خطاه واضحة بكل مراح ، والمعنى أن الهواء كثير التنقل دائم الحركة ، يمرّ بكل مكان ، ويجرى فى كل وقت .

تجري فتنتظم المدائن والقرى ... وتفوتهن إلى مدى فياح (٤)

لا البرق يسري حيث سرت ولا ترى ... نسر إلى ما رمته بجناح (٥)

يكبو الظليم ، وأين منك عداؤه ؟ ... ويكل جهد الأجرد السباح (٦)

تمضي فلا تقف العوائق حائلا ... وتمر بين الصلد والصفاح (٧)

دان وما علقت بشخصك أعين ... يوما ، ولا مست يداك براح (٨)

تتمايل الأشباح إن تخطر بها ... ومن السرور تمايل الأشباح (٩)

وتهز أدواح الرياض فتنثني ... شوقا إليك بواسق الأدواح (١٠)

---

(٤) المدى : الغاية . وفياح : عظيم الاتساع . والمعنى أن الهواء سريع الجرى ، وهو فى جريه يعم مدائن الأرض وقراها ويتجاوزها إلى غاية بعيدة جدا .

(٥) يسرى : يسير ليلا . ورمته : طلبته . والمعنى أن البرق على سرعة سيره واتساع مداه لا يذهب مذهب الهواء ، وكذلك النسر الذى يضرب المثل بقوته وسرعته وقدرته على الطيران فى طبقات الجو العليا ، لا يستطيع أن يبلغ ما يبلغه الهواء .

(٦) يكبو : ينكب على وجهه . والظليم : الذكر من النعام يضرب بسرعة عدوه المثل . والعداء : العدو والجرى . ويكل : يعي ويعجز . والأجرد : الفرس السباق . والسباح : الفرس السريع كأنما يسبح بيديه . والمعنى أن ذكر النعام على شدة انطلاقه وسرعة جريه إذا حاول اللحاق بالهواء كبا وانكب على وجهه ، لأنه مهما أجهد نفسه فى العدو لا يمكنه أن يصل إلى مدى الهواء ، وكذلك الحصان القوى السباق السريع تقف قوته وتعجز طاقته عن بلوغ تلك الغاية ، وصف الشاعر بهذا البيت والبيتين قبله الهواء بسرعة الجرى وبعد غايته وانفساح مداه .

(٧) العوائق : الموانع . والحائل : الحاجز . والصلد : الصلب الأملس من الحجارة . والصفاح : كرمان : ما كان منها عريضاً رقيقاً .

(٨) دان : قريب . وعلقت : نشبت واستمسكت . والراح : جمع راحة وهى بطن الكف والمعنى أن الهواء قريب منا ، وهو مع ذلك جسم لطيف لا تبصره العيون ولا تلمسه الأكف .

(٩) الأشباح : جمع شبح وهو الشخص ، يقول إن أشخاص الأشياء وأجسامها تهتز اهتزاز الفرح إذا أنت مررت أو خطرت بها ، ولا غرو فالهواء أعظم عناصر الحياة .

(١٠) الأدواح : جمع دوح ، والدوح اسم جنس جمعى لدوحة وهى الشجرة العظيمة . والرياض : جمع روضة وهى أرض ذات مياه وأشجار . والبواسق : جمع باسقة وهى الطويلة . يتخيل أن الهواء إذا هز من الرياض أشجارها العظيمة العالية انثنت اشتياقاً إليه .

لَوْلاكَ ما صَبَّ الْغَمامُ عُيُونَهُ ... تَسْقِي الْبِطاحَ بِوابِلٍ سَحَّاحِ (١١)

لَوْلاكَ ما زَهَتِ الرُّبَا بِمُرَقَّشٍ ... مِنْ نَسْجِ مَنْثُورٍ وَوَشْيِ أَقاحِي (١٢)

قَدَحُ الْحَيَاةِ ، وَأَنْتَ أَغْلَى مَشْرَبًا ... مِنْ صَفْوَةِ الْمَاذِيِّ فِي الأَقْدَاحِ (١٣)

*
* *

سِرْ يا هَواءُ فَأَنْتَ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ ... وَاهْتِفْ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الصَّدَّاحِ (١٤)

---

(١١) الغمام : السحاب واحدته غمامة ، جعل للغمام عيوناً ، ثم أراد من صب العيون صب مائها . والبطاح : جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى . والوابل : المطر الغزير الشديد . والسحاح : المنصب الكثير . يقول إنه لولا الهواء ما جرت عيون السحاب بذلك الماء المنهمر والمطر الغزير الذى يسقى الأودية ، وتجرى به الأنهار . وهذا البيت يلمح معنى الآية الكريمة :

(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) .

(١٢) زهت : حسن منظرها وأشرقت ، أو نخرت وتاهت . والربا : جمع رُبوة مثلثة الراء ، وهى ما ارتفع من الأرض . والمرقش : المزخرف المزوق . ووشيت الثوب وشيا من باب وعد رقته ونقشته فهو موشى ، والوشى نوع من الثياب الموشية تسمية بالمصدر . والأقاحى : جمع أقحوان وهو البابونج من نبات الربيع له نور حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر . يقول إنه لولا الهواء الذى يسوق السحاب الممطر ما ازدانت الربا وتاهت بحلل مزوقة من منسوج الزهر المنثور ومن أزهار الأقاحى الشبيهة بالثياب الموشية . والمعنى أن الهواء سبب فى حياة الأرض وتزينها بالنبات النضير والزهر المختلف الألوان والأشكال .

(١٣) القدح : إناء يشرب فيه ، وجمعه أقداح . وصفوة الشيء : خالصه . والماذى : العسل الأبيض . يقول أنت أيها الهواء قدح الحياة ، وإنك لأغلى وأكرم مشرباً من خلاصة الشهد . وصف الشاعر الهواء فى هذا البيت والأبيات التى قبله من أول القصيدة وصفاً أبان به كثيراً من صفات الهواء وفوائده وآثاره .

(١٤) مركب وطيء : لين سهل ذلول . وهتف به : صاح . والصداح : الذى يرفع صوته بالغناء ، ويريد الشاعر بالطائر الصداح نفسه ، وصف الهواء بأنه أسهل المراكب وألينها ، ثم طلب إليه أن يسير ويذيع صوته حيث سار .

وَاحْرِصْ عَلَى سِحْرِ الْبَيَانِ وَوَحْيِهِ   وَارْفُقْ بِآيٍ فِي الْقَرِيضِ فِصَاحِ (١٥)

جَمَعَتْ مِنَ الزَّهْرِ النَّدِيِّ قَوَافِيًا   تَسْبِي النُّهَى بِعَبِيرِهَا الْفَوَّاحِ (١٦)

دُرَرٌ صِحَاحٌ لَوْ تُقَاسُ بِشِبْهِهَا   لَبَدَتْ دَرَارِي اللَّيْلِ غَيْرَ صِحَاحِ (١٧)

مَا السَّيْفُ فِي كَفِّ الْمُفَزَّعِ قَلْبُهُ   كَالسَّيْفِ فِي كَفِّ الْفَتَى الْجَحْجَاحِ (١٨)

الشِّعْرُ مِنْ سِرِّ السَّمَاءِ فَهَمْسُهُ   وَحْيُ النُّفُوسِ وَرَاحَةُ الْأَرْوَاحِ (١٩)

---

(١٥) البيان : الكلام الواضح الفصيح البليغ . وسحره : قوة تأثيره فى النفوس ، وفى الحديث الشريف « إن من البيان لسحراً » لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه فيستميل القلوب كما تستمال بالسحر . والمراد بوحى البيان ما يلهمه الشاعر من المعانى الرائعة . والآى : جمع آية ، وهى علامة الاعجاز . والقريض : الشعر . وفصاح : جمع فصيحة أى واضحة بليغة ، يطلب إلى الهواء أن يكون حريصاً محافظاً على ما يحمله وينقله ويذيعه من البيان الساحر وأن يؤدى رسالته خير أداء ، ويرفق بآيات من الشعر المعجز .

(١٦) جمعت : أى الآى والمراد الأبيات . والندى : الناضر الغض المبلل بالندى . والقوافى : جمع قافية وهى آخر كلمة فى البيت ، أو هى الحرف تبنى عليه القصيدة والمراد أبيات الشعر . وتسبى : تأسر . والنهى : جمع نهية وهى العقل . والعبير : أخلاط من الطيب . والفواح : صيغة مبالغة من فاح المسك ونحوه أى انتشرت رائحته . والمعنى أن قوافى هذا الشعر تشبه الزهر الندى فى نضرته ، وتأسر العقول بمالها من أثر ترتاح إليه النفس ارتياحها لشميم الرائحة العبقة الذكية تنتشر من أخلاط الطيب .

(١٧) الدرر : جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة . وصحاح : جمع صحيحة أى غير مكسورة ، وفى صحة الدرر نفاستها وعلو قيمتها . وبدت : ظهرت . ودرارى الليل : كواكبه المضيئة واحدها دُرِّىّ . والمعنى أن ألفاظ هذا الشعر لآلىء عظيمة مبرأة من الكسر والعيب ، لو قيست بما يشبهها من الكواكب الدرية لظهرت درارى الليل بجانبها غير صحيحة أى دونها قيمة وتلألؤاً وبهاء .

(١٨) المفزع : اسم مفعول من فزعته ففزع أى خاف . والجحجاح : السيد الماجد الشريف الشجاع . يقول إن السيف فى كف الجبان الفزع ليس كالسيف فى كف السيد الشجاع ، والمراد أن الكلام يصوغ منه الشاعر العظيم المطبوع شعراً ساحراً رصيناً ، ويؤلف منه المتشاعر نظما مهلهلا سخيفاً .

(١٩) الهمس : الصوت الخفى . والوحى : الإلهام . والأرواح : جمع رُوح وهى النفس ، يقول إن الشعر من الأسرار السماوية ، فهمسه فى رُوع الشاعر ضرب من الوحى ، وانطلاق لسان الشاعر به فيه راحة للنفوس ، لأن الشعر حديث النفس للنفس .

كَمُلَتْ صِفَاتُ الرَّاحِ فِي نَشَوَاتِهِ وَنَجَا فَلَمْ يُوصَمْ بِإِثْمِ الرَّاحِ (٢٠)

*
* *

سِرْ يَا قَرِيضُ إِلَى الْعُرُوبَةِ مُسْرِعاً وَانْزِلْ بِآفَاقٍ بِهَا وَنَوَاحِي (٢١)
وَامْزُجْ بِمِسْكِيِّ الْأَثِيرِ تَحِيَّةً لِعَشَائِرٍ شُمِّ الْأُنُوفِ سِمَاحِ (٢٢)
شَحُّوا بِأَنْ تَلِدَ الْمَكَارِمُ غَيْرَهُمْ وَهُمُ عَلَى النَّجَدَاتِ غَيْرُ شِحَاحِ (٢٣)
جَعَلُوا مِنَ الْفُصْحَى وَمِنْ آيَاتِهَا نَسَباً مُضِيئاً كَالنَّهَارِ الضَّاحِي (٢٤)

---

(٢٠) الراح الخمر . والنشوات : جمع نشوة وهى السكر . ويوصم : يعاب . والاثم : الذنب . والمعنى أن الشعر جمع صفات الخمر كلها فيما يتركه فى نفس قارئه وسامعه من هزة ارتياح وإعجاب تشبه النشوة ، وهو مع مشابهته للخمر لم يوصم بما اقترن بها من الاثم والذنب ، وصف الشاعر بهذا البيت وستة الأبيات قبله شعره خاصة ، والشعر العامة ، وصفاً كشف عن شىء من جماله ونضرته وإشراقه وسحره ، وفى البيت الخامس من هذه المجموعة وازن الشاعر بين الأصيل فى هذا الفن والدخيل موازنة مجملة لطيفة من طريق التشبيه .

(٢١) القريض : الشعر . والعروبة مصدر عَرُب لسانه عروبة إذا كان عربيا فصيحاً ، والمراد بالعروبة أهلها أى الذين يتكلمون العربية . والآفاق جمع أفق وهو الناحية . يطلب إلى شعره أن يسير مسرعا على جناح الأثير إلى البلاد العربية ويحل بجهاتها ونواحيها . وفى هذا البيت وستة الأبيات بعده تظهر عاطفة الشاعر العربية النبيلة ويتجلى حبه للعروبة وأهلها .

(٢٢) المسكى : نسبة إلى المسك وهو أفضل أنواع الطيب عند العرب . والأثير : مادة لطيفة جداً منتشرة فى أنحاء الفضاء تنقل النور والحرارة والكهربية والصوت . والعشائر : جمع عشيرة وهى القبيلة . وشم الأنوف : جمع أشم الأنف ، صفة من الشمم وهو ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها ، وذلك كناية عن الأنفة والترفع عن الدنايا ، على أن الشمم من صفات العرب الخلقية . وسماح : جمع سَمح وهو الجواد المعطاء . يطلب إلى الشعر أن يمزُج التحية بالهواء العطرى المطيب ، ويحملها إلى الأجواد ذوى الشمم والأنفة من القبائل العربية .

(٢٣) الشح : البخل ، شح يشح فهو شحيح والجمع شحاح . والنجدة ، النصرة والاغاثة . يقول إن رجال هذه العشائر العربية قد بخلوا بأن تلد المكارم غيرهم ، وهم غير بخلاء إذا دعاهم داع إلى النصرة وإغاثة الملهوف ، والمعنى أنهم انفردوا بالمكارم وامتازوا بالنجدة والشجاعة والمروءة .

(٢٤) المراد بالفصحى اللغة العربية لفصاحتها وبيانها . وآياتها : عباراتها . والنسب : القرابة . والضاحى : المرتفع المضىء . يقول إن هؤلاء الرجال الكرام الخيرين ذوى النجدة قد جعلوا من اللغة العربية وعباراتها البليغة وحكمها وأمثالها صلة نسب وقرابة واضحة مشرقة تحمل فى ثناياها المودة والمحبة ، وتجمعهم حول العروبة على الرغم من تباين ديارهم ، واختلاف أوطانهم .

الضَادُ تَجْمَعُهُمْ وَتَرْأَبُ صَدْعَهُمْ ... سِيَّانِ فِى الْأَفْرَاحِ وَالْأَتْرَاحِ (٢٥)

دارَ الْإِذاعَةِ ، لا تَمَلِّى إِنَّنِى ... أَطْلَقْتُ لِلْأَمَلِ الْبَعِيدِ سَرَاحِى (٢٦)

حُبُّ الْعُرُوبَةِ قَدْ جَرَى بِمَفَاصِلِى ... بِالرَّغْمِ مِنْ هَذِرِ الْحَدِيثِ مُلَاحِى (٢٧)

*
* *

دارَ الْإِذاعَةِ أَنْتِ بِنْتُ ثَلاثَةٍ ... مَرَّتْ كَوَمْضِ الْبَارِقِ اللَمَّاحِ (٢٨)

كَمْ فِيكِ لِلْقُرْآنِ رَنَّةُ قَارِىءٍ ... تَحْلُو لَدَى الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ (٢٩)

كَشَفَتْ عَنِ النَّفْسِ الْمَلُولِ حِجَابَهَا ... فَتَوَجَّهَتْ لِلْخَالِقِ الْفَتَّاحِ (٣٠)

---

(٢٥) يريد بالضاد لغة العرب . وترأب : تصلح وتجبر . والصدع : الشق . والأتراح : جمع ترح وهو ضد الفرح ، يقول إن اللغة العربية تجمع شمل الناطقين بها المحبين لها وتصلح ما انصدع من أمورهم وتؤلف بين قلوبهم فتراهم فى أفراحهم وأحزانهم مشتركين فى الشعور والعاطفة .

(٢٦) السراح : الحرية ، يقول للدار المشتملة على أجهزة الاذاعة اللاسلكية والتى يذيع الشاعر منها قصيدته على مسامع الدنيا : لا تسأمى من حديثى فى العرب والعروبة فانى أطلقت لنفسى عنانها ، وتركتها تجرى وراء الأمل البعيد ، ويريد بالأمل البعيد ما يرجوه للعرب من استعادة مجدهم الغابر .

(٢٧) العروبة : مصدر عرب لسانه عروبة أى فصح وصار عربيا مبينا . وهذر كلامه من باب فرح أى كثر فى الخطأ والباطل . والملاحى : المنازع . هجا الشاعر بالشطر الأخير من هذا البيت الذين يشككون الناس فى فضل العرب ولغتهم ، وسينتقل بعد ذلك إلى الغرض الذى أنشئت هذه القصيدة من أجله ، وهو الاحتفاء بدار الاذاعة الحكومية المصرية لبلوغها الثالثة من عمرها.

(٢٨) ومض البرق يمض ومضا ووميضا وومضانا : لمع خفيفا . والبارق : البرق . واللماح : الشديد الضوء واللمعان . يقول إن دار الاذاعة بنت ثلاث سنوات مرت مرا سريعا كلمعان البرق ، وإنما يشعر الناس بسرعة مرور الأيام إذا كانت طيبة حافلة بما يسرهم .

(٢٩) كم : اسم يفيد التكثير . والرنة : الصوت . يقول إن رنات القارئين للقرآن الكريم كثيرة فيك ، إذ يذاع منك فى الصباح والمساء فيستمتع الناس بحلاوته .

(٣٠) الملول : المتبرمة الضجرة . والفتاح : الحاكم وهو من أسماء الله تعالى . يقول إن رنات القرآن الكريم كشفت عن النفس المتبرمة الضجرة ماغشيها من الضجر والسآمة ، وأنارت بصيرتها ، فتوجهت مستسلمة لله عز وجل خالق الخلق ومالك الملك . والمعنى أن سماع القرآن يرد النفوس الحائرة الضجرة إلى الهدى والطمأنينة .

الدِينُ سَلْوَى النَفْسِ فِى آلامِهَا ... وطَبِيبُها مِنْ أَدْمُعٍ وَجِرَاحِ (٣١)

أَوْدَعْتُهُ حُزْنِى فَلَمْ تَعْبَثْ بِهِ ... شَكْوَى، ولا صَدَعَ الدُجَى بِنُوَاحِ (٣٢)

دارَ الإِذاعَةِ، كَمْ نَشَرْتِ ثَقافَةً ... جَلَّتْ مَآثِرُها عَنِ الإِفْصَاحِ! (٣٣)

كَمْ جازَ صَوْتُكِ مِنْ بِحَارٍ سُجِّرَتْ ... وَفَدافِدٍ شُعْثِ الفِجَاجِ فِسَاحِ! (٣٤)

أَصْبَحْتِ أُسْتاذَ الشُعُوبِ وكافَحَتْ ... نَجْواكِ جَيْشَ الجَهْلِ أَىَّ كِفَاحِ (٣٥)

وَمَلأْتِ بِالعِلْمِ البِلادَ فَنُورُهُ ... فِى كُلِّ مُنْعَطَفٍ وَبُهْرَةِ سَاحِ (٣٦)

---

(٣١) السلوى : كل ما ســلاك أى حملك على التجلد والصبر ، والمعنى أن الدين لمـا فيه من تسليم الأمور إلى الله يخفف آلام النفوس ، ويحملها على الصبر ، وفيه أنجع دواء لمـا يصيبها من وارث وأحزان .

(٣٢) أودعت زيداً مالا : دفعته إليه ليكون عنده وديعــة يحفظها حتى أستردها ، والمراد بأودعت الدين حزنى أن العاطفة الدينية جعلتنى أسلم سبب حزنى إلى الله ، وأدخر ثواب الصبر عليه عنده . والعبث : اللعب . وصدع : شق . والدجى : جمــع دجية وهى الظلمة . والنواح : اسم من ناح على الميت نوحا أى بكى واستبكى . والمعنى أنى جعلت الدين علاجا لحزنى فلم يظهر فى شكوى أرددها ولا فى نواح أشق به ظلمات الليل . بين الشاعر فى هذا البيت وثلاثة الأبيات قبله شيئا من أثر الدين فى النفوس ولا سيما فى حالات القلق والحيرة والحزن .

(٣٣) الثقافة : مصدر ثقف ككرم أى صار حاذقا فطنا ، والمراد بها أنواع العلوم والآداب والفنون التى تثقف الانسان . وجلت : عظمت . والمآثر : جمع مأثرة وهى المكرمة لأنها تؤثر ، أى ينقلها قرن عن قرن ويتحدث الناس بها . والافصاح : الابانة والاظهار ، يقول إن دار الاذاعة نشرت ثقافات كثيرة عظمت مآثرها عن الابانة لكثرتها .

(٣٤) جاز المكان : سلكه وسار فيه . وسجرت : فجرت وامتلأت . والفدافد : جمع فدفد وهو الفلاة . وشعث : جمع أشعث من الشعث وهو الانتشار والتفرق . والفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين الجبلين . والفســاح : جمع فسيح أى متسع ، يقول إن صوتك كثيراً ما سلك بحاراً زاخرة وفلوات ذات جبال وطرق واسعة .

(٣٥) كافحت : واجهت وحاربت . والنجوى : السر ، والمراد الأحاديث المذاعة كأنها السر يصغى إليه المستمعون . يقول إنك أصبحت معلما عاما لشعوب الناس وأممهم وحاربت أحاديثك جيش الجهل حربا شديدة .

(٣٦) منعطف الوادى : حيث ينعطف أى ينثنى ويميل . والبهرة : ما اتســع من الأرض . والساح : جمع ساحة وهى الناحية وفضاء بين دور الحى .

تَتَلَقَّفُ الدُّنْيَا حَدِيثَكِ مِثْلَمَا ... يَتَلَقَّفُ الأَبْرَارُ وَحْيَ الْوَاحِي (٣٧)

* * *

دَارَ الإِذَاعَةِ ، أَنْتِ أَمْرَحُ أَيْكَةٍ ... صَدَحَتْ فَكَانَتْ أَيْكَةَ الأَفْرَاحِ (٣٨)

صَاحَتْ بَلابِلُكِ الْحِسَانُ فَأَخْمَلَتْ ... فِي الْجَوِّ صَوْتَ الْبُلْبُلِ الصَّيَّاحِ (٣٩)

مِنْ كُلِّ شَادِيَةٍ كَأَنَّ حَنِينَهَا ... هَمْسُ الْمُنَى لِلْيَائِسِ الْكَدَّاحِ (٤٠)

اللَّيْلُ إِنْ نَادَتْهُ مَاسَ بِعِطْفِهِ ... فَتَرَاهُ بَيْنَ الْمُنْتَشِي وَالصَّاحِي (٤١)

كَمْ فِيكِ مِنْ لَهْوٍ بِهِ رَيُّ النُّهَى ... وَفُكَاهَةٍ مَحْبُوبَةٍ وَمُزَاحِ ! (٤٢)

النَّفْسُ تَسْأَمُ إِنْ تَطَاوَلَ جِدُّهَا ... فَاكْشِفْ سَآمَةَ جِدِّهَا بِمُبَاحِ (٤٣)

---

(٣٧) لقف الشيء من باب فهم وتلقفه أى تناوله بسرعة . والأبرار : جمع بر وهو الخيّر المطيع التقى . والوحى : الاشارة والالهام والرسالة والكلام الخفى . والواحى : اسم فاعل من وحى إليه يحى من باب وعد . يقول إن الدنيا تتناول بسرعة وطاعة حديثك كما يتناول الأتقياء الخيرون رسالة من يأمرهم بالخير والبر .

(٣٨) المرح : الفرح الشديد . والأيكة : الشجرة ذات الأغصان الكثيرة الملتفة . وصدحت : صاحت أو رفعت صوتها بغناء . والمعنى أن دار الاذاعة تشبه شجرة عظيمة كثيرة الأغصان تغرد بلابلها تغريد الفرح والسرور .

(٣٩) البلابل : جمع بلبل وهو العندليب طائر من طيور الغَرد . يقول إن بلابل دار الاذاعة أى مغنيها ومغنياتها إذا غنت أخملت بلابل الجو وطيور الغرد بجمال صوتها ، وحسن توقيعها .

(٤٠) من كل شادية : هذا بيان لبلابل دار الاذاعة . والشادية : المغنية . والحنين : الشوق وتوقان النفس . والهمس : الصوت الخفى . والمنى جمع منية وهى ما يتمناه الانسان . واليائس : القانط أى المنقطع الرجاء . والكداح : صيغة مبالغة من الكدح وهو الكد والشدة فى العمل . يشبه ما تغنيه مغنيات دار الاذاعة من الأغانى المشتملة على معنى الشوق بهمس الأمانى يسرى فى نفس اليائس الكداح . فيبدل يأسه رجاء وكدحه دعة وراحة .

(٤١) ماس : تبختر . وعطفه : جانبه . والمعنى مشى مشية العجب والفخر . والمنتشى : السكران ، يقول إن المغنية إذا نادت الليل بقولها « يا ليـــل » تبختر وتاه وأسكره هذا النداء الساحر سكراً لم يفقده لذة الاستماع .

(٤٢) روى من الماء روى وريا أى ارتوى . والنهى : جمع نهية وهى العقل ، والفكاهة : المزاح وهو الدعابة .

يقول إن فى دار الاذاعة لهواً كثيراً تستفيد منه العقول ، وفيها فكاهة ودعابة محبوبة .

(٤٣) السآمة : الضجر والملل . وتطاول : غلب وزاد . والجد : ضد الهزل . يقول إن النفس تمل وتضجر إن زاد جدها وغلب ، فاكشف ما يغشاها من السآمة والملل بالمباح من اللهو والهزل .

*
* *

زُمَرَ الشَّبَابِ ، وَلِي مَلَامَةُ نَاصِحٍ لَوْ تَسْمَعُونَ نَصِيحَةَ النُّصَّاحِ ! (٤٤)

بِالْعِلْمِ « مَرْكُونِي » تَسَلَّقَ لِلْعُلاَ وَبِعَزْمَةِ الْوَثَّابَةِ الطَّمَّاحِ (٤٥)

رَجُلٌ عِصَامِيُّ الْأَرُومَةِ لَمْ يَنَلْ مَجْداً « بِآمُونٍ » وَلاَ « بِفَتَاحِ » (٤٦)

تَتَطَلَّعُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ وَتَمْتَطِي ذِكْرَى مَآثِرِهِ مُتُونَ رِيَاحِ (٤٧)

---

(٤٤) الزمر : الجماعات مفردها زمرة . والملامة : اللوم والعذل . والنصاح : جمع ناصح . يوجه الشاعر فى هذا البيت والأبيات الآتية إلى شباب أمته لوما رفيقا ونصائح غالية يحفزهم بها إلى بناء مجد بلادهم من طريق العلم والاعتماد على النفس اقتداء بالعصاميين النابغين من أبناء الأمم الأوروبية ، لا من طريق التفاخر بالقديم والتباهى بمجد الآباء .

(٤٥) المركيز « ماركونى » عالم إيطالىّ اخترع بعبقريته أجهزة الاذاعة اللاسلكية ، وطوّق العالم كله بمأثرة خالدة ومنة من أجل المنن . توفى فى يوليه سنة ١٩٣٧ ودفن حيث ولد فى « بولونيا » من أعمال إيطاليا فى شماليها الشرقى ، وقد مدحه الشاعر وأشاد بفضله ومآثره فى هذا البيت والبيتين بعده .

تسلق الجدار ونحوه : تسوره ، والمراد ارتفع . والعزمة : الارادة القاطعة القوية . والوثابة من الوثوب وهو الطفر والقفز ، والتاء فيها للمبالغة . والطماح : صيغة مبالغة من طمح ببصره نحو الشيء يطمح طموحا أى استشرف له وارتفع إليه ، والمراد بالطماح البعيد الهمة الطلاب للمعالى .

(٤٦) العصامى : الشريف النفس المعتمد على همته فى كسب المجد وبلوغ الأمل . وفى المثل : كن عصاميا ، ولا تكن عظاميا ، يريدون بالعصامى المنسوب إلى عصام حاجب النعمان بن المنذر الذى قال فيه النابغة الذبيانى البيت الآتى :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

والأرومة : الأصل . والمجد : العز والشرف . و« آمون » و« فتاح » الهان من آلهة قدماء المصريين . يقول إن « ماركونى » رجل عصامى الأصل لم يعتمد فى نيل المجد إلا على نفسه . وليس كبعض شبان مصر الذين يغالون فى المباهاة بمجد آبائهم .

(٤٧) تمتطى : تركب . والمراد بالذكرى الصيت والثناء والشرف والعلاء . والمآثر : جمع مأثرة وهى المكرمة لأنها تؤثر أى تنقل ويُتحدث بها . والمتون جمع متن وهو الظهر . والمعنى أن الدنيا ترفع بصرها إلى « ماركونى » معجبة بعظمته ، أما صيته وعلاؤه ومآثره ومكرماته فقد طبقت الخافقين وسارت سير الرياح .

إِنَّ التَّفَاخُرَ بِالْقَدِيمِ تَعِلَّةٌ ... وَالْجَهْلُ لِلْمَجْدِ الْمُؤَثَّلِ ماحِي (٤٨)
وَالْعِلْمُ مِصْبَاحُ الْحَيَاةِ فَنَقِّبُوا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْبُوا عَنِ الْمِصْبَاحِ (٤٩)
بَلِيَ السِّلاحُ مَعَ الْقَدِيمِ وَعَهْدِهِ ... وَالآنَ صارَ الْعِلْمُ خَيْرَ سِلاحِ (٥٠)
اَلْيَوْمَ فِكْرَةُ عالِمٍ فِي مَصْنَعٍ ... تُغْنِي عَنِ الْأَسْيافِ وَالْأَرْماحِ (٥١)
وَتَصُدُّ كُلَّ كَتِيبَةٍ مَوَّارَةٍ ... خَضْراءَ تَقْذِفُ بِالْكُماةِ رَداحِ (٥٢)
أَمْضُوا الْجُهُودَ وَأَخْلِصُوا لِبِلادِكُمْ ... فِي الْجَهْدِ وَالْإِخْلاصِ كُلُّ نَجاحِ (٥٣)
لَا يُرْتَجَى مِنْ أُمَّةٍ مَفْتُونَةٍ ... بِاللَّهْوِ وَالتَّسْوِيفِ أَيُّ فَلاحِ (٥٤)

---

(٤٨) التفاخر : المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب . والتعلة : ما يتعلل به أى يتشاغل ويتلهى . والمجد : العز والشرف . والمؤثل : الأصيل العظيم . وماح : اسم فاعل من محاه أى أزاله .

(٤٩) التنقيب : البحث ، يقول إن العلم هو المصباح الذى ينير للانسان سبل الحياة فابحثوا عنه واطلبوه واهتدوا بضوئه تأمنوا العثار وتبلغوا الآمال .

(٥٠) بلى الثوب : خلق وتمزق . والعهد : الزمان . والمراد أن السلاح بمعناه المعروف فى العهود الماضية قد ذهب بذهابها ، وصار الناس فى زماننا هذا يعزون بالعلم ، ويرونه أمضى السلاح الغاب فى هذه الحياة .

(٥١) المعنى أن عالما من العلماء المشتغلين بالصناعة قد يذهب فكره إلى ابتداع وسيلة من وسائل التدمير تغنى أمته عن السيوف والرماح .

(٥٢) وتصد أى فكرة العالم ، والصد : المنع والدفع . والكتيبة : الطائفة من الجيش مجتمعة . وموارة : سريعة مضطربة لكثرة عددها . وخضراء : عظيمة كثيرة السلاح . والكماة : جمع كمى وهو الشجاع المدجج أى شاكى السلاح . والرداح : الكتيبة الثقيلة الجرارة . يقول إن فكرة صائبة مثمرة يبتدعها عالم صناعى قد تدفع الكتائب السريعة العظيمة وتهزم الجيوش الثقيلة الجرارة التى ترمى الأعداء بالشجعان الأشداء المدججين من جنودها .

(٥٣) أمضى الأمر : أنفذه . والجهود : جمع جهد وهو الوسع والطاقة . والجهد فى الشطر الثانى الجد والاجتهاد ، مصدر جهد كمنع .

(٥٤) فتن بالشىء : أعجب به ومال إليه . واللهو : اللعب ، والتسويف : المطل أى تأجيل ما يستحق التعجيل مرة بعد أخرى . والفلاح : الفوز . يقول إن الأمة المنصرفة إلى اللهو ، المشغولة باللعب ، المماطلة بالحقوق والواجبات لا يرجى لها فوز ولا نجاح .

خُوضُوا الصِعابَ ولا تَمَلُّوا إِنَّمَا　　نَيْلُ الْمُنَى بالصَبْرِ وَالْإِلحَاحِ (٥٥)

قَدْ يُنْجِدُ اللُّجُّ الْغَرِيقَ بِقَذْفِهِ　　حَيًّا فَيَلْقَى الْمَوْتَ فِى الضَحْضَاحِ (٥٦)

اَلْعَهْدُ مِثْلُكُمُ جَدِيدٌ مُشْرِقٌ　　فَهَلُمَّ لِلْإِنْتَاجِ وَالْإِصْلَاحِ (٥٧)

وَمَلِيكُكُمْ مَثَلُ الشَبَابِ مُجَمَّلٌ　　بِخَلَائِقٍ غُرِّ الْوُجُوهِ صِبَاحِ (٥٨)

يَتَفَاءَلُ النِيلُ الْوَفِيُّ بِعَهْدِهِ　　وَ بِيُمْنِ طَلْعَةِ وَجْهِهِ الْوَضَّاحِ (٥٩)

سارَتْ مَحَامِدُهُ وسارَتْ خَلْفَهَا　　تَشْدُو بِسابِغِ فَضْلِهِ أَمْدَاحِى (٦٠)

---

(٥٥) خاض الماء من باب قال ، والموضع مخاضة وهو ما جاز الناس فيه مشاة وركبانا . والمنى : جمع منية وهى ما يتمناه الانسان .

يقول إن المنى لا تنال إلا بالصبر والالحاح والمثابرة وركوب الأخطار واقتحام المصاعب .

(٥٦) ينجد : يعين . واللج : معظم الماء . والضحضاح : الماء اليسير القليل كالضحضح . يقول إن اللج والأمواج قد تعين الغريق على النجاة فتقذفه حيا على الشاطىء ، ثم هو بعد ذلك يلق حتفه وهلاكه فى الماء القليل اليسير الذى لا يغرق عادة ، والشاعر يحض بهذا البيت نشء بلاده وشبانها على الشجاعة وركوب الأخطار ، ويقول لهم إن المرء قد ينجو من خطر عظيم داهم فيلقى حتفه حيث يظن الأمن والسلامة ، وما دام الأمر كذلك فان الأقدار هى المسيطرة على الحياة ، وإن الجبن والاحجام قليل النفع كثير الضرر ، ومن أضراره الخمول والتأخر والعار .

(٥٧) العهد : الزمان ، ومشرق : مضىء . وهلم : تعالوا وأقبلوا ، يقول : إن زمانكم جديد مشرق مثلكم ، يشير بذلك إلى عهد جلالة الملك فاروق وما صارت إليه مصر فى زمنه من الاستقرار والطمأنينة والاستقلال ، ثم يدعو الشبان إلى الانتاج والاثمار والاصلاح .

(٥٨) الخلائق : جمع خليقة وهى الطبيعة والخلق . وغر : جمع أغر وهو الأبيض . وصباح : جمع صبيح وهو الجميل ، يقول إن مليككم هو المثل الأعلى للشاب الكامل ، فقد جمله الله تعالى بأخلاق جميلة وطبائع حسنة نبيلة .

(٥٩) الفأل : أن تسمع كلاما حسنا فتتيمن به ، ويتفاءل يتيمن ويستبشر . واليمن : البركة . والوضاح : الأبيض الأغر الصبيح ، يقول إن النيل الوفى يتفاءل بزمان الملك المحبوب ويستبشر برؤية وجهه المبارك الأغر الصبيح .

(٦٠) المحامد : جمع محمدة وهى ما يحمد عليها صاحبها . وتشدو : تغنى وتترنم . والسابغ : الكامل الوافى . والأمداح : جمع مدح .

الوَطنُ
نشيدُ الكشَّافة

مِصْرُ اسْلَمِى واسْلَمِى وسُودِى يا أَلِفَ الكَوْنِ والوُجُودِ (١)
نَهَضْتِ والأَرْضُ فى دُجاهَا والشَّمْسُ والبَدْرُ فى المُهُودِ (٢)

* * *

قَدْ كُنْتِ والدَهْرُ فى صِباهُ نَجْمَ هُدًى ساطِعاً سَناهُ (٣)
تَعْنُو لِسُلْطانِكِ الجِبَاهُ مَرْفُوعَةَ الرَّأْسِ والبُنُودِ (٤)
مِصْرُ اسْلَمِى واسْلَمِى وسُودِى يا أَلِفَ الكَوْنِ والوُجُودِ

* * *

يا بَسْمَةً فى فَمِ الزَمانِ ومَوْطِنَ العِزِّ والأَمانِ (٥)

---

(١) سودى : أمر من السيادة وهى العز والمجد والشرف ، ويراد بالأمر هنا الدعاء أو التمنى ، والألف أول الحروف الهجائية والمراد بألف السكون والوجود أنها أول البلاد التى عرفها التاريخ بالحضارة والعمران .

(٢) الدجى : الظلمة . والمهود : جمع مهد وهو الموضع يهيأ للصبى ويوطأ ، يقول إن مصر نهضت والأرض فى ظلمة الجهل ، والشمس والقمر فى بدء حياتهما ، والمراد أنها نهضت منذ أقدم العصور

(٣) ساطعاً : عاليا . والسنا : الضوء .

(٤) تعنو : تخضع وتذل . والبنود : جمع بند وهو العلم ، ويريد بقوله مرفوعة الرأس والبنود أن مصر كانت رفيعة القدر قوية عزيزة باسطة سلطانها على غيرها من الأمم .

(٥) البسمة : اسم مرة من البسم بمعنى التبسم وهو أقل الضحك وأحسنه والمراد أنها جميلة منذ القدم .

نِيلكِ أَحْلَى مِنَ الأَمَانِي جَنًى وَأَذْكَى مِنَ الْوُرُودِ (٦)
مِصْرُ اسْلَمِي وَاسْلَمِي وسُودِي يا أَلِفَ الْكَوْنِ والْوُجودِ

*
* *

الأَرْضُ أَنَّى خَطَوْتَ تِبرٌ وزَهْرُها جَوْهَرٌ ودُرٌّ (٧)
عِقْدٌ، وهذا الْوُجُودُ نَحْرٌ قد يَجْمُلُ النَّحْرُ بالعقُودِ! (٨)
مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وسُودِي يا أَلِفَ الْكَوْنِ والْوُجُودِ

*
* *

كَمْ نِلْتِ بالْعِلْمِ مِنْ مَقَامِ ونِلْتِ بالْجِدِّ مِنْ مَرَامِ (٩)
إلى الأَمَامِ إلى الأَمَامِ إلى الْمَعَالى إلى الْخُلُودِ (١٠)
مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وسُودِي يا أَلِفَ الْكَوْنِ والْوُجُودِ

*
* *

يا مِصْرُ نَحْنُ الْفِدَاءُ نَحْنُ ما مَسَّنا فى الْخُطُوبِ وَهْنٌ (١١)
أَرْوَاحُنَا فِي يَدَيْكِ رَهْنٌ وعَهْدُنَا أَصْدَقُ الْعُهُودِ (١٢)

---

(٦) الأمانى : جمع أمنية وهى ما يتمناه الانسان من الرغائب . والجنى : ما يجنى من الثمر . وأذكى : أطيب رائحة . والورود : جمع ورد .
(٧) أنى خطوت : فى أى مكان سرت . والتبر : ما كان من الذهب غير مضروب . والدر : جمع درة وهى اللؤلؤة .
(٨) العقد : القلادة . والنحر : موضعها من الصدر .
(٩) الجد : الاجتهاد . والمرام : المطلب .
(١٠) الخلود : دوام البقاء .
(١١) الخطوب : نوازل الدهر . والوهن : الضعف .
(١٢) العهد : الميثاق .

مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وسُودِي   يا أَلِفَ الْكَوْنِ والوُجُودِ

* * *

آباؤُنا قَادَةُ الدُهُورِ   قَدْ أَنْطَقُوا صامِتَ الصُخُورِ (١٣)
مِنْ كُلِّ وَثَّابَةٍ جَسُورِ   كَأَنَّهُ صَائِلُ الأُسُودِ (١٤)
مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وسُودِي   يا أَلِفَ الْكَوْنِ والوُجُودِ

* * *

يا مِصْرُ فارُوقُكِ الْمُرَجَّى   إِلَيْهِ تَرْنُو الْمُنَى وتُزْجَى (١٥)
بِيُمْنِهِ قَدْ بَلَغْتِ أَوْجا   وَعِشْتِ فى قِمَّةِ السُّعُودِ (١٦)
مِصْرُ اسْلَمِي وَاسْلَمِي وسُودِي   يا أَلِفَ الْكَوْنِ وَالْوُجُودِ

* * *

بِفَضْلِهِ صِرْتِ فِي الشُّعُوبِ   مَهِيبَةَ الْقَدْرِ فِي الْقُلُوبِ (١٧)
فَمِنْ وُثُوبٍ إِلى وُثُوبِ   ومِنْ صُعُودٍ إِلى صُعُودِ
مِصْرُ اسْلَمِي وَاسْلَمِي وسُودِي   يا أَلِفَ الْكَوْنِ والوُجُودِ

---

(١٣) يشير بهذا البيت إلى عظمة الفراعنة وما خلدوه على الصخور من آيات تنطق بمجدهم .
(١٤) جسور : جرىء مقدام . وصائل : اسم فاعل من صال أى سطا وهجم .
(١٥) المرجى : المرجو فى كل الأمور ومعقد آمال مصر . وترنو : تتجه وتنظر ، والمنى : الرغبات ، جمع منية . وتزجى : تدفع وتساق .
(١٦) اليمن : النماء والبركة . والأوج : الرفعة .
(١٧) مهيبة : محترمة . والقدر : المنزلة والشأن .

نُكَرِّرُ الشُكْرَ مُخْلِصِينَا   لِمَنْ أَعَادَ الْحَيَاةَ فِينَا
لِمَصْدَرِ النُورِ لِلْبَنِينَا   والْمَنْهَلِ الْعَذْبِ لِلْوُرُودِ (١٨)
مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وسُودِي   يا أَلِفَ الْكَوْنِ والْوُجُودِ

*
* *

مِصْرُ اسْعَدِي وازْدَهِي وَتِيهِي   دَعَاكِ لِلنَّصْرِ فاتْبَعِيهِ (١٩)
مَا لَكِ فِي الْمَجْدِ مِنْ شَبِيهِ   وما لِجَدْوَاهُ مِنْ حُدُودِ (٢٠)
مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وسُودِي   يا أَلِفَ الْكَوْنِ والْوُجُودِ

*
* *

عاشَ مَلِيكُ الْبِلادِ زَنْدَا   وَسَاعِداً مُسْعِداً أَشَدَّا (٢١)
فارُوقُ الْمُرْتَجَى الْمُفَدَّى   مُوَفَّقُ الرَّأْيِ والْجُهُودِ
مِصْرُ اسْلَمِي واسْلَمِي وَسُودِي   يا أَلِفَ الْكَوْنِ والْوُجُودِ

---

(١٨) المنهل : المورد وهو عين الماء التى يستقى منها . وورد البعير وغيره الماء يرده وروداً : بلغه.

(١٩) ازدهى : أمر من الازدهاء وهو التيه والعجب ، وتيهى : أمر من التيه وهو التكبر .

(٢٠) الجدوى : العطية .

(٢١) الزند : موصل طرف الذراع فى الكف ، وهو من مكامن القوة والمراد ينبوع قوة للبلاد ، والساعد من الانسان ما بين المرفق والكف ، يدعو بأن يعيش المليك ينبوع قوة ومصدر سعادة لبلاده .

إلى الأستاذِ الإمامِ

قيلت هذه القصيدة والشاعرُ طالب بالأزهر سنة ١٩٠١ وكان يتلقى دروس البلاغة والتفسير على الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، فمدحه بهذه القصيدة ونحا فيها منحى الشعراء المتقدمين فى الوصف والأسلوب ، وندّ عن الذاكرة عدد غير قليل من أبياتها

المَجْدُ فَوْقَ مُتُونِ الضُّمَّرِ القُودِ ... تَطْوِى الْفَلاَ بَيْنَ إِيجَافٍ وَتَوْخِيدِ (١)

إِذَا رَمَتْ عُرُضَ صَيْهُودٍ مناسِمُها ... رَمَتْ إِلَيْهَا اللَّيَالِى كُلَّ مَقْصُودِ (٢)

أَوْ مَزَّقَتْ طَيْلَسَانَ اللَّيْلِ مِنْ خَبَبٍ ... كَسَتْ خَيَالَ الْأَمَانِي ثَوْبَ مَوْجُودِ (٣)

---

(١) المجد : العز والشرف . والمتون : جمع متن وهو الظهر . والضمر : جمع ضامر وهو الناقة أو الجمل الذى أصابه الضمور والهزال من كثرة الأسفار . والقود جمع أقود وهو البعير الشديد العنق . والفلا : جمع فلاة وهى القفر ، أو المفازة لا ماء فيها ، وطى الفلوات اجتيازها وقطعها بالسير فيها . والايجاف : ضرب من سير الابل والخيل . والتوخيد : ضرب آخر من سير الابل ، وهو الاسراع أو سعة الخطو ، أو أن يرمى البعير بقوائمه كمشى النعام . يقول إن العز والشرف فوق ظهور الابل المهزولة الشديدة التى تقطع الفلوات بين هذين الضربين من السير وهما الايجاف والتوخيد ، والمعنى أن المجد لاينال إلا بركوب الأخطار ومعاناة الأهوال واحتمال المشاق .

(٢) عرض الشىء : ناحيته وجانبه . والصيهود : الفلاة لا ينال ماؤها ، والمناسم جمع منسم وهو خف البعير ، يقول إذا رمت أخفاف الابل نواحى الفلوات وجوانبها قربت الليالى الى ركابها كل مقصد ، وأدنتهم من كل غرض ، والمعنى أن نيل المقاصد وبلوغ الآمال مقرون بما يشبه قطع الفيافى وسلوك الفلوات من ركوب الصعاب ، والتغلب على العقبات .

(٣) الطيلسان : من لباس العجم كساء مدور كان يلبسه الخواص من العلماء والخبب : ضرب من العدو ، أوكالرمل ، أو أن ينقل الفرس أيا منه جميعا وأياسره جميعا ، أو أن يراوح بين يديه ، أو هو السرعة ، خب خبا وخبيباً وخببا . والأمانى : جمع أمنية وهى ما يتمناه الانسان .
يقول إذا مزقت هذه الابل بسيرها السريع ثوب الليل أى قطعت الليل بخببها فانها تكسو الأمانىّ البعيدة المتخيلة ثوب الوجود ، أى تجعلها حقائق راهنة وأموراً لها وجود وثبات .

تُدْنِي مِنَ الْمَجْدِ إِنْ شَطَّ الْمَزَارُ بِهَا ... فَحَبَّذَا هُوَ تَقْرِيبٌ بِتَبْعِيدِ ! (٤)

الْمَجْدُ بِالسَّيْفِ إِنْ عَزَّتْ وَسَائِلُهُ ... لَا يُغْمِدُ الْحَقَّ سَيْفٌ غَيْرُ مَغْمُودِ (٥)

فَكَمْ شَقَقْتُ فُؤَادَ الْبِيدِ مُنْصَلِتاً ... مَنْ يَطْلُبِ الْمَجْدَ لَا يَبْخَلْ بِمَجْهُودِ (٦)

تَرْمِي التَّنُوفَةُ بِي أُخْرَى بِجَانِبِهَا ... وَأَقْطَعُ الْبِيدَ بَعْدَ الْجَهْدِ لِلْبِيدِ ! (٧)

كَأَنَّنِي الْكَأْسُ بَيْنَ الشَّرْبِ مُتْرَعَةً ... يُدِيرُهَا الْقَوْمُ مِنْ بِنْتِ الْعَنَاقِيدِ (٨)

فِي كُلِّ يَهْمَاءَ لَمْ يَعْبُرْ مَنَاكِبَهَا ... طَيْفٌ مِنَ الْجِنِّ إِلَّا خَافَ أَنْ يُودِي (٩)

---

(٤) تدنى : تقرب . وشط : بعد . والمزار : الزيارة مصدر زار ، يقول إنها تقرب راكبها من المجد إذا أبعدت فى سيرها وأمعنت ، فنعم هذا التقريب الذى يكون بعد تبعيد .

(٥) عزت : قلت فلا تكاد توجد ، أوصعبت وشقت ، والمراد باغماد الحق إخفاؤه ، وسيف غير مغمود أى مسلول مشهور ، يقول إن المجد ينال بقوة السيف إن شق الوصول إليه بغير هذه الوسيلة ، وإن صاحب القوة جدير بأن يصل إلى المجد ويتغلب على كل ما يصادفه فى طريقه من العوائق ، والحق الأبلج لا يخفيه ولا يحول دون ظهوره قوة تصول دونه وتذود عنه .

(٦) البيد : جمع بيداء وهى المفازة أى الموضع المهالك . وانصلت : مضى وسبق . والمجهود : الوسع والطاقة ، يقول إنه كثيراً ما شق فؤاد المفاوز وقطع المهالك ماضيا إلى غايته سابقا ، وجدير بمن يطلب المجد ألا يبخل بوسعه وطاقته وألا يدخر مجهوداً فى سبيله .

(٧) التنوفة : المفازة ، أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف ، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس . والجهد : المشقة ، يقول إنه كلما قطع بالسير مفازة رمت به الى أخرى بجانبها ، وكلما سلك بعد الجهد والمشقة بيداً اضطر إلى سلوك بيد غيرها ، وهكذا ينتقل من صعب إلى صعب ، ويتغلب على مهلكة بعد مهلكة ، يصف طريق المجد بأنه كثير الصعاب متصل المخاوف والأهوال .

(٨) الشرب : جمع شارب كصاحب وصحب . ومترعة : مملوءة . وبنت العناقيد كناية عن الخمر . يشبه نفسه وهو يتقلب فى المفاوز ويتنقل فى الفلوات بكأس مملوءة بالخمر يديرها الشاربون بينهم وتتناولها أيديهم .

(٩) اليهماء : الفلاة لا يهتدى فيها . ويعبر : يمر . والمناكب هنا الأنحاء . ويودى : مضارع أودى أى هلك يقول إنه يسير متنقلا فى كل فلاة ما مرت الجن بها إلا خافت منها الهلاك .

لا يُرْسِلُ الطِّرْفُ فِي مَيْدَانِهَا قَدَماً ... إِلَّا بِزَجْرٍ وَإِيعَادٍ وَتَهْدِيدِ (١٠)

إِذَا بَدَا الْفَجْرُ ظَنَّتْهُ ضَرَاغِمُهَا ... سَيْفاً فَكَرَّتْ إِلَيْهِ كَرَّ صِنْدِيدِ (١١)

وَأَقْبَلَتْ لِغَدِيرِ الْمَاءِ وَاثِبَةً ... تَظُنُّهُ لَأْمَةً مِنْ نَسْجِ دَاوُدِ (١٢)

فَكُنْتُ بَيْنَ مَرُوعِ الْقَلْبِ مُرْتَجِفٍ ... كَأَنَّنِي صَارِمٌ فِي كَفِّ رِعْدِيدِ (١٣)

أَطْوِي الدُّجَى فَإِذَا مَا الْيَأْسُ أَدْرَكَنِي ... وَفَلَّ عَزْمِي بِسَيْفٍ مِنْهُ مَحْدُودِ (١٤)

---

(١٠) الطرف : الفرس الكريم . والزجر : مصدر زجر البعير ونحوه من باب نصر أى ساقه . والايعاد : الوعيد لا يكون إلا فى الشر ، يقال أوعده بالضرب ونحوه . يقول إن الفرس الكريم لا يخطو خطوة فى متسع هذه اليهماء إلا بالسوق والوعيد والتهديد ، وذلك كناية عن وعورتها وصعوبة السير فيها .

(١١) الضراغم : جمع ضرغام وهو الأسد . وكر الفارس من باب قتل : فر للجولان ثم عاد للقتال . والصنديد : السيد الشجاع ، يقول إذا ظهر نور الفجر فى هذه الفلاة حسبته أسودها سيفاً فى يد عدو يبغى قتالها ، فكرت إليه كر بطل شجاع . يريد فى هذا البيت والذى يليه أن يصف أسود هذه الفلاة بشدة الشراسة وحب الفتك .

(١٢) الغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل . واللأمة : الدرع وقد اشتهر نبي الله داود عليه السلام بصنع الدروع .

يقول إن الأسود تقبل على غدير الماء واثبة تحسبه درعاً من نسج سيدنا داود عليه السلام يلبسها عدو مقاتل ، فهى تهجم عليه وتريد افتراسه . وصف سطوة أسود هذه الفلاة ، وشبه غدرانها بدروع لامعة من الحديد .

(١٣) الروع : الفزع ، ومروع القلب : خائف فزع . ومرتجف : مضطرب . والصارم : السيف القاطع . والرعديد : الجبان ، يقول إنه بسبب هذه الأهوال التى وصفها ، والمصاعب التى لاقاها قد استولى عليه شيء من الفزع والاضطراب ، وكان كالسيف القاطع يهتز فى يد الجبان ، فى طبعه المضاء وفى عزمه القوة والنفاذ ولكن المخاوف والمهالك أحاطت به وتكاثرت عليه فساوره الخوف والاضطراب .

(١٤) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة . وفله : ثلمه وكسره . والعزم الارادة القاطعة . ومحدود : مسنون قاطع . يقول أطوى فى هذه الفلوات ظلمات الليل دائباً ، فاذا ما لحقنى اليأس وثلم عزمى بسيفه الحاد القاطع ، ذكرت عزما من الأستاذ ... وصف فى هذا البيت والأبيات قبله ما يحتمله طالب المجد من مشاق ويتعرض له من أخطار وصفا مفصلا بديع الخيال جميل الأسلوب ، ثم انتقل منه انتقالا لطيفا إلى غرضه الأصلى وهو مدح أستاذه والثناء عليه .

ذَكَرْتُ عَزْمًا مِنَ الْأُسْتَاذِ فَاتَّجَهَتْ ... عَزِيمَتِي بَيْنَ إِقْدَامٍ وَتَسْدِيدِ (١٥)

وَسِرْتُ مِثْلَ قَضَاءِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ... نَقْضٌ وَلَا سَهْمُهُ يَوْمًا بِمَرْدُودِ (١٦)

مَوْلَايَ عَلَّمْتَنِي كَيْفَ الثَّبَاتُ إِذَا ... لَمْ يَتْرُكِ الرُّعْبُ قَلْبًا غَيْرَ مَزْءُودِ (١٧)

عَلَوْتَ فَازْدَدْتَ بَيْنَ النَّاسِ مَعْرِفَةً ... وَالنَّجْمُ يَعْلُو فَيَبْدُو شِبْهَ مَفْقُودِ (١٨)

وَأَصْبَحَ الدِّينُ تَيَّاهًا بِنَاصِرِهِ ... وَالضَّادُ تَزْهَى بِتَجْمِيلٍ وَتَجْدِيدِ (١٩)

دَعِ الْحَسُودَ، أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ لَهُ ... نَفْسًا تَفُورُ، وَحَظًّا غَيْرَ مَجْدُودِ؟ (٢٠)

---

(١٥) التسديد : التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد من القول والعمل ، يقول إذا أحاطت بى ظلمات الحياة وأدركنى اليأس وكسر عزمى بسيفه القاطع ذكرت عزم أستاذى وقوة إرادته فاتجهت عزيمتى إلى الغاية بين إقدام وتوفيق وإصابة . جعل مجرد استذكاره عزم أستاذه سبباً إلى شحذ همته وتقوية عزيمته وحفزه إلى المعالى .

(١٦) نقضت الحبل نقضاً حللت برمه ، ونقض البناء : هدمه ، ونقضت ما أبرمه إذا أبطلته . والسهم : واحد السهام وهى ما يرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها ، يقول : وسرت إلى غايتى مثل قضاء الله تعالى لا ينقضه شىء ولا يرتد سهمه .

(١٧) الرعب : الخوف . والمزءود : المذعور الخائف ، زأده : أفزعه ، وزئد كعنى فهو مزءود ، يقول إن أستاذه علمه الجرأة والثبات فى المواقف التى يعم فيها الرعب ويطرق الفزع فيها كل قلب .

(١٨) يقول إنك علوت ، وارتفعت مكانتك فازددت بين الناس شهرة ومعرفة ، والنجم إذا علا صغر وضؤل وصار كالمفقود ، شبهه تشبيهاً ضمنياً بالنجم فى الضياء وعلو القدر وبعد المنزلة ، وفضله عليه بأنه يزداد مع الرفعة معرفة وشهرة ، والنجم يزداد مع العلو صغراً وغموضا .

(١٩) تياهاً : صيغة مبالغة من التيه وهو الفخر والعجب ، ويراد بالضاد اللغة العربية لانفرادها بحرف الضاد وامتيازها به من سائر اللغات . وتزهى : تفخر وتعجب ، يقول إن الدين أصبح فخوراً معجباً بناصره ومعينه ، كما أصبحت اللغة العربية مزهوة معجبة بذلك العالم الأديب الذى جملها وجددها .

(٢٠) فارت القدر : جاشت وغلت . وغير مجدود : غير سعيد ، يقول اترك حاسدك وأهمل شأنه ، ويكفيك من تعبه وشقائه أن نفسه تجيش وتغلى بسبب الحسد وأن حظه سيىء .

*
* *

يا فارسَ الشعْرِ لا تجْزَعْ لِنازِلَةٍ إذا دَعَوْتَ إليها فارسَ الجُودِ (٢١)
فنَظْرَةٌ مِنْهُ لَوْ مَسَّتْ ظَلامَ دُجًى ما زُمِّلَ الليلُ في أثوابِهِ السُّودِ (٢٢)

(٢١) يريد بفارس الشعر نفسه . والجزع : ضد الصبر . والنازلة : الكارثة والشديدة من شدائد الدهر . والجود : السخاء والكرم ، يخاطب نفسه قائلا يا فارس الشعر لا يكن منك جزع لشديدة من شدائد الدهر إذا دعوت إليها فارس الجود ، يصفه بالسخاء والكرم والتجاء الناس إليه إذا نزلت بهم نازلة لأنه معوان لهم على الحوادث .

(٢٢) الدجى : جمع دجية وهى الظلمة . وزمله فى ثوبه : لفه ، يقول إن نظراته مضيئة ثاقبة لو مست إحداها ظلمات الليل ما لف فى أثوابه السود ، والمعنى أنه إذا توجه برعايته لانسان نقله من حال سيئة إلى خير ونعيم ، حتى لو أنه عطف على الليل المظلم بنظرة منه لأعاد سواده بياضاً .

رثاء اسماعيل صبري باشا

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى حفل التأبين الذى أقيم فى فناء مدرســة المعلمين العليا بالمنيرة (كلية التجارة الآن) فى مايو سنة ١٩٢٣ م

صادحَ الشَّرْقِ قَدْ سَكَتَّ طَوِيلَا ... وَعَزِيزٌ عَلَيْـهِ أَلَّا تَقُولَا (١)
أَيْنَ ذَاكَ الشِّعْرُ الذى كُنْتَ تَزْجِيــهِ فيَسْرِى فِى الأَرْضِ عَرْضاً وَطُولا ؟ (٢)
قَدْ سَمِعْنَـاهُ فِى الْمَزَاهِرِ لَحْنـاً ... وَسَمِعْنَـاهُ فِى الْحَمَامِ هَدِيلا (٣)
وَشَمِمْنَاهُ فِى الْـكَمَائِمِ زَهْراً ... وَشَرِبْنَاهُ فِى الْـكُؤُوسِ شَمُولا (٤)
تَنْهَبُ الدُّرَّ مِنْ عُقُودِ الْغَوَانِى ... ثُمَّ تَدْعُوهُ فاعِلاتُنْ فَعُـولا ! (٥)

---

(١) صدح الرجل والطائر كمنع صدحا وصداحا : رفع صوته بغناء ، ويريد بصادح الشرق المرثىّ ، يقول يا صادح الشرق قد أسكتك عن الصـداح الموتُ ، وإنه ليشق ويصعب على الشرق سكوتُـك .

(٢) تزجيه : تدفعه وتسوقه برفق . ويسرى : يسير ، يستفهم عن شعره الذى كان يسوقه سوقاً رفيقاً فيسير بسحره وجماله فى طول البلاد وعرضها . وصف شعره بالذيوع والانتشار .

(٣) المزاهر : جمع مزهر وهو العود من آلات الغناء والطرب . واللحن : التغريد والتطريب والغناء . والهديل : صوت الحمام ، وهو من الأصوات التى تأنس بهـا النفوس وترتاح لسماعها ، يقول قد سمعنا شعرك غناء فى المزاهر ، وسمعناه فى هديل الحمام شبه شعره بالغناء والهديل فى شدة تأثيره وطرب النفوس لسماعه .

(٤) الـكمائم : جمع كمامة وهى غطاء النور أى الغلاف الذى يحيط بالزهرة ويغطيها قبل أن تتفتح . والـكؤوس : جمع كأس ، ولا تسمى كأسـا إلا وفيهـا الشراب . والشمول : الخمر . شبه الشعر بالزهر ثم بالخمر فى ارتياح النفس اليه والتذاذها به .

(٥) النهب : الغنيمة ، ونهب النهب : أخذه . والدر : جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة . والعقود : جمع عقد وهو القلادة . والغوانى : جمع غانية وهى الجارية التى غنيت بحسنها وجمالها . وفاعلاتن وفعولن من تفاعيل بحور الشعر أى أجزائه التى يتركب منها ، يقول إنك تنهب اللآلىء العظيمة من قلائد الحسان ثم تسميها شعراً ذا أوزان وتفاعيل ، شبه أجزاء شعره باللآلىء الكبيرة المأخوذة من عقود الغوانى .

خَطَرَاتٌ تَسِيرُ سَيْرَ الدَّرَارِى ... آبِيَاتٍ عَلَى الزَّمانِ أُفُولاَ (٦)

تَخدَعُ الْجَامِحَ الشَّمُوسَ مِنَ الْقَوْ ... لِ فَيُلْقِى الْعِنانَ سَهْلًا ذَلُولاَ (٧)

غَزَلٌ كَالشَّبَابِ أَسْجَحُ رَيَّا ... نُ يُذِيبُ الْقَاسِىَ ويُدْنِى الْمَلُولاَ (٨)

وَنَسِيبٌ يَكَادُ يَبْعَثُ فِينَا ... مِنْ جَدِيدٍ كُثَيِّرًا وَجَمِيلاَ (٩)

---

(٦) الخطرات : الخواطر وهى ما يتحرك فى القلب من رأى أو معنى . والدرارى : الكواكب الثاقبة المضيئة ، واحدها درى . وآبيات : جمع آبية اسم فاعل من الاباء وهو الامتناع . والأفول : مصدر أفل من بابى دخل وجلس أى غاب ، يقول إن شعره خواطر تسير سير الكواكب المتوقدة المتلألئة ممتنعات على مر الزمان من الأفول ، شبه شعره بالكواكب الثاقبة فى الاشراق والبهاء والشهرة ورفعة القدر ، ثم فضله عليها بأنه لا يعتوره على مر الزمان أفول ولا غياب .

(٧) خدعه : ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم ، والمراد بالخديعة هنا حسن التأتى . والجامح : اسم فاعل من جمح الفرس أى اعتز فارسه وغلبه . والشموس : الصعب المتنع من شمس الفرس من باب دخل أى منع ظهره . والعنان سير اللجام الذى تمسك به الدابة . وذلول : سهل منقاد ، يمدحه بحسن التأتى والتمكن من القول والبراعة فى الاتيان بكل نادرة مستعص على سواه .

(٨) الغزل : محادثة النساء ، والتغنى بأوصافهن شعراً . وأسجح : حسن معتدل . وريان صفة من الرى مصدر روى من الماء رِوًى وريا بمعنى ارتوى وتروى ، والقاسى : الغليظ الصلب . ويدنى : يقرب . والملول : صفة من مل الشيء ومل من الشيء يمل مللا وملالة أى سئمه ، يقول إن غزله كالشباب غض ريان حسن معتدل لين سهل ساحر شديد التأثير فى النفوس فهو يذيب من القلوب ما كان قاسيا صلبا ، ويقرب منها ما كان نافرا ملولا سئوما .

(٩) النسيب : مصدر نسب الشاعر بالمرأة من باب ضرب أى عرض بهواها وحبها .

وكثير بن عبد الرحمن أحد الشعراء الغزلين المشهورين ، شبب بعزة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ .

وجميل بن عبد الله بن معمر العذرى أحب ابنة عمه بثينة وعرف بها وقال فيها شعرا كثيراً يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر ، ولبث يشبب بها أكثر من عشرين سنة ، وكانت وفاته بمصر سنة ٨٢ هـ أيام عبد العزيز بن مروان واليها من قبل أخيه عبد الملك .

يقول إن نسيب الشاعر يكاد يعيد فينا شعر كثير وجميل ، وصف نسيبه بالرقة وشدة التأثير فى النفس وشبهه بشعر كثير وجميل وهما أشهر الشعراء الغزلين وشعرهما فى هذا الغرض أحلى الشعر وأرقه وأعذبه .

وَقَوافٍ سَالَتْ مِنَ اللُّطْفِ حَتَّى ... لَحَسِبْنَا الْمُجْتَثَّ مِنْهَا طَوِيلاَ (١٠)

نَقَدَتْ جَيِّدَ الْكَلامِ وَخَلَّت ... سَقَطًا مِنْ وَرَائِهَا وفُضُولاَ (١١)

عَبِثَتْ « بالْوَلِيدِ » ثُمَّ أَرَتْهُ ... مِنْهُ أَنْقَى مَعْنًى وَأَقْوَمَ قِيلاَ (١٢)

لَوْ وَعَاهَا مَا اهْتَزَّ يُنْشِدُ يَوْماً ... (ذَاكَ وَادِي الأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلاَ) (١٣)

---

(١٠) القوافى : جمع قافية وهى الكلمة الأخيرة من البيت ، والمراد بالقوافى هنا أبيات الشعر . واللطف : الرفق ، والمراد به هنا الرقة والعذوبة والحسن . وحسب : ظن . والمجتث من بحور الشعر ، وأجزاؤه مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مرتين مجزوء وجوبا . والطويل : أول بحور الشعر ، وأجزاؤه فعولن مفاعيلن أربع مرات ، يقول إن شعره يسيل رقة وعذوبة ولطفاً حتى ليخيل إلى قارئه أن مجتثه طويل ، وذلك لأنه لما ادعى أنه يسيل للطافته أكد هذا الادعاء بأن المجتث منه وهو قصير التفاعيل إذا سال ظن أنه من البحر الطويل الكثير التفاعيل .

(١١) نقدت : أى القوافى ، والمراد الأبيات ، ونقد الدراهم : إخراج الزيف منها ، والمراد اختارت . والسقط بفتحتين : ردىء المتاع والخطأ من القول والفعل . وفضول الكلام : ما لا خير فيه . يقول إن هذا الشعر قد اختار جيد الكلام وترك رديئه وما لا خير فيه .

(١٢) العبث : اللعب . والوليد : هو أبو عبادة بن عبيد الطائى البحترى الشاعر المطبوع ، وبحتر بطن من طيء كانوا ينزلون بناحية «منبج» بين حلب والفرات ، ولد سنة ٢٠٦ هـ وتخرج فى الشعر على أبى تمام ثم خرج إلى العراق وأقام فى خدمة المتوكل والفتح بن خاقان وزيره إلى أن قتلا فرجع إلى « منبج » وبقى يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد وسر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ . وأنقى : اسم تفضيل من النقاء مصدر نقى ينقى من باب تعب أى صفا ونظف وخلص من الكدر . وأقوم : اسم تفضيل من قام الأمر أى اعتدل واستقام . والقيل : اسم من القول . يقول إن هذه القوافى عبثت بالبحترى ثم أرت هذا الشاعر العظيم شعراً أصفى من شعره معنى وأقوم لفظا .

(١٣) وعاها : حفظها وتدبرها أى القوافى والمراد الأبيات . وأنشد الشعر : قاله . و « ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا » مطلع قصيدة للبحترى بدأها بغزل رقيق ، ثم انتقل منه إلى مدح محمد بن على بن عيسى القمى ومن أبياتها :

قد وجدنا محمد بن على ... غاية المجد قائلا وفعولا

ولقينا شمائلا تنشر المسك سحيقا ، كما لقينا الشمولا

ووادى الأراك : موضع . والأراك فى الأصل شجر من الحمض يستاك به . واحبس : أمر من الحبس وهو ضد التخلية ، والمعنى قف ، يقول لو تدبر البحترى أبيات إسماعيل صبرى ما اهتز يوما معجباً فخوراً ينشد قوله « ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا » . والمعنى أن شعر المرثى يفوق شعر البحترى حتى إنه ليستحي أن ينشد لنفسه شعراً إذا وعى شعر صبرى .

(قِفْ مَشُوقاً أَوْ مُسْعِداً أَوْحَزِيناً ‏ ‏ ‏ ‏ أَوْ مُعِيناً أَوْ عَاذِراً أَوْعَذُولاَ) (١٤)
بَرَزَتْ نَفْسُهُ بِهَا فَرَأَيْنَـا ‏ ‏ ‏ ‏ هُ نَبِيلاً يَنُثُّ قَوْلاً نَبِيلاَ (١٥)
هَبَطَتْ حِكْمَةُ الْبَيَانِ عَلَيْهِ ‏ ‏ ‏ ‏ فَاذْكُرُوا فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلاَ (١٦)

*
* *

لَوْ شَهِدْتَ الرَّدَى يَحُومُ عَلَيْهِ ‏ ‏ ‏ ‏ وَالْمَنَايَا تَرْمِى لَهُ الْأُحْبُولاَ (١٧)
لَرَأَيْتَ الطَّوْدَ الْأَشَمَّ الَّذِى كَا ‏ ‏ ‏ ‏ نَ مَنِيعَ الذُّرَا كَثِيباً مَهِيلاَ (١٨)

---

(١٤) مشوق : اسم مفعول من شاقنى الشىء شوقا من باب قال ، والشوق نزاع النفس إلى الشىء . ومسعد : معين ، من أسعده بمعنى أعانه . وعاذر : اسم فاعل من عذرته فيما صنع عذراً من باب ضرب أى رفعت عنه اللوم ، والاسم : العُذْر . والعذول : اللائم من العذل وهو الملامة .

(١٥) برزت : ظهرت . والنبل والنبالة : الذكاء والنجابة والفضل ، وقد نبل من باب ظرف فهو نبيل . ونث الحديث : أفشاه . يقول إن نفسه الطيبة الشريفة قد ظهرت فى شعره فرأينا المرثى رجلا فاضلا ذكيا نجيبا يذيع فى شعره قولا فاضلا شريفا ، وصفه بنبالة النفس ونبالة القول .

(١٦) هبطت : نزلت . والحكمة : قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً . والبيان : الوضوح والانكشاف ، والمراد به القول البليغ الواضح وقوله : « فاذكروا فى الكتاب إسماعيل » اقتباس جميل من قول الله تعالى فى سورة مريم « واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً » . يقول لقد نزلت حكمة البيان على المرثى فاذكروه فى كتاب البلغاء والمبرزين من الشعراء . وفى الاقتباس إشارة إلى أن بلاغة شعره فى سموها أنزلته مكانا عليا شبيها بمنزلة الأنبياء .

(١٧) شهدت : عاينت ورأيت . والردى : الهلاك والموت . ويحوم : يدور . والمنايا : جمع منية وهى الموت . والأحبول : المصيدة كالحبالة والأحبولة .

(١٨) الطود : الجبل العظيم . والأشم : الطويل الرأس المرتفع . والمنيع : الحصين الذى لا يقدر عليه من يريده . والذرا : جمع ذروة وهى من كل شىء أعلاه . والكثيب : المجتمع من الرمل . والمهيل : المرسل المصبوب ، اسم مفعول من هاله من باب باع أى أرسله وصبه . والمراد مهدم منهار ، يقول لو رأيت الموت يحوم عليه ويدور حوله ويرمى له حبالته لرأيت الجبل العظيم العالى الذى كان حصين الذرا يصير كثيباً من الرمل منهاراً مهيلا ، والمعنى أن الموت قد صير هذا العزم الفتى والهمة الرفيعة جسداً هامداً محطما .

وَرَأَيْتَ الصَّمْصَامَ لاَ يَقْطَعُ الضِّغْـــــثَ وَقَدْ كَانَ صَارِمًا مَصْقُولاَ (١٩)

وَرَأَيْتَ الرُّوحَ الْخَفِيفَةَ حَيْرَى إِنَّ عِبْءَ السَّقَامِ كَانَ ثَقِيلاَ (٢٠)

شَيَّعَ الدَّمْعُ يَوْمَ شَيَّعَ « صَبْرِى » دَوْلَةً فَخْمَةً وَعَصْرًا حَفِيلاَ (٢١)

* * *

خُلُقٌ لَوْ يَمَسُّ هَاجِرَةَ الْقَيْـــــظِ لَأَمْسَتْ عَلَى الْأَنَامِ أَصِيلاَ (٢٢)

وَخِلاَلٌ مِثْلُ النَّسِيمِ وَقَدْ مَـــــرَّ بِزَهْرِ الرُّبَا عَلِيلاً بَلِيلاَ (٢٣)

---

(١٩) الصمصام : السيف القاطع الذى لا ينثنى . والضغث : قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس . والصارم : القاطع . والمصقول : المجلو ، يقول : ورأيت السيف الذى كان ماضيا قاطعاً مصقولا قد أصبح لا يقوى على قطع قبضة من حشيش .

(٢٠) حيرى : غير مستقرة . والعبء : الثقل والحمل . والسقام : المرض . يقول ورأيت روحه الخفيفة متحيرة مترددة فى جسده غير مستقرة لأن حمل المرض كان ثقيلا . وصف فى هذا البيت وثلاثة الأبيات قبله تأثير الموت فى المرثى وضمن وصفه مدحا ورثاء بليغا ، وسيصف فى البيت الآتى لوعة الحزن عليه وما فقده الناس بفقده .

(٢١) شيعه : ودعه ، وشيعت الضيف والمسافر خرجت معه عند رحيله إكراما له . والدولة : انقلاب الزمان ، والعاقبة فى الحرب ، يقال كانت لنا عليهم الدولة ، والمراد بالدولة هنا مملكة الأدب والشعر . وفخمة : عظيمة القــدر . والعصر : الدهر وهو الزمان . وحفيل : كثير مجتمع ، يقول إن الناس لما ودعوا صبرى ودعوا فيه بدموعهم أدبا رائعا كأنه كان دولة عظيمة ثم امّحت من عالم الوجود وذهب عصره الذى ملأه شعراً رائعاً .

(٢٢) الهاجرة : نصف النهار عند اشـتداد الحر . والقيظ ، شدة حر الصيف . والأنام : جميع الخلق . والأصيل : العشى وهو الوقت بعد العصر إلى الغروب ، يقول إن المرثى خلقاً رقيقاً لطيفا لو مس هاجرة القيظ لأمست على الخلق أصيلا يعتدل فيه الجو ويطيب الهواء .

(٢٣) الخلال : جمع خلة (بالفتح) وهى الخصلة والفضيلة . والنسيم : الريح الطيبة . والربا : جمع ربوة وهى ما ارتفع من الأرض ، وزهر الربا أطيب الأزهار وأجملها . وعليل : هادىء لين رقيق . وبليل : مندى أو بارد مع ندى . يقول إن للممدوح خصالا وفضائل كالنسيم العليل البليل الذى يحمل عبير أزهار الربا .

وَحَدِيثٌ حُلْوُ الْفُكَاهَةِ عَذْبٌ لَمْ يَكُنْ آسِنًا وَلَا مَمْلُولَا (٢٤)

يُذْهِلُ الصَّبَّ عَنْ أَحَادِيثِ لَيْلَا هُ وَيُنْسِيهِ حَوْمَلًا وَالدَّخُولَا (٢٥)

يَقْصُرُ اللَّيْلُ حِينَ يَسْمُرُ «صَبْرِى» بَعْدَ أَنْ كَانَ نَابِغِيًّا طَوِيلَا (٢٦)

*
* *

يَوْمَ «صَبْرِى» هَدَمْتَ لِلْمَجْدِ رُكْنًا وَتَرَكْتَ الْعَلْيَاءَ أُمًّا ثَكُولَا (٢٧)

---

(٢٤) الفكاهة : المزاح تنبسط به النفس وتطيب وتتمتع . وعذب : طيب مقبول مستحسن من عذب الماء بالضم عذوبة ساغ مشربه وطاب . وآسن : آجن أى متغير الطعم واللون ، والمراد قديم معاد تافه . ومملول : اسم مفعول من مل الشيء ومل من الشيء يمل مللا وملة وملالة أى سئمه . يقول لقد كان المرثى حديث طيب مستحسن حلو المزاح تنبسط به النفس وتنعم بسماعه ولم يكن حديثه معاداً تافها تمجه الأذواق وتمله الأسماع .

(٢٥) ذهل عن الشيء كمنع ذهلا وذهولا نسيه وغفل عنه ، وأذهله عنه ، شغله عن ذكره وأنساه إياه . والصب : العاشق من الصبابة وهى رقة الشوق وحرارته أو رقة الهوى . وليلاه ، معشوقته . عشق قيس بن الملوح العامرى ابنة عمه ليلى وشبب بها فى شعره فحيل بينها وبينه فاتقد هواه حتى صار إلى حالة تشبه الجنون ، ومن أجل ذلك لقب بمجنون ليلى ، كان ذلك فى بادية نجد فى صدر الدولة الأموية . وحومل والدخول موضعان بنجد على مقربة من طريق البصرة إلى مكة ذكرهما امرؤ القيس فى مطلع معلقته متغزلا بابنة عمه عنيزة فقال :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

يقول إن حديث المرثى كان ساحراً شهياً يشغل العاشق عن أحاديث معشوقته وينسيه ديارها ومنازلها . جعل حديثه أعذب وأحب إلى النفس من أحاديث المعشوقات إلى عشاقهن .

(٢٦) يسمر : يتحدث بالليل من السمر والمسامرة وهما الحديث بالليل . ونابغى : شاق طويل منسوب إلى النابغة الذبيانى زياد بن معاوية حيث يقول :

فبت كأن العائدات فرشن لى هراسا به يعلى فراشى ويقشب

العائدات : الزائرات فى المرض ، والهراس : شوك كأنه حسك . ويقشب : يخلط . يقول إن الليل يقصر إذا تحدث فيه المرثى إلى أصحابه والمستمعين لأدبه بعد أن كان هذا الليل صعباً شاقاً طويلا ، وذلك لأن ليالى الأنس والسرور قصيرة فى حس المسرورين .

(٢٧) المجد : العز والشرف . والعلياء : الرفعة والشرف . وثكول : فعول بمعنى فاعل من الثكل وهو فقدان المرأة ولدها ، يقول يايوم وفاة « صبرى » لقد هدمت ركنا عظيما من أركان العز والشرف وتركت العلياء كالأم الثكلى التى فقدت ولدها ، يصفه بالعز والشرف والرفعة والعلاء .

يَوْمَ «صَبْرى» أَغْمَدْتَ فى التُّرْبِ سَيْفًا ... حِينَ جَرَّدْتَ سَيْفَكَ الْمَسْلُولا (٢٨)

*
* *

إِنَّمَا نَحْنُ فى الْحَيَاةِ إِلَى حِين ... شَبَابًا وَفِتْيَةً وَكُهُولا (٢٩)

نَتَمَنَّى الْحَيَاةَ جِدَّ تَمَنٍّ ... وَهْىَ لَيْسَتْ إِلاَّ مَتَاعًا قَلِيلا (٣٠)

وَقَفَ الطِّبُّ حَائِرًا وَالْمَنَايَا ... سَاخِرَاتٍ يَغْتَلْنَ جِيلا فَجِيلا (٣١)

دَوْرَةُ الأَرْضِ كَمْ أَمَدَّتْ قَبِيلاً ... بِحَيَاةٍ وَكَمْ أَبَادَتْ قَبِيلا (٣٢)

نَضْرَةٌ فى أَزَاهِرِ الصُّبْحِ تُمْسِى ... بَعْدَ لأْىٍ تَصَوُّحًا وَذُبُولا (٣٣)

(٢٨) أغمد السيف وغمده : جعله فى غمده .
وجرد السيف : أخرجه من غمده من التجريد وهو التعرية من الثياب وسيف مسلول ، مشهور مخرج من غمده .
يقول يا يوم «صبرى» إنك دفنت فى التراب رجلا شديد العزم ماضياً فى الأمور كالسيف القاطع وذلك حينما جردت عليه سيفك المشهور أى حين أمته .

(٢٩) الحين : الوقت والمدة . والشباب : جمع شاب . والفتية : جمع فتى وهو الشاب الحدث . والكهول : جمع كهل وهو من بلغ الأربعين يقول إننا لا نحيا إلا إلى أجل محدود ثم يخترمنا الموت سواء أكنا شبانا أم فتيانا أم كهولا .

(٣٠) تمنى الشيء : أراده ورغب فيه ، والتمنى يكون عادة فيما يستبعد حصوله . وجد تمن : نهاية التمنى وأعظمه ، والمتاع : المنفعة وما تمتعت به ، يقول إننا نتمنى الحياة ونحرص عليها ونرغب فيها أعظم رغبة وهى ليست إلا متاعا قليلا سريع الزوال .

(٣١) المنايا : جمع منية وهى الموت . وسخر منه وبه من باب طرب : ضحك وهزىء . واغتاله : قتله على غرة أى غفلة . والجيل : الأمة . يقول إن الطب وقف أمام المنايا حيران متردداً عاجزاً ، ووقفت المنايا ساخرة منه هازئة به متحدية له تغتال الناس والأحياء كلهم أمة بعد أمة .

(٣٢) القبيل : الجماعة . وأبادت : أهلكت ، يقول إن دوران الأرض وحركتها الدائمة تبرز للحياة قوما وتهلك آخرين . والمعنى أن الأرض تشهد كل يوم ما لا يحصى من حوادث الحياة والموت .

(٣٣) النضرة : الحسن والرونق والبهاء . واللأى : البطء ، والمراد هنا الزمن القليل . التصوح : أن ييبس النبات من أعلاه . وذبل البقل من بابى نصر وكرم : ذوى وذهبت ندوته ، يقول إن الحياة تكون فى مبدئها غضة ، فتية جميلة ثم لا تلبث أن تضعف وتزول كالأزهار تكون فى أول النهار غضة نضيرة بهية ثم تصير بعد قليل يابسة ذاوية ذابلة . قال تعالى فى سورة الكهف : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح » .

رُبَّ قَصْرٍ قدْ كَانَ مَلْعَبَ أُنْسٍ   صَيَّرَتْهُ الْأَيَّامُ رَبْعًا مُحِيلاَ (٣٤)
وَفَتاةٍ طَوَى مَحاسِنَهَا الدَّهْـــــرُ بَنَانًا غَضًّا وَخَدًّا أَسِيلاَ (٣٥)
نَأْكُلُ الْأَرْضَ ثُمَّ تَأْكُلُنَا الْأَرْ   ضُ دَوَالِيكَ أَفْرُعًا وَأُصُولاَ (٣٦)

*
* *

يا مَلِيكَ الْبَيَانِ دَعْوَةَ خِلٍّ   وَجَدَ الصَبْرَ بَعْدَكُمْ مُسْتَحِيلاَ (٣٧)
أَنَا أَرْثِيكَ شَـاعِراً وَأَدِيبًا   ثُمَّ أَبْـكِيكَ صَاحِبًا وخَلِيلاَ (٣٨)

---

(٣٤) الأنس : اطمئنان النفس ، وهو ضد الوحشة . والرَّبع : الدار . ومحيل اسم فاعل من أحال الشيء بمعنى تحول وتغير ، أو من أحالت الدار أى أتى عليها أحوال ، يقول رُبَّ قصر كان ملعب أنس وطمأنينة لأهله أخنى عليــه الزمان ، وتتابعت عليه الأيام والأعوام حتى غـيرت معالمه وصيرته داراً خاوية .

(٣٥) المحاسن : جمع على غير قياس لحسن . والبنان : الأصابع أو أطرافها ، الواحدة بنانة . وغض : طري . وأسيل : لين طويل ، يقول ورب فتاة حسناء طوى الزمان مظاهر حسنها وجمالها من أصابع غضة وخد أسيل .

(٣٦) دواليك : مداولة على الأمر أو تداول بعد تداول ، من الدولة وهى انقلاب الزمان ، يقال تداول القوم الشيء تداولا وهو حصوله فى يد هذا تارة وفى يد هذا تارة أخرى ، ويقال دالت الأيام تدول مثل دارت تدور وزنا ومعنى ، يقول إننا نأكل نبات الأرض ثم تأكلنا الأرض بعد موتنا ، وهكذا تدور هذه الحالة على أصولنا وفروعنا حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ساق الشاعر فى هذا البيت وسبعة الأبيات قبله طائفة من الحكم والعظات المتعلقة بفلسفة الحياة والموت ، وسيعود فى الأبيات الآتية الى رثاء صديقه وتعداد مآثره .

(٣٧) المليك : الملك . والبيان : الفصاحة واللسن . والخل : الخليل والصديق ، ومستحيل : غير ممكن ، يقول يا ملك الفصاحة واللسن أدعوك دعوة صديق ودود لن يستطيع الصبر بعد موتك ، والمعنى أن حزنه عليه دائم غير منقطع .

(٣٨) رثى الميت يرثيه ويرثوه : بكاه وعدد محاسنه ، وكذا إذا نظم فيه شعراً . والخليل : الصديق ، يقول أنا أبكيك وأعدد محاسنك شاعراً وأديباً ثم صاحباً وصديقا ، يريد أنه فجع فيه من ناحيتين ، ناحية عامة وهى الشعر والأدب ، وناحية خاصة وهى الخلة والصداقة ، فالفجيعة فيه عظيمة والحزن عليه مضاعف .

قُلْ لِحَسَّانَ إِنْ مَرَرْتَ عَلَيْهِ فِي ظِلَالِ الْفِرْدَوْسِ يُطْرِي الرَّسُولَا (٣٩)
إِنَّ مِصْرًا أَحْيَتْ مَوَاتَ الْقَوَافِي وَأَقَامَتْ عَمُودَهَا أَنْ يَمِيلَا (٤٠)
وَأَعَادَتْ إِلَى سَلِيلَةِ عَدْنَا نَ شَبَابًا غَضًّا وَمَجْدًا أَثِيلَا (٤١)
قُلْ لَهُ غَيْرَ فَاخِرٍ إِنَّ « صَبْرِي » بَعْدَ « سَامِي » هَدَى إِلَيْهَا السَّبِيلَا (٤٢)

---

(٣٩) حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من بنى النجار من أهل المدينة ، نشأ فى الجاهلية ونبه شأنه فيها ، ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأسلم الأنصار أسلم معهم حسان ودافع عن النبى بلسانه كما دافع عنه قومه بسيوفهم ، وعاش بعد رسول الله محببا الى خلفائه حتى مات فى خلافة معاوية سنة ٥٣ هـ وعمره ١٢٠ سنة . والظلال : جمع ظل وهو ما أظل الانسان . وفى ظلال الفردوس : تحت أشجارها . والفردوس : حديقة فى جنة الخلد ، وأصله البستان يجمع كل ما فى البساتين . ويطرى : يمدح .

(٤٠) الموات : ما لا روح فيه ، والموات أيضاً الأرض التى لا ينتفع بها . والقوافى : جمع قافية وهى الكلمة الأخيرة من البيت ، والمراد بالقوافى هنا أبيات الشعر ، يقول المرثى اذا مررت بحسان بن ثابت فى ظلال الجنة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فقل له إن مصر قد بلغت فى الأدب شأواً رفيعا فجددت الشعر وأحيت مواته ورفعت شأنه وأظهرت محاسنه .

(٤١) سليلة : بنت . وعدنان أبو العرب المستعربة سكان شمالى الجزيرة وهو من نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وسليلة عدنان كناية عن اللغة العربية . وغضا : طريا . والمجد : العز والشرف . والأثيل : الأصيل العظيم يقول : وقل له إن مصر أعادت الى اللغة العربية ما كان لها من شباب غض وعز أصيل وشرف عظيم .

(٤٢) فاخر : اسم فاعل من الفخر وهو الافتخار وذكر الشرف القديم . و « صبرى » هو المرثى اسماعيل صبرى باشا . و « سامى » هو محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى أحد زعماء الثورة العرابية وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية ، نظم الشعر من صغره محاكاة ومعارضة للشعراء الأقدمين الذين حفظ من كلامهم كثيراً ونسج على منواله . ولد سنة ١٢٥٥ هـ ثم تعلم فنون العسكرية وما زال يترقى فى مراتب الجيش حتى ولاه الخديو توفيق باشا نظارتى الحربية والأوقاف ثم استقال واعتزل العمل حتى ولى رياسة النظار قبيل الثورة العرابية فلما اضطرمت نيرانها خب فيها ووضع ، ثم حكم عليه بعد انقضائها بالنفى الى جزيرة سرنديب (سيلان) فبقى بها ١٧ سنة ثم أذن له بالقدوم الى مصر ، وبقى فى منزله كفيفا يشتغل بالأدب الى أن مات سنة ١٣٢٢ هـ . يقول : وقل لحسان لا على سبيل الفخر بل على سبيل الاخبار بالحق والواقع — انك بعد البارودى قد أنرت طريق اللغة العربية وهديت السبيل اليها .

***

وَيْكَ يَا قَبْرُ صِرْتَ لِلْفَضْلِ مَثْوًى ... لَا يُسَامَى وَلِلنُّبُوغِ مَقِيلَا(٤٣)

فِيكَ كَنْزٌ لَمْ تَحْوِ أَرْضُ الْفَرَاعِيـ ... ـنِ لَهُ بَيْنَ لَابَتَيْهَا مَثِيلَا(٤٤)

فِيكَ سِرُّ الْجَلَالِ وَالْخَطْبُ فِيهِ ... كَانَ يَا قَبْرُ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلَا(٤٥)

ضُمَّهُ ضَمَّةَ الْكَمِيِّ حُسَامًا ... تَرَكَ النَّصْرُ حَدَّهُ مَفْلُولَا(٤٦)

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ يَفْتَرِشُ التُّرْ ... بَ وَقَدْ كَانَ لِلسِّمَاكِ رَسِيلَا(٤٧)

لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ لَوْ كَانَ يُجْدِي ... لَهْفَ نَفْسِي أَوْ كَانَ يُغْنِي فَتِيلَا(٤٨)

---

(٤٣) ويك : عجبا لك . ومثوى : مقام ، اسم مكان من ثوى بالمكان يثوى ثواء وثويا أى أقام به ، ولا يسامى : لا يفاخر ولا يبارى . والنبوغ : مصدر نبغ الشيء أى ظهر وعظم شأنه ويقال نبغ فلان أى قال الشعر وأجاده . ومقيل : اسم مكان من قال يقيل قيلا وقيلولة ومقيلا أى نام فى القائلة وهى الظهيرة ، يخاطب قبر المرثى قائلا له عجبا لك أيها القبر فقد صرت مقاما للفضل والخير يعلو على المفاخرة كما صرت مقراً للنبوغ والعبقرية وعظم الشأن .

(٤٤) الكنز : المال المدفون . والفراعين جمع فرعون وهو لقب ملوك مصر الأقدمين وأرض الفراعنة هى الأراضى المصرية . واللابتان مثنى لابة وهى الحرة أى الأرض ذات الحجارة السود ، وفى الحديث « أنه عليه الصلاة والسلام حرم ما بين لابتى المدينة » أى حرتيها اللتين تكتنفانها ، والشاعر يريد بلابتى أرض الفراعنة حدودها التى تحيط بها ، يقول مخاطبا القبر فيك من الفضل والخير ما يشبه الكنز العظيم الذى لم تشتمل على مثله أرض مصر جميعها وهى بلاد الكنوز .

(٤٥) الجلال : العظمة . والخطب : النازلة الشديدة من نوازل الدهر . يقول للقبر : فيك سر العظمة ، ولو تأتى منك العلم لعلمت أن مصابنا فيه كان مصابا عظيما جسيما .

(٤٦) الكمى : الشجاع المتكمى فى سلاحه أى المتغطى المستتر بالدرع والبيضة . والحسام : السيف القاطع . مفلول : منثلم متكسر ، يقول ضمه أيها القبر كما يضم الشجاع المدجج بالسلاح سيفه الذى ثلم حده كثرة القتال وتوالى النصر أى ضمه ضمة إعزاز وتكريم وإعظام .

(٤٧) لهف كفرح وفهم : حزن وتحسر ، ويا لهفة ويا لهفى عليه ويا لهف نفسى عليه : كلمات يتحسر بها على فائت . والترب : التراب . والسماك : نجم نير من نجوم السماء وهما سماكان : السماك الأعزل والسماك الرامح . ورسيل الرجل من يباريه فى نضال أو غيره ، وهذا رسيلك الذى يراسلك الغناء أى يباريك فى إرساله ، يقول يا حسرتا عليه يفترش فى قبره التراب وقد كان كفواً ونظيراً للسماك .

(٤٨) يجدى : يغنى وينفع . والفتيل : ما يكون فى شق النواة يضرب به المثل فى التفاهة والضآلة ، يقول يا لهف نفسى وحسرتها وحزنها عليه لو كان ينفع التلهف والتحسر أو يغنى عنه شيئاً يسيراً ، والمعنى أن الحزن على الميت لا يفيد المحزون ولا ينفعه .

كُنْ عَلَيْهِ يا قَبْرُ رَوْحاً وَرَيْحَا نًا وَمَثْوًى رَحْباً وَظِلًّا ظَلِيلَا(٤٩)

لَمْ يَمُتْ مَنْ يَزُولُ مِنْ عَالَمِ الْحِسِّ وَتَأْبَى آثَارُهُ أَنْ تَزُولَا(٥٠)

---

(٤٩) الروح : الرحمة والراحة . والريحان : كل نبات طيب الريح . ومثوى : مقام أى مكان ثواء وهو الاقامة . ورحب : واسع ، وظل ظليل : دائم . يدعو أن يكون قبره عليه رحمة وراحة وريحانا ومقاما فسيحا وظلا دائما .

(٥٠) يقول لا يعتبر ميتا من يفارق هذا العالم الذى يدرك بالحس وتبقى بعده آثاره ممتنعة على الزوال والمعنى أن العظيم إذا فارق الحياة الدنيا يبقى حيا بين الناس بآثاره وطيب ذكراه « والذكر للانسان عمر ثان » .

ضحكُ القَدر

قال الشاعر هذه الأبيات سنة ١٩١٠ حينما كان طالبا بانجلترا ، وقد زار « لندن » فى فصل الشتاء ، ومن العجيب بها أن الضباب يتكاثف أحيانا فيحجب الأضواء ، ويجعل المدينة فى ظلام دامس ، وحينئذ يحـار المبصر ويضل الطريق ، وقد يهدى العمى المبصرين فى هـذه الحالة لاعتيادهم الضرب فى الأرض على أى حال .

أَبْصَرْتُ أَعْمَى فِي الضَّبَابِ بِلَنْدَنِ ... يَمْشِي فَلاَ يَشْكُو وَلاَ يَتَأَوَّهُ (١)

فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ الْهِدَايَةَ مُبْصِرٌ ... حَيْرَانُ يَخْبِطُ فِي الظَّلاَمِ وَيَعْمَهُ (٢)

فَاقْتَادَهُ الْأَعْمَى فَسَارَ وَرَاءَهُ ... أَنَّى تَوَجَّهَ خَطْوُهُ يَتَوَجَّهُ (٣)

وَهُنَا بَدَا الْقَدَرُ الْمُعَرْبِدُ ضَاحِكاً ... وَمَضَى الضَّبَابُ وَلاَ يَزَالُ يُقَهْقِهُ ! (٤)

---

(١) يتأوه : يقول أوه ، وهذه كلمة تقال عند الشكاية والتوجع ، يقول إنه حينما تكاثف الضباب بلندن رأى أعمى يمشى فى هذا الظلام الدامس مهتديا مطمئنا لا يشكو ولا يتوجع .

(٢) يخبط الأرض فى الظلام : يسير فيها على غير هدى . ويعمه : يتحير ويتردد ، يقول إن مبصراً حيران متردداً يسير فى الظلام على غير هُدى توجه إلى ذلك الأعمى وسأله أن يهديه ويدله على الطريق .

(٣) اقتاده : قاده ، يقول إن الأعمى يمشى أما المبصر يقوده ويمشى المبصر وراءه منقادا له متبعا خطواته يسير حيثما سار ، وهذا منظر عجيب يثير الدهش .

(٤) بدا : ظهر . والمراد بالقدر ما قسم للناس من حظوظ . والمعربد : من يؤذى نديمه فى سكره ، والمراد به الشديد ، يقول وفى هذه الحالة الغريبة المثيرة للدهش ظهر القدر الشديد ضاحكا من اضطراب أحوال الناس ، واختلاف أوضاعهم ، وقيادة عميانهم لبصريهم ، ثم مضى الضباب وانتهى ولا يزال القدر يقهقه مغرقا فى ضحكه لكثرة ما يتوالى أمامه فى كل يوم من المتناقضات وتسلط غير المستحق على المستحق .

تهنئة صديق

أنشد الشاعر هذه القصيدة فى حفل زواج صديقه محمد بدر الدين ، فى مايو سنة ١٩١٣

هـــذِى الدِّيَارُ وَأَنْتَ شَاعِرْ   فَانْثُرْ كَرِيمَاتِ الْجَوَاهِرْ (١)
وَافْعَلْ كَمَا يُمْلِى الْهَـــوَى   فَاكْتُمْ حَدِيثَكَ أَوْ فَجَاهِرْ (٢)
هِىَ مَنْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا   فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُخَاطِرْ (٣)
حَاذِرْ عَلَىَّ وَلَيْتَ شِعْـــرِى هَلْ يَرُدُّكَ قَوْلُ : حَاذِرْ ؟ (٤)

---

(١) بدأ الشاعر هذه القصيدة بالغزل على عادة كثير من الشعراء ، فهو يقول مخاطبا نفسه : هذه ديار محبوبتك ، وأنت شاعر تصور العواطف أجمل تصوير ، فانثر من العبارات الشعرية الرائعة ما يشبه الجواهر الكريمة .

(٢) الهوى : الحب . يقول واتبع ما يمليه الهوى ويريده من كتمان حديث الحب أو المجاهرة به ، يطلق لنفسه العنان فى هــذا البيت ، ثم يعود لتحذيرها فى البيتين الآتيين ، وينصح لهــا بالبعد عن المخاطرة .

(٣) هى أى المحبوبة . واربأ : ابتعد وحاذر . وخاطر بنفسه : فعل ما يكون الخوف فيه أغلب أو أشرف بها على الهــلاك ، يشير فى الشطر الأول إلى عظم قدر المحبوبة وعلو مكانتها ، ويحذر نفسه فى الشطر الثانى من المخاطرة والمجازفة ، والمعنى أن محبوبته من عظم الشأن وسمو المكانة بحيث لا يستطيع أن يجاهر بحبها دون أن يمس ذلك الشرف الرفيع .

(٤) ليت شعرى : ليتنى أعلم ، من شعرت بمعنى فطنت وعلمت . يحذر نفسه أن يصرح بحبها وفى قوله « وليت شعرى هل يردك قول حاذر » ما يشعر بأن حبه لها شديد لا تخفيه النصيحة ولا يجدى معه الاحتراس .

حَوْراءُ تَسْرَحُ فِي الْقُلُو بِ كَأَنَّهَا مَرِحُ الْجَآذِرْ (٥)

* * *

يَا لَيْلَةً حُمِدَتْ بِهَا عُقْبَى الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرْ (٦)
مَرَّتْ كَحَسْوَةِ طَائِرٍ قِصَراً وَكَرَّاتِ الْخَوَاطِرْ (٧)
وَدَّ الْكَوَاعِبُ لَوْ تُمَدُّ بِمَا لَهُنَّ مِنَ الْغَدَائِرْ (٨)
أَوْ لَوْ وَصَلْنَ سَوَادَهَا بِسَوَادِ حَبَّاتِ النَّوَاظِرْ (٩)

---

(٥) حوراء . صفة من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها وهذا من أعظم مظاهر الحسن . وتسرح : تمشى وتنتقل وأصله من سرحت الماشية : تنقلت فى المرعى . ومرح : صفة من المرح وهو الاختيال والنشاط والتبختر . والجآذر : جمع جؤذر بفتح الذال وضمها وهو ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسناء من النساء فى جمال العيون واتساعها ، وفى التعبير بتسرح حسن ملاءمة للجآذر . يقول إن هذه المحبوبة ساحرة العيون فاتنة الجمال تسرح فى قلوب العشاق كأنها جؤذر نشيط حلو العيون .

(٦) العقبى : جزاء الأمر . والموارد فى الأصل : جمع مورد اسم مكان من ورد البعير وغيره الماء أى بلغه ووافاه ، والمصادر : جمع مصدر اسم مكان من صدر عن الماء أى رجع ، والمراد بالموارد والمصادر الأوائل والنهايات ، يصف ليلة العرس بأن كل شىء فيها محمود ، وأن كل أوقاتها سعيدة طيبة العواقب .

(٧) حسا الطائر الماء يحسوه حسواً : جرعه أى شربه ، والحَسْوة اسم مرة منه ، ومن أمثال العرب يوم كحسو الطير ، يشبه بجرع الطير الماء فى سرعة انقضائه .

والكرات : جمع كرة وهى الرجعة . والخواطر : جمع خاطر وهو الهاجس أو حديث النفس ، يصف ليلة العرس بالقصر وسرعة الانقضاء ويقول إنها مرت كأنها حسوة طائر أو أمر خطر بالبال وكرّ سريعا ، والمعنى أنها حوت بواعث الفرح والسرور وأسباب السعادة والهناءة ، لأن الشعور بسرعة انقضاء الزمن إنما يكون مع الفرح والسعادة .

(٨) ود : تمنى . والكواعب : جمع كاعب وهى الفتاة نهد ثديها أى نتأ . والغدائر : جمع غديرة وهى الذؤابة أى الشعر المنسدل من وسط الرأس الى الظهر ، يقول إن هذه الليلة على قصرها قد جمعت كل بواعث السرور والسعادة حتى إن الكواعب تمنين مدها وتطويلها بما يعز عليهن من غدائرهن .

(٩) النواظر : جمع ناظر وهو السواد الأصغر من العين ، ويريد بحبة الناظر إنسان العين ، يقول وقد تمنت الكواعب أيضا لو وصلن سواد هذه الليلة بحبات عيونهن . وفى هذا البيت والذى قبله أن هذه الليلة كانت فاتنة ساحرة حتى إن الكواعب تمنين تطويلها بما يحرصن عليه من غدائرهن التى هى مظهر جمالهن ، ثم بما يعز عليهن وعلى الناس جميعا من حبات العيون التى بها الابصار ، وفيهما حسن الملاءمة بين سواد الليلة وسواد الشعر وسواد العيون ، وفيهما أن هذه الليلة الممتعة السعيدة قد فتنت الكواعب ، فهى لغيرهن أعظم فتنة وأشد سحرا ، لأنهن أدق الناس حسا بمعانى الجمال .

نَشَرَ الجَــــلالُ لِوَاءَهُ فِيهَا وَصَفَّقَتِ البَشَائِرْ (١٠)
وَطَفَا السُّرُورُ عَلَى الوُجُو هِ وَدَبَّ ما بَيْنَ السَّرَائِرْ (١١)
وَأَتَتْ كَمَا يَأْتِي الشَّبَا بُ مُبَارَكَ النَّفَحَاتِ نَاضِر (١٢)
إِنْ غَابَ فِيهَا بَدْرُ ذِي الدُّ نيا فَبَــــدْرُ الدِينِ حاضِر (١٣)

***

أَمُحَمَّدٌ يَا زِينَــــةَ الْـ فِتْيَانِ يا نَسْلَ الأكابِر (١٤)
صاهَرْتَ أَكْرَمَ أُسْرَةٍ نِعْمَ المُصَاهَرُ والمُصاهِر (١٥)
وَظَفِرْتَ مِنْ نِعَمِ الحَيَا ةِ بِنِعْمَةٍ يَا خَيْرَ ظَافِر (١٦)

---

(١٠) الجلال : العظمة . واللواء : العلم . والبشائر : جمع بشارة وهى اسم من بشره تبشيراً أى سره وأفرحه ، يقول إن هذه الليلة قد جمعت بين مظاهر العظمــة والجلال والوقار وبواعث المرح والفرح والسرور .

(١١) طفا : علا . ودب : سار سيرا لينا . والسرائر : جمع سريرة وهى السر ، والمراد مواضع السرائر وهى القلوب ، يقول إن سرور هذه الليلة عظيم قد ملأ القلوب ،وبدا على الوجوه .

(١٢) النفحات : جمع نفحة وهى الرائحة الذكية . وناضر : جميل ، يشبه قدوم هــذه الليلة بقدوم الشباب حبيبا الى النفوس جميلا نضيرا ، كثير الخيرات والبركات ، طيب النفحات .

(١٣) يقول إن غاب فى هذه الليلة بدر هذه الدنيا فان الممدوح صاحب العرس وهو محمد أفندى بدر الدين حاضر يغنى عن البدر ويسد مسده ، بل إن « بدر الدين » يفوق بدر الدنيا ، فاضافة البدر للدنيا جعله مفضولا لبدر الدين ، كما يفضل الدين الدنيا ، وهذا من لطف المقابلة ، وفى هذا البيت اشارة الى أن ليلة العرس لم تكن من الليالى المقمرة .

(١٤) النسل : الولد . والأكابر : جمع الأكبر ، يقول ان ممدوحه زينة الشباب وسليل آباء أمجاد عظماء .

(١٥) المصاهرة : التزوج ، يقول انك تزوجت من خير الأسر وأشرفها وأكرمها ، ثم جمع فى المدح بين أهل الزوجة والزوج بقوله « نعم المصاهر والمصاهر » .

(١٦) الظفر : الفوز . وتنكير نعمة للتفخيم والتعظيم ، وفيها تورية لأن اسم العروس « نعمة » وفى قوله « ياخير ظافر » إشارة الى أن نعمته خير نعمة ، يقول إنك فزت من متع الدنيا ونعم الحياة بأفضل نعمة ، جعل فوزه خير الفوز وأكمله ، وزوجته خير النساء وأكملهن .

يا بْنَ الْأُلَى بَزّتْ فِعالُهُمُ الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِر (١٧)
يا بْنَ الْأُلَى كانَتْ لَهُمْ فى كُلِّ حادِثَةٍ مَآثِر (١٨)
كانَتْ رَشِيدُ بِجَدِّكَ الْأَعْلَى تَتِيهُ عَلَى الْحَوَاضِر (١٩)
قَدْ كانَ رِدْءًا لِلْعِبادِ وَكانَ مَوْئِلَ كُلِّ عاثِر (٢٠)
كَمْ رَدَّ غائِلَةَ الْمُحافِظِ وَالْمُحَصِّلِ والْمُبَاشِر (٢١)
عَصْرٌ بِجَدِّى ثُمَّ جَدِّكَ كانَ بِالْعَلْيَاءِ زَاهِر (٢٢)
سَهِرَا فَنَامَ الْبائِسُونَ مُحَصَّنِينَ مِنَ الْمَخاطِر (٢٣)

(١٧) بزت : غلبت وفاقت ، يقول يابن الذين فاقوا الأوائل والأواخر بكرم فعالهم وصالح أعمالهم .

(١٨) المآثر : جمع مأثرة بفتح الثاء وضمها وهى المكرمة لأنها تؤثر أى يذكرها قرن عن قرن ، يقول إنه كانت لآباء الممدوح فى الحوادث والنوازل كلها مكرمات وأياد على الناس لا تزال مذكورة مشكورة .

(١٩) تتيه : تتكبر وتفخر . والحواضر : جمع حاضرة وهى المدينة ، والحاضرة فى الأصل : ضد البادية ، يقول إن الجد الأعلى للممدوح كان سيد رشيد وعين أعيانها ، وكانت بفضله عامرة ناضرة تفوق المدن والحواضر ، وتفخر عليها بهذا السيد الكريم .

(٢٠) الردء : العون . والموئل : الملاذ والملجأ . والعاثر : اسم فاعل من عثر بمعنى زل وسقط يقول إن جدّ ممدوحه كان عونا للناس على شدائد الدهر ، وكان ملاذاً وموئلا لكل من عثر به الزمان ، وأصابته نوازل الحدثان .

(٢١) الغائلة : اسم فاعل من غاله من باب قال إذا أخذه من حيث لم يدر ، أى أهلكه وقتله على غِرّة كاغتاله ، والمراد بالغائلة الشر والعسف ، ويريد بالمحافظ والى المدينة وحاكمها ، وبالمحصّل جابى الضرائب ، والمباشر لقب بعض الرؤساء الجبارين فى ذلك العهد ، يقول إن جد الممدوح دفع عن الناس بجاهه وعظم مكانته بطش الحكام وعنت الجباة فى ذلك الزمان .

(٢٢) زاهر : مشرق مضىء ، يفخر الشاعر بأن ذلك العصر كان عالى القدر مشرقا مضيئا بجده وجدّ ممدوحه .

(٢٣) البائسون ، جمع بائس وهو من اشتدت حاجته ونزل به الضر . ومحصنين : محفوظين فى حصن حصين من المنعة والصيانة . والمخاطر : المهالك والأخطار ، يقول إن يقظتهما وحسن رعايتهما وفضلهما وكرمهما جعل البائسين وذوى الحاجات فى أمن وطمأنينة وعز ومنعة وسلامة من الأخطار والشدائد . يصفهما بالكرم وحماية الضعيف وشدة العطف على البائسين والمحتاجين .

وَتَقَاسَمَا فَضْـــلَ الْفَخَا رِ وَنَادَيَا هَلْ مِنْ مُفَاخِرِ (٢٤)
جَدِّى بِعِلْمٍ نَاصِـــعٍ يَهْدِى وَلَيْلُ الشَّكِّ عَاكِرْ (٢٥)
وَبِمِقْوَلٍ يَفْرِى الْحَـــدِيـ ـدَ وَيَصْرَعُ الْخَصْمَ الْمُكَابِرْ (٢٦)
فِى حِينِ جَـــدِّكَ بِالسَّمَا حَةِ يُخْجِلُ السُّحْبَ الْمَوَاطِرْ (٢٧)
دَانَ الزَّمَانُ لِطَوْلِهِ فَأَتَى إِلَيْـهِ وَهْوَ صَاغِرْ (٢٨)
سَلْ مَنْ رَأَوْهُ فَكُلُّهُمْ لِنَوَالِ بَدْرِ الدِّينِ ذَاكِرْ (٢٩)

---

(٢٤) الفخار : اسم من الفخر وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك . يقول إنهما اقتسما بينهما الفضل الذى يفتخر به ، ثم ناديا هل من مفاخر يفاخرنا فى المكارم والمناقب وشرف الأصل وكرم الفعال ؟ يريد أنهما انفردا بما يوجب الفخر من كريم الخلال وصالح الأعمال .

(٢٥) الناصع : الخالص من كل شىء ، ونصع لونه : اشتد بياضه وخلص ، والمراد بالناصع المشرق المضىء . وعاكر : اسم فاعل من عكر الشراب ونحوه ، والمراد أنه كثيف الظلام مختلطه ، يقول إن جده كان له الفخر بعلم غزير مشرق أخرج به الناس من ظلام الشك والحيرة إلى نور اليقين والهداية ، يشير إلى أنه كان عالما ينفع الناس بعلمه .

(٢٦) المقول : اللسان . ويفرى : مضارع فرى الشىء إذا قطعه لاصلاحه . ويصرع : يكبت ويفحم أى يسكت خصمه . والمكابر : المغالب والمعاند . يقول إن جده فضل الناس بلسان يقطع الحديد ويكبت الخصم المعاند ، يمدحه بأنه كان لسنا فصيحا قوى الحجة حسن القول جيد الكلام ، وصف جده فى هذا البيت والبيت الذى قبله بالعلم والفصاحة ، وسيصف جد الممدوح فى ثلاثة الأبيات الآتية بالسماحة والطوْل .

(٢٧) السماحة : الكرم والجود والعطاء . يقول : إن جد الممدوح كان سمحا جوادا معطاء يخجل بسماحته السحب المواطر أى يفوقها ويصغر شأنها .

(٢٨) دان : ذل وخضع . والطول : الفضل والقدرة والغنى والسعة . وصاغر : ذليل خاضع ، والمعنى أن الله تعالى أخضع له الأيام فلم تلقه إلا بما يحب ويهوى .

(٢٩) النوال : العطاء ، يستشهد الشاعر بمن رأوا جد الممدوح ، وحضروا أيامه وأفادوا من هباته وعطاياه ، فانهم جميعا يذكرون هذا النوال الجزل والكرم العظيم .

أَمَّا أَبُوكَ فَقَدْ سَعَى فِي إِثْرِهِ سَعْيَ الْمُثَابِرْ (٣٠)
خُلُقٌ كَنَوْرِ الرَّوْضِ بَا كَرَهُ الْحَيَا وَالرَّوْضُ عَاطِرْ (٣١)
وَعَزِيمَةٌ أَمْضَى مِنَ الْـ أَقْدَارِ فِي حَلَكِ الدَّيَاجِرْ (٣٢)
بَطْشٌ كَبَطْشِ اللَّيْثِ أَغْـ ضَبَهُ الطَّوَى وَاللَّيْثُ خَادِرْ (٣٣)
نَزَلَتْ مَحَبَّتُهُ الْقُلُو بَ وَأَقْسَمَتْ أَلَّا تُغَادِرْ (٣٤)
هُوَ خَيْرُ مَنْ هَزَّ الْيَرَا عَ وَهَزَّ أَعْوَادَ الْمَنَابِرْ (٣٥)

---

(٣٠) المثابرة على الأمر . المواظبة عليه ، يقول إن والد الممدوح قد سار على سنن أبيه من قبل ، وثابر على الاقتداء به واتصف بصفاته ، وبلغ فى المكرمات شأوه .

(٣١) النور: الزهر . والروض : جمع روضة وهى أرض ذات بقل وعشب وزهر . وباكره : أتاه بكرة ، والبكرة أول النهار . والحيـاة : المطر . وعاطر : اسم فاعل من عطر أى تطيب ، يقول إن أخلاق والد الممدوح كأزهار الرياض العطرة التى باكرها المطر .

(٣٢) العزيمة : الارادة القاطعة القوية ، وأمضى : أنفذ وأقطع . والأقدار : جمع قدر وهو ما يقدر على الانسان فى حياته . والحلك : شدة السواد . والدياجر : جمع ديجور وهو الظلام ، وخص إصابة الأقدار بالليل لأنها تفاجيء من تصيب ، ولأن الليل عادة زمن البطش والغيلة . يصفه بأنه ماضى العزم قوى الارادة بعيد الهمة .

(٣٣) البطش : الأخذ بالعنف . والليث : الأسـد . والطوى : الجوع الشديد . وخادر : مقيم فى خدره وهو عرينه وأجمته ، والمراد أنه ليث غاب مفترس لا سبيل الى استئناسه ، يقول إن بطش الممدوح وسطوته كسطوة ليث الغاب وقد أغضبه شدة الجوع ، يصفه بالبأس الشديد والقوة والشجاعة .

(٣٤) تغادر : تترك وتفارق ، يقول إن محبته استقرت فى قلوب الناس وأقسمت ألا تفارقها . وصفه فى البيت السابق بالقوة وشدة البأس ، وفى هذا البيت باللطف والرفق والاحسان الذى ملك به قلوب الناس ، وجمعهم على محبته .

(٣٥) اليراع . جمع يراعة وهى القصبة ، والمراد باليراع الأقلام التى تتخـذ من القصب عادة والأعواد : جمع عود وهو الخشب . يصفه بالبراعة فى الـكتابة والانشاء والخطابة .

فإذا انبرى للقول كا ... ن له من التوفيق ناصر (٣٦)
فتكاد تأكله النفو ... س هوى وتشربه الضمائر (٣٧)
أعلى إنك أنت أكـ ... ـرم نابه فينا وكابر (٣٨)
إن عد أبطال الرجا ... ل فأنت أولهم وآخر (٣٩)

---

(٣٦) انبرى : اعترض وتصدى ، يقول إذا تصدى للخطابة حالفه التوفيق والنصر ، وعظم تأثير قوله فى نفوس الناس ، وقد كان محامياً مشهوراً باللسن والتأثير وقوة الحجة .

(٣٧) الهوى : الحب ، يقول إن النـاس لفرط حبهم له وتأثرهم بقوله تكاد تأكله نفوسهم وتشربه ضمائرهم . يصف شدة إقبال الناس عليه ، وإعجابهم بكلامه ، وولوعهم بسحر بيانه ، ونفاذ أقواله إلى نفوسهم وضمائرهم .

(٣٨) نابه : مشهور . وكابر : شريف ماجد من كابرته فكبرته أكبره فأنا كابر أى غالبته وطاولته فى المجد والشرف فأنا غالب له .

(٣٩) الأبطال جمع بطل وهو الشجاع ، يقول إن عد أبطال الرجال فأنت أولهم وآخرهم أى إنك أفضل الأبطال السابقين وأن البطولة ختمت بك .

زيارة مَلك

زار المغفور له السلطان « حسين كامل » دار العلوم فى أول ولايته سنة ١٩١٥ فألقيت أمامه هذه الأبيات :

يا مالِكاً مَلَكَ الْقُلُوبَ وَلَمَّ أَشْتَاتَ الرَّعِيَّه (١)
لَكَ فِى الْعُلَا كَعْبٌ وَكَفٌّ فِى الْمَكَارِمِ حاتِمِيَّه (٢)
لَكَ سِيرَةٌ كَصَحِيفَةِ الْأَبْرَارِ طَاهِرَةٌ نَقِيَّه (٣)
لَكَ فِكْرَةٌ يَجْرِى الْهُدَى فِيهَا وَتَكْلَؤُهَا الرَّوِيَّه (٤)
كَالسَّهْمِ لا تَنْبُو إِذَا نَظَرَتْ ولا تُخْطِى الرَّمِيَّه (٥)

---

(١) أمر شت أى متفرق ، ولم أشتات الرعية : أصلحها وجمع ما تفرق من أمورها ، يمدحه بأنه ملك قلوب الناس بعدله وإحسانه ، وأصلح رعيته وجمع ما تفرق من أمورها .

(٢) المكارم : جمع مكرمة وهى اسم من الكرم . وحاتمية : نسبة الى حاتم الطائى أشهر أجواد العرب ، يقول إن له فى الرفعة والشرف منزلة بعيدة وفى المكرمات كفاً سخية ، يمدحه بتمكنه من العز والشرف والرفعة وبأنه سخى كريم قد بلغ غاية الجود .

(٣) الأبرار . جمع بر، وهو الخير الكثير البر ، يقول : إن سيرته نقية طاهرة كصحيفة الأخيار .

(٤) تكلؤها : تحفظها . والروية ، التدبر والتفكر فى الأمر ، يمدحه بأصالة الرأى وسداده وهدايته والتدبر والتفكر وحسن النظر فى الأمور .

(٥) السهم : واحد النبل وهو ما يرمى به الصائد ونحوه عن القوس ونحوها . وتنبو : تتباعد والرمية : فعيلة بمعنى مفعولة وهى ما يرمى من الحيوان وغيره ، يقول ان فكرته سديدة كالسهم الصائب لا تتجافى عن الصواب اذا نظرت فى أمر من الأمور ولا تخطىء القصد .

اَلْعِلْمُ طَابَ ثَوَاؤُهُ فِى ظِلِّ تِلْكَ الْأَرْيَحِيَّهْ(٦)
أَعْلَى أَبُوكَ بِنَاءَهُ وَعَلَيْكَ إِتْمَامُ الْبَقِيَّهْ(٧)
« دَارُ الْعُلُومِ » تَشَرَّفَتْ بِشُرُوقِ طَلْعَتِكَ السَّنِيَّهْ(٨)
فَلَوَ انَّهَا نَطَقَتْ لَكَا نَتْ تَمْلَأُ الدُّنْيَا تَحِيَّهْ(٩)
فَاهْنَأْ بِمَا أَوْلَى الْإِلٰهُ وَعِشْ تَعِشْ كُلُّ الْبَرِيَّهْ(١٠)

---

(٦) ثواؤه : إقامته ، مصدر ثوى بالمكان يثوى ثواء وثوياً . والأريحية : الارتياح للندى والخير المعروف ، والمعنى أن هذا المليك بارتياحه للخير قد شجع العلم وأظل برعايته معاهده .

(٧) يقول إن والد الممدوح وهو الخديو اسماعيل قد أعلى بناء العلم ورفع لواءه ، وعلى الممدوح أن يتم مابدأه أبوه ويبلغ بالعلم أبعد غاياته وأسمى درجاته، مدحه ومدح أباه بنشر العلم وإقامة صرحه .

(٨) الشروق : مصدر شرقت الشمس أى طلعت . والطلعة : الوجه . والسنية : ذات السناء وهو الرفعة والشرف ، يقول إن دار العلوم قد عدت شروق وجهك الكريم فى سمائها شرفا عظيما لها .

(٩) يقول لو أن مبانى هذه الدار استطاعت النطق لملأت الدنيا بتحيتك .

(١٠) أولاه الأمر : ولاه إياه . والبرية : الخلق ، يدعو بأن يهنأ بما ولاه الله تعالى من الملك والمجد ، وبأن يحيا حياة طيبة فان فى حياته حياة للناس أجمعين .

إلى روح داود بركات

جزع الشاعر أشد الجزع لموت صديقه الأستاذ داود بركات ، رئيس تحرير جريدة الأهرام فرثاه بهذه القصيدة سنة ١٩٣٣ :

خَلْتَنْتَ الدمْعَ يُسْعِدُ بالْعَـزاءِ ... فَهَلْ أَجْدَى بُكَاؤُكَ أَوْ بُكَائِي؟ (١)
وَقُلْتَ بِأَنَّةِ الْمَحْزُونِ أُشْفَى ... فَأَحْوَجَكَ الشِّفَاءُ إِلَى شِفاءِ (٢)
وَمَنْ يَغْسِـلْ بِأَدْمُعِهِ جَوَاهُ ... أَرَادَ الْبُرْءَ مِنْ دَاءٍ بِدَاءِ (٣)
بِنَفْسِي الرَاحِلِينَ مَضَوْا سِرَاعًا ... لِوِرْدِ الْمَوْتِ كَالْهِيمِ الظِمَاءِ (٤)
تَوَلَّى عَهْدُهُمْ وَبَقِيتُ وَحْدِي ... أُقَلِّبُ طَرْفَ عَيْنِي فِي السَمَاءِ (٥)

---

(١) يسعد : مضارع أسعده أى أعانه . والعزاء : الصبر . وأجدى : أغنى ونفع ، والاستفهام فى الشطر الثانى معناه النفى ، يقول مخاطباً من شاطره الحزن لقد ظننت أن الدمع والبكاء يعين المحزون على الصبر والسلوان ، وجاريتك فى هذا السبيل فما نفعك بكاؤك ولا نفعنى بكائى بل بقيت نار الحزن متأججة فى نفسينا .

(٢) أنة المحزون : أنينه وهو صوت توجعه ، يقول إنك زعمت أن أنين الحزن يشفيك فضاعف لواعج حزنك وأشعل نيران الأسى فى قلبك واحتجت الى الشفاء من هذا الأنين الذى ظننته فى بدء الأمر دواء شافياً .

(٣) الجوى : الحزن ، ومعنى هذا البيت قريب من معنى البيت السابق ، يقول ومن يحاول تخفيف حزنه ببكائه ودموعه كان كمن يطلب البرء من داء بداء آخر وذلك لأن البكاء يثير الأشجان ويضاعفها ، وهو فى ذاته داء يحتاج إلى دواء .

(٤) المراد بالورد هنا المورد وهو مأتى الماء وموضع وروده ، والهيم : الابل العطاش ، والظماء : العطاش أو الشديدة العطش . يقول أفدى بنفسى أولئك الراحلين الذين مضوا مسرعين إلى مورد الموت كالابل العطاش .

(٥) تولى : ذهب وأدبر . والعهد : الزمان . وطرف العين : نظرها . يقول لقد أدبر زمان هؤلاء الأحبة ، ومضى عهدهم بموتهم وبقيت بعدهم وحيداً حائراً حزيناً أقلب عينى فى السماء ، وتقليب العين فى السماء كناية عن الحيرة والحزن والهم ، والمعنى أنهم كانوا سبب سعادته وأنسه واطمئنان نفسه .

رَثَيْتُهُمْ فَأَدْمَى الْحُزْنُ قَلْبِي فَهَلْ نَدْبٌ يَخِفُّ إِلَى رِثَائِي؟ (٦)

وَكَمْ حَيٍّ يَعِيشُ بِنَفْسِ مَيْتٍ طَوَتْ آمَالَهَا طَيَّ الرِّدَاءِ (٧)

مَضَتْ بِهِمُ النَّجَائِبُ مُصْعِدَاتٍ وَلِلْبَاكِينَ رَنَّاتُ الْحُدَاءِ (٨)

تَجَلَّوْا فِي النِّجَادِ ضُحَى صَبَاحٍ وَغَابُوا فِي الوِهَادِ دُجَى مَسَاءِ (٩)

---

(٦) رثى الميت من بابى رمى وعدا : بكاه وعدد محاسنه ، وكذا إذا نظم فيه شعراً . وأدماه أسال منه الدم . والندب : الخفيف فى الحاجة ، والاستفهام فى الشطر الثانى معناه التمنى ، يقول إنه بكى أحباءه وعدد محاسنهم فاشتد حزنه عليهم حتى أدمى الحزن فؤاده وصار فى حاجة الى من يخف إلى رثائه ويرق له ويرفق بحاله .

(٧) الرداء : الثوب أو الملحفة ، يقول إن كثيراً من الأحياء يعيشون بنفوس أماتها الحزن وصرفها عن نعيم الدنيا وبهجتها فطوت آمالها فى الحياة كما يطوى الثوب ، أى لم تعد لها فى الحياة حاجة بعد موت أحبائها ، وهذا البيت تعليل أو تفسير للبيت الذى قبله ، ومعناه قريب من معنى البيتين الآتيين :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجاء

(٨) النجائب : عناق الابل وكرامها التى يسابق عليها ، ومفردها نجيب أو نجيبة ، ومصعدات : ماضيات من أصعد فى الأرض بمعنى مضى ، وفى الوادى بمعنى انحدر . والرنات جمع رنة وهى الصوت ، والحداء : سوق الابل والغناء لها ، يقول لقد ذهبت بهم ركائب الموت ماضيات فى سيرها مسرعات وللباكين حولها أصوات كأصوات الحداة ، وفى هذا البيت تصوير للجنائز وسيرها وبكاء الناس فى أثناء تشييعها .

(٩) تجلوا : تكشفوا وظهروا . والنجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض . والضحى : حين تشرق الشمس ويمتد النهار . والوهاد : جمع وهدة وهى الأرض المنخفضة . والدجى : جمع دجية وهى الظلمة ، يقول إنهم ظهروا فيما ارتفع من الأرض وقت الضحى ثم اختفوا فيما انخفض منها فى ظلمة الليل ، وفى هذا البيت تشبيه لحال الناس فى حياتهم وفى مماتهم بحال المسافرين فى الصحراء يظهرون أول النهار فى نجادها ، ويختفون آخره فى وهادها ، وفيه إشارة لطيفة إلى أن الحياة فى بهجتها وإشراقها تشبه إشراق الشمس فى النجاد ، والموت فى وحشته وظلمته يشبه ظلمة الليل فى الوهاد ، وفيه أن الناس يحيون على ظهر الأرض فاذا ماتوا استقروا فى باطنها ، وفيه أن الحياة الدنيا قصيرة الأمد سريعة الزوال لأنها لاتعدو أن تكون سفرة يبدأ بها الانسان أول النهار وينتهى منها آخره ، هذا إلى المقابلة بين تجلوا وغابوا ، والنجاد والوهاد ، والضحى والدُجى ، والصباح والمساء . وقد يفهم هذا البيت على نحو آخر وهو أن ركب الموتى فى سيره إلى الحياة الأخرى يظهر للعيون مدة قصيرة كما يظهر الضحى ثم يختفى فى باطن الأرض وفى ظلماتها التى تشبه ظلمة الليل .

وَقَفْتُ أُزَوِّدُ النَّظَرَاتِ مِنْهُمْ ... وَأُصْغِي لِلنَّوَادِبِ مِنْ وَرَائِي (١٠)

فَلَمْ أَرَ إِذْ نَظَرْتُ سِوَى جَلالٍ ... يَهُولُ وَمَا لَمَسْتُ سِوَى هَبَاءِ (١١)

وَنَادَيْتُ الصِّحَابَ فَبَحَّ صَوْتِي ... وَعَادَ إِلَيَّ مَكْدُوداً نِدَائِي (١٢)

تُفَرِّقُنَا الْحَيَاةُ فَإِنْ أَرَدْنَا ... لِقَاءً لَمْ نَجِدْ غَيْرَ الْفَنَاءِ (١٣)

طَرِيقٌ عُبِّدَتْ مِنْ قَبْلِ نُوحٍ ... وَلَمْ تُلْقَ التَّمَائِمُ عَنْ ذُكَاءِ (١٤)

بِهَا الْأَضْدَادُ تُجْمَعُ فِي صَعِيدٍ ... وَفِيهَا يَلْتَقِي دَانٍ بِنَاءِ (١٥)

إِذَا لَبِسَ الرَّبِيعَ شَبَابُ قَوْمٍ ... فَأَسْرَعُ مَا يُفَاجَأُ بِالشِّتَاءِ (١٦)

---

(١٠) زود المسافر : أعطاه الزاد وهو طعامه المتخذ لسفره ، وأصغى اليه : مال بسمعه نحوه . والنوادب : جمع نادبة اسم فاعل من ندب الميت أى بكاه وعدد محاسنه ، يقول وقفت أزود نفسى من أحبائى بالنظر اليهم بعد موتهم وأصغى للنادبات من ورائى يبكينهم ويعددن محاسنهم .

(١١) الجلال : العظمة . ويهول مضارع هاله الشىء أى أفزعه وأخافه . والهباء : الغبار وما يشبه الدخان ودقاق التراب ساطعة ومنثورة على وجه الأرض ، والشىء المنبث الذى يرى فى ضوء الشمس ، يقول إنه لما نظر اليهم بعد موتهم لم ينظر غير الجلال والعظمة التى يسدلها الموت على أجساد الموتى ، والتى تملأ نفوس الأحياء هيبة ورهبا ، ثم إنه لم يلمس منهم شيئا لأن الهباء لا يلمس ، وهذا كناية عن انتهاء الحياة وزوال مظاهرها .

(١٢) البحة : خشونة وغلظ فى الصوت . ومكدود : مجهود متعب ، يقول إنه لكثرة ندائه أصحابه بعد موتهم قد بح صوته ورجع نداؤه اليه وقد أصابه الكد والجهد والتعب ، والمعنى أن نداء الموتى والتحسر عليهم لا يجدى ولا يفيد ، فبين الحى والميت برزخ بعيد المدى .

(١٣) يقول إن الحياة تفرق بيننا فتجعل كلا منا مشغولا بنفسه لاهيا عن غيره ، أو أن الحياة تستلزم الموت حتما فهى من أسباب التفرقة بين المحبين فاذا أردنا لقاء لم نجد غير الهلاك . وفى البيتين الآتيين تعزيز وتوضيح لهذا المعنى .

(١٤) عبدت : ذللت ومهدت . والتمائم : جمع تميمة وهى عوذة أو خرزة تعلق على المولود ، وذكاء : الشمس ، يقول إن فناء الأحياء طريق معبدة مذللة من قبل نبى الله نوح عليه السلام ، ومذ كانت الشمس طفلة لم تطرح عنها التمائم ، والمعنى أن الموت قديم عرفه الأحياء مذ عرفوا الحياة .

(١٥) الأضداد : المختلفون . والصعيد : وجه الأرض ، والدانى : القريب . والنائى البعيد ، يقول ان الفناء يجمع الأضداد فى مكان واحد ، ويلتقى فى طريقه القريب والبعيد .

(١٦) كنى بالربيع عن جدة الحياة ونضرتها ، وكنى بالشتاء عن ذبولها وزوالها ، يقول إذا نعم شباب قوم بجدة الحياة ونضرتها فسرعان ما يفجأ بذبولها وزوالها .

وَكُلُّ نَضِيرَةٍ فَإِلَى ذُبُولٍ ... وَكُلُّ مُضِيئَةٍ فَإِلَى انْطِفَاءِ (١٧)
وَهَلْ تَهْوِى ثِمَارُ الرَّوْضِ إِلاَّ ... إِذَا أَدْرَكْنَ غَايَاتِ النَّمَاءِ (١٨)

* * *

أَيَا «دَاوُدُ» وَالذِّكْرَى بَقَاءٌ ... ظَفِرْتَ بِكُلِّ أَسْبَابِ الْبَقَاءِ (١٩)
نَعَاكَ لِيَ النُّعَاةُ فَقُلْتُ مَيْنٌ ... وَكَمْ يَأْسٍ تَشَبَّثَ بِالرَّجَاءِ (٢٠)
نُمَارِى كُلَّمَا فَدَحَتْ خُطُوبٌ ... فَتَرْتَاحُ النُّفُوسُ إِلَى الْمِرَاءِ (٢١)
مَلَكْتَ يَرَاعَةً وَمَلَكْتَ قَلْباً ... فَكَانَا سُلَّمَيْنِ إِلَى الْعَلاَءِ (٢٢)

---

(١٧) نضيرة . صفة من النضارة أو النضرة وهى الحسن والرونق . والذبول مصدر ذبل البقل من بابى نصر ودخل أى ذوى وذهبت نضرته .

(١٨) تهوى : تسقط ، والروض : جمع روضة وهى أرض ذات بقل وعشب . والنماء : النمو والنضج ، والاستفهام فى هذا البيت معناه النفى ، يقول إن ثمار الروض لا تسقط على الأرض إلا إذا أدركت ونضجت وبلغت نهاية النماء ، وكذلك الحى يموت عند ما يتم فيه نضج الحياة ، أورد الشاعر فى هذا البيت والأبيات قبله كثيراً من الحكم البالغة وفلسفة الحياة والموت ، ورثى أصدقاءه وأحباءه عامة ، وفى الأبيات الآتية يخص الشاعر بالرثاء صديقه «داود بركات» .

(١٩) الذكرى : اسم من ذكرته بلسانى وبقلبى ضد نسيته ، يقول إن الذكرى بقاء وخلود لصاحبها بعد موته ، وقد ظفر المرثى بكل أسباب البقاء أى بأوفى نصيب من الذكر الحسن والشرف والعلاء ، وترك من الآثار الطيبة ما لا يدركه النسيان .

(٢٠) نعاه من باب سعى أخبر بموته . والنعاة : جمع ناع وهو المخبر بالموت. والمين: الكذب واليأس : القنوط وقطع الأمل . وتشبث : تعلق ، يقول إنه لما نعى النعاة اليه المرثى كذبهم لأن وقع النبأ كان شديداً عليه ، ثم قال وكثيرا ما يتعلق الانسان بالرجاء ويعلل نفسه بالآمال فى حالات اليأس إذا كان الميئوس منه عزيزاً تحرص النفس على بقائه ، وفى البيت الآتى توضيح لهذا المعنى .

(٢١) ماراه يماريه مراء : جادله وطعن فى قوله تزييفا للقول . وفدحت، بهظت وثقلت واشتدت . والخطوب : جمع خطب وهو النازلة الشديدة من نوازل الدهر ، يقول إننا نفزع الى المراء والمجادلة كلما اشتدت الخطوب فترتاح نفوسنا الى المراء كأنما تجد فيه تخفيفا لوقع المصيبة أو هربا من مواجهتها .

(٢٢) اليراعة : القصبة ، والمراد بها القلم وهذا كناية عن أنه كاتب أديب بارع ، يقول إنك ارتقيت إلى مراتب الشرف والرفعة والعلاء فى سلمين : من كتابة رائعة فائقة وقلب ذكى جرىء .

شَبَاةٌ شَقَّهَا الْبَارِى فَشَقَّتْ طَرِيقاً لِلْمَجَادَةِ وَالسَّرَاءِ (٢٣)
إِذَا مَا أُشْرِعَتْ فِى الْخَطِّ مَالَتْ رِمَاحُ الْخَطِّ مَيْلَةَ الازْدِهَاءِ (٢٤)
وَإِنْ هِىَ جُرِّدَتْ لِمَضَاءِ عَزْمٍ تَوَارَى السَّيْفُ مِنْ هَوْلِ الْمَضَاءِ (٢٥)
وَإِنْ هِىَ لَامَسَتْ يَدَهُ أَضَاءَتْ فَهَلْ أَبْصَرْتَ فِعْلَ الْكَهْرَبَاءِ (٢٦)
كَأَنَّ لُعَابَهَا قِطَعُ اللَّيَالِى تَنَفَّسُ عَنْ تَبَاشِيرِ الضِّيَاءِ (٢٧)

---

(٢٣) الشباة : حد كل شىء والمراد بها هنا طرف القلم وسنه أى موضع البرى منه ، وسن القلم مشقوقة عادة . والبارىء ، الخالق عز وجل اسم فاعل من براه الله من باب عدا أو من برأه من باب قطع ، وقد تكون من البرىء مصدر برى القـلم من باب رمى ففى هذه الـكلمة تورية . والمجادة : الشرف والـكرم مصدر مجد ككرم . والسراء : المروءة والشرف ، يقول إن شباة قلمه قد شقتها يد الله تعـالى فشقت للمرثى طريقا إلى المجد والعز والشرف ، والمعنى أن الله تبارك وتعالى قد وهب له مقدرة على التحرير والـكتابة رفعته إلى مراتب المجد والشرف والسراء .

(٢٤) أشرعت : أميلت للـكتابة من أشرعت الرماح أى سددت عند إرادة الطعن . والخط الأولى معناها الـكتابة . والخط الثانية مرفأ للسفن بالبحرين على خليج فارس شرقى جزيرة العرب تنسب إليه الرماح لأنهـا تباع فيه . والازدهاء : التيه والفخر يقول إذا أميلت يراعة المرثى عند الـكتابة مالت الرماح الخطية ميل الفخر والاعجاب لأنهما من أصل واحد والمعنى أن لقلم المرثى بيانا بليغا تفخر به الرماح وتزهى .

(٢٥) تجريد السيف : إخراجه من غمده عند إرادة القتال . والمضاء : مصدر مضى فى الأمر يمضى مضاء أى نفذ . والعزم : الارادة القوية القاطعة ، والمراد بالعزم هنا ما عزم عليه . وتوارى استتر واختفى ، والهول : الفزع والخوف . يقول إذا جـرّد المرثى يراعته للـكتابة فيما أراده من الموضوعات استتر السيف واختفى من الفزع والمعنى أن يراعته أمضى من السيف حداً وأبلغ منه أثراً .

(٢٦) يقول اذا لامست يراعته يده أوضحت المبهم وأظهرت الخفى كنور الـكهرباء الساطع يبدد الظلام .

(٢٧) كنى بلعاب الشباة أو اليراعة عن المداد وهو الحبر الذى يكتب به .
والقطع : ظلمة آخر الليل . وتنفس أصلها تتنفس أى تتبلج وتشرق ، وتباشير الصباح : أوائله ، يقول كأن المداد السائل من اليراعة فى أثناء الـكتابة ظلمة آخر الليل تتبلج عن تباشير الصباح . وصف كتابته بالوضوح والبيان والاشراق كما تقدم فى البيت السابق .

كَأَنَّ النِّقْسَ فَوْقَ الطِّرْسِ غَيْثٌ ... أَعَارَ الْأَرْضَ ثَوْبًا مِنْ رُوَاءِ (٢٨)
بَيَانُكَ وَاضِحُ الْقَسِمَاتِ صَافٍ ... يَكَادُ يُشِعُّ مِنْ فَرْطِ الصَّفَاءِ (٢٩)
يَكَادُ يَسِيلُ فِي الْقِرْطَاسِ لُطْفًا ... فَتَحْبِسُهُ عَلَامَةُ الْانْتِهَاءِ (٣٠)
بَيَانٌ لَوْ صَدَعْتَ بِهِ اللَّيَالِي ... رَأَيْتَ الصُّبْحَ مِنْهَا فِي الْعِشَاءِ (٣١)
لَهُ نُورٌ يَكَادُ يَسِيرُ فِيهِ ... رَهِينُ الْمَحْبِسَيْنِ بِلَا عَنَاءِ (٣٢)
لَهُ النَّبَرَاتُ نَدْعُوهَا غِنَاءً ... فَتَأْبَى أَنْ تُعَدَّ مِنَ الْغِنَاءِ (٣٣)

---

(٢٨) النقس : المداد الذى يكتب به . والطرس : الصحيفة . والغيث : المطر . وأعار : أعطى على سبيل العارية وهى الثوب ونحوه يستعيره الانسان من غيره على أن يرده . والرواء : حسن المنظر ، يقول كأن المداد فوق صحيفة هذا الكاتب العبقرى مطر كسا الأرض ثوبا من الجمال والبهاء .

(٢٩) القسمات : المحاسن جمع قسمة بكسر السين وفتحها وهي الحسن أو الوجه أو ظاهر الخدين أو ما بين العينين أو أعلى الوجنة أو ما بين الوجنتين والأنف . ويشع : ينشر شعاعه من أشعة الشمس أى نشرت شعاعها . والفرط : اسم من الافراط وهو الزيادة ومجاوزة الحد ، يقول إن بيانه واضح المحاسن ظاهر الدلالة رائق صاف يكاد يضىء من شدة صفائه .

(٣٠) القرطاس مثلثة القاف : ورق الكتابة . يقول إن بيانه للطافته ورقته يكاد يسيل فى القرطاس فتحبسه علامة انتهاء الكلام وهى النقطة .

(٣١) صدعه كمنعه : شقه ، يقول إنك لو صدعت ببيان المرثى ظلمة الليل لبددها بحيث ترى الصبح المنبلج فى وقت العشاء ، وصف بيانه بالاشراق والوضوح وحل المشكلات وإظهار خفايا الأمور كما تقدم فى بعض الأبيات السابقة .

(٣٢) رهين المحبسين : هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى التنوخى الشاعر الفيلسوف الزاهد ، كف بصره وهو فى الثالثة من عمره فقضى أكثر حياته مقيما فى منزله ، وسمى نفسه رهين المحبسين : محبس العمى ومحبس المنزل ، يقول إن لبيانه نوراً يكاد يسير فيه الأعمى بلا نصب ولا تعب ، وخص بالذكر رهين المحبسين لأنه جمع الى ظلمة العمى ظلمة المحبس .

(٣٣) النبرات : جمع نبرة وهى أن يرفع المغنى صوته بعد خفض . وصف الشاعر فى الأبيات السابقة براعة المرثى وحسن بيانه ، وهو فى هذا البيت يصف منطقه وكلامه فيقول إنه عذب ساحر له فى الأسماع والنفوس تأثير الغناء ولهذا نسميه غناء ولكنه يابى أن يعد من الغناء لأنه أجل منه وقعا وأعظم أثراً .

سُلَافٌ تَنْهَلُ الْأَرْوَاحُ مِنْهُ وَتَحْمِلُهُ السُّقَاةُ بِلَا إِنَاءِ (٣٤)

وَرَوْضَاتٌ حَلَتْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَأَغْرَتْ بِالْأَزَاهِرِ كُلَّ رَائِي (٣٥)

طَلَبْنَ إِلَى الْغَمَامِ كِسَاءَ حُسْنٍ فَكَلَّفَ قَطْرَهُ وَشْيَ الْكِسَاءِ (٣٦)

تُرِيكَ عَجَائِبَ الْأَلْوَانِ شَتَّى كَمَا عَكَسَتْ أَشِعَّتَهَا الْمَرَائِي (٣٧)

أَوِ الْعَذْرَاءَ حِينَ رَأَتْ غَرِيبًا فَلَثَّمَتِ الْمَلَاحَةَ بِالْحَيَاءِ (٣٨)

* * *

---

(٣٤) السلاف : الخمر . والنهل : الشرب الأول وبابه طرب . والسقاة : جمع ساق اسم فاعل من سقاه الشراب ، يقول إن كلامه كالخمر تشرب منه الأرواح وتلتذ به النفوس ولـكنه يخالف الخمر فى أنه لا يحمل فى إناء .

(٣٥) الروضات : جمع روضة وهى أرض ذات عشب وزهر . وأغراه بالشىء : جعله مغرى به مولعا ، يقول إن عبارات المرثى تشبه الرياض الأنيقة تحلو فى كل عين وتفتن بجمال أزهارها كل من ينظر اليها .

(٣٦) طلبن أى الروضات . والغمام السحاب الواحـدة غمامة . والوشى : مصدر وشى الثوب من باب وعد أى رقه ونقشه ، شبه الشاعر فى البيت السابق عبارات المرثى بالروضات ثم استمر فى هذا التشبيه فقال : إن الروضات طلبن إلى السحاب كساء حسن وبهاء فكلف المطر أن يجمل كساء هذه الروضات بالنقش البديع والرسم البهيج .

(٣٧) شتى : متفرقة مختلفة . والمرائى : جمع مرآة ، يقول إن لهذه الرياض صورا شتى عجيبة وألوانا مختلفة من الزهر كأنها المرايا تعكس الأنوار وتفرق ما فيها من ألوان للطيف مختلفة الأنواع .

(٣٨) العذراء : البكر . ولثمت : غطت ، واللثام ما كان على الفم من النقاب ، ولثمت ولثمت والتثمت وتلثمت شدت اللثام . والملاحة : الحسن مصـدر ملح الشىء من باب ظرف . والحياء كالخجل وهو الانقباض والانزواء . شبه الشاعر هذه الروضات فى جمال مظهرها وتعاقب ألوانها بوجه العذراء رأت أجنبيا فتواردت الألوان على وجهها المليح من الحياء والخجل . وصف الشاعر فى هذا البيت والأبيات قبله بيان المرثى وأثنى على أدبه وأشاد بكتابته .

بَنِي لُبْنَانَ خَطْبُكُمْ جَلِيلٌ ‌‌ دَعُونا نَقْتَسِمْهُ عَلَى السَّوَاءِ (٣٩)
مَضَى شَيْخُ الصِّحَافَةِ أَرْيَحِيًّا ‌‌ مُبِيدَ الْوَفْرِ جَمَّاعَ الثَّنَاءِ (٤٠)
خِلَالٌ كُلُّهَا أَنْفَاسُ رَوْضٍ ‌‌ وَنَفْسٌ كُلُّها قَطَرَاتُ مَاءِ (٤١)
نُعَزِّي فِيهِ لُبْنَانًا وَنَبْكِي ‌‌ فَمَنْ أَوْلَى وَأَجْدَرُ بِالْعَزَاءِ؟ (٤٢)
مُصَابُكُمُ - وَقَدْ أَدْمَى - مُصَابِي ‌‌ وَرُزْءُ الْعَبْقَرِيَّةِ وَالذَّكَاءِ (٤٣)
لَهُ اهْتَزَّتْ بَوَاسِقُ نَخْلِ مِصْرٍ ‌‌ وَهَالَ الأَرْزَ إِرْجَافُ الْفَضَاءِ (٤٤)

---

(٣٩) لبنان جزء جبلي من بلاد الشام هو مولد المرثي ووطنه الأصلي . والخطب : النازلة الشديدة من نوازل الدهر. وجليل : عظيم ، يقول يا بني لبنان ان فقدانكم هذا الرجل الألمعي العظيم خطب فادح ومصاب جلل تنوءون بحمله فاتركونا نتقاسمه بيننا على السواء فهو مصابكم ومصابنا .

(٤٠) أريحي : واسع الخلق يرتاح للندى . ومبيد : مهلك مضيع . والوفر : المال الكثير. يقول لقد مضى شيخ الصحافة في حياته أريحيا كريم الخلق جوادا معطاء متلافا للمال جماعا لمدح الناس وثنائهم .

(٤١) الخلال : جمع خلة وهي الخصلة . والروض : جمع روضة وهي أرض ذات عشب وزهر وأنفاس الروض رياحه الطيبة الذكية ، جمع نفس وهو نسيم الهواء ، يقول إن خصال المرثي كأنفاس الرياض تحمل إلى الناس عبيرها ، وإن نفسه صافية نقية كقطرات الماء .

(٤٢) العزاء : الصبر ، عزى يعزى من باب تعب : صبر على ما نابه ، وعزيته تعزية فتعزى ، يقول إننا نعزي في الفقيد الكريم أهل لبنان ثم يخوننا العزاء فنبكي لفرط الجزع ولهذا لا يدري أينا أحق بالعزاء وأولى .

(٤٣) المصاب : مصدر ميمي من أصابه . وأدمى : أخرج الدم وأساله . والرزء : المصيبة. والعبقرية : الكمال والسيادة والنبوغ . يقول مخاطبا أهل لبنان إن مصابكم الذي جرح وأسال الدم مصابي وهو أيضا مصاب النبوغ والذكاء .

(٤٤) بواسق : جمع باسقة أي طويلة مرتفعة . وهال : أخاف وأفزع . والأرز شجر الصنوبر الذي يمتاز لبنان به كما تمتاز مصر بكثرة نخيلها . والارجاف مصدر أرجفت الأرض أي زلزلت كرجفت ، يقول إن هذا المصاب عظيم جسيم اضطربت له الأرض واهتزت من أجله نخل مصر الباسقات اهتزاز الخوف والهلع كما استولى على أرز لبنان الهول والفزع .

بَنِي الْقُطْرِ الشَّقِيقِ لَنَا صِلاَتٌ — كَرِيمَاتٌ عُقِدْنَ عَلَى الْوَفَاءِ (٤٥)

بَنُو أَعْمَامِنَا أَنْتُمْ وَفِيكُمْ — حِفَاظٌ لِلْمَوَدَّةِ وَالْإِخَاءِ (٤٦)

وَفِي الْفُصْحَى لَنَا نَسَبٌ كَرِيمٌ — كَقُرْصِ الشَّمْسِ شَمَّاخُ السَّنَاءِ (٤٧)

أَعَدْنَاهَا نِزَارِيَةً عَرُوبًا — لَهَا حُسْنُ الْتِفَاتٍ وَانْثِنَاءِ (٤٨)

إِذَا خَطَرَتْ بِنَادِي الْقَوْمِ حَلُّوا — مِنَ الْإِكْبَارِ مَعْقُودَ الْحُبَاءِ (٤٩)

تَجَاوَزْنَا بِهَا أَطْلاَلَ سُعْدَى — وَبَدَّلْنَا الْمَقَاصِرَ بِالْخِبَاءِ (٥٠)

---

(٤٥) الصلات : جمع صلة اسم من وصل الشيء بالشيء وصلا وصلة ، يقول إن بيننا وبين أبناء القطر الشقيق « لبنان » أواصر وصلات كريمات انعقدت على الوفاء .

(٤٦) حفاظ : محافظة وكلاهما مصدر حافظ على الشيء يحافظ حفاظاً ومحافظة أي صانه وحرسه وحرص عليه ، يقول أنتم بنو أعمامنا يجمعنا وإياكم الأصل العربي الكريم ، وفيكم محافظة على ما بيننا من مودة ومحبة وإخاء .

(٤٧) الفصحى : اللغة العربية أنثى الأفصح وهو اسم تفضيل من الفصاحة أي البيان سميت بالفصحى لأنها أفصح اللغات . والنسب : القرابة . وشماخ : عظيم الارتفاع وهي صيغة مبالغة من شمخ الجبل ونحوه أي علا وارتفع . والسناء : الرفعة ، يقول إن لنا في اللغة العربية فصحى اللغات رحماً واشجة وآصرة وثيقة ونسباً طيباً كريماً كقرص الشمس شاهق السناء عظيم العلاء .

(٤٨) نزارية : بتخفيف ياء النسب لضرورة الشعر نسبة الى نزار بن معد بن عدنان جد العرب المستعربة وجد القبائل العدنانية وفيها كان الشعر والفصاحة . والعروب : المرأة الضحاكة المتحببة إلى زوجها . يقول وقد أعدنا اللغة العربية نزارية فصيحة كأصلها خالصة من شوائب العجمة ، تتيه بحسن الجمال وجمال الشباب .

(٤٩) خطرت : اهتزت في مشيها وتبخترت . والاكبار : الاعظام والاجلال . واحتبى بالثوب اشتمل ، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها والاسم الحبوة ويضم ، والحبية بالكسر والحباء بالكسر والضم ، وحل معقود الحباء كناية عن القيام ، يقول اذا مشت اللغة العربية متبخترة في نادي القوم ومجتمعهم مهتزة اهتزاز العجب والفخر قاموا لها إجلالا وتعظيما ، والمعنى أنها صارت عزيزة الجانب رفيعة القدر .

(٥٠) تجاوز الشيء الى غيره وجاوزه وجازه : تعداه ، والأطلال : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار . وسعدى : علم على بعض النساء اللائي تغزل بهن بعض شعراء الجاهلية ووقفوا بآثارهن وبكوا أطلالهن . والمقاصر : جمع مقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة ، والخباء : بيت صغير يكون من وبر أو صوف ويرفع على عمودين أو ثلاثة ، يقول إننا جعلنا اللغة العربية مسايرة لعصرنا موسومة بطابعه ، فتركنا ما كان يلائم البيئة البدوية من ذكر الديار والوقوف بالأطلال ووصف الأخبية واستبدلنا بكل هذا ما يتطلبه زماننا .

وَجِئْنَا بِالْعُجَابِ يُخَالُ سِحْراً ‏ ‏ ‏ وَكُلُّ السِّحْرِ مِنْ أَلِفٍ وَبَاءِ (٥١)
وَكَانَتْ قَبْلَ نَهْضَتِنَا نُحَاساً ‏ ‏ ‏ وَكُنَّا سَادَةً فِي الْكِيمِيَاءِ (٥٢)

* * *

قَضَى «دَاوُدُ» فَالْأَقْلَامُ حَسْرَى ‏ ‏ ‏ نَوَاكِسُ خَاشِعَاتٌ لِلْقَضَاءِ (٥٣)
هِيَ الْأَيَّامُ تَهْدِمُ مَا بَنَتْهُ ‏ ‏ ‏ فَمَاذَا يَبْتَغِينَ مِنَ الْبِنَاءِ ؟ (٥٤)
حَيَاةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا هَبَاءٌ ‏ ‏ ‏ وَآمَالُ الْمُؤَمِّلِ مِنْ هَوَاءِ (٥٥)
وَمَا لِلْجَازِعِينَ سِوَى اصْطِبَارٍ ‏ ‏ ‏ وَمَا لِلسَّاخِطِينَ سِوَى الرِّضَاءِ (٥٦)

---

(٥١) العجاب : الأمر الذى يتعجب منه . ويخال : يظن ، والمراد بالسحر هنا الكلام البليغ ، قال عليه الصلاة والسلام : « إن من البيان لسحراً » أى إن بعض البيان سحر لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه فيستميل القلوب كما تستمال بالسحر .

يقول : وقد جئنا بالبيان الذى يدعو إلى العجب ويظنه القارىء أو السامع سحراً لشدة تأثيره فى النفس ، ثم قال كل هذا السحر من الحروف العربية التى أشار اليها بالألف والباء أى إن اللغة العربية فيها من الجاذبية والجمال ما يشبه السحر ، فيستطيع من حذقها أن يؤلف من حروفها تراكيب وعبارات تأسر العقول وتسحر الألباب .

(٥٢) يقول : إن اللغة العربية كانت قبل نهضتنا الحاضرة فى قيمة النحاس لكثرة ما اعتورها من عوامل الضعف والتأخر ، وكنا نحن سادة فائقين فى علم الكيمياء فجعلنا منها معدناً غالياً ثميناً . يشير بذلك إلى ما كان يعتقده المتقدمون من إمكانهم تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب بالكيمياء ، والمعنى أن اللغة العربية صارت بفضل نهضتنا رفيعة القدر عظيمة الشأن .

(٥٣) قضى : مات . وحسرى : جمع حسير صفة من حسر كفرح بمعنى أعياء أو من الحسرة وهى أشد التلهف على الشيء الفائت . ونواكس : جمع ناكس وهو الخافض رأسه . والخشوع : الخضوع ، يقول إن الأقلام بعد موت «داود» متحسرة متلهفة أو عاجزة كليلة ناكسة خاشعة لقضاء الله تعالى .

(٥٤) يبتغين : يطلبن ، يقول إن الأيام تهدم بنفسها ماتبنيه ؛ فماذا تطلب من البناء إذا كانت تهدم ما تبنيه ، والشاعر إنما يريد إظهار العجب من أن الله تعالى يداول الأيام بين الناس ويظهر فيها آياته البالغة من الحياة والموت ، والناظر فى هذه الحالة يخيل إليه أن الأيام هى التى تحيي الناس ثم تميتهم ، ومطالب الأيام وأغراضها ومقاصدها من كل هذا غير ظاهرة لنا إذ لو أنها أرادت البناء لأبقت ما بنت ، ولو أنها أرادت الهدم ما كان هناك داع لتجديد البناء كل يوم .

(٥٥) الهباء : الشيء المنبث الذى يرى فى ضوء الشمس ، يقول إن حياة الانسان فى هذه الدنيا تافهة كالهباء وآمال ذوى الآمال فيها كالهواء ، يشير بذلك إلى هوان أمر الدنيا وصغر شأنها وإلى أنها مضيعة للآمال .

(٥٦) الجزع : ضد الصبر ، يقول إنه ليس أمام الجزع الساخط فى هذه الحياة من سبيل سوى الصبر على البلاء والرضا بالقضاء .

الفخـــر

من قصيدة (سنة ١٩٠٠ م)

طَرِيقُ العُـلَا وَعْرٌ مَطِيَّتُهُ الجِدُّ   وَهَلْ يَعْتَلِي مِنْ غَيْرِهِ البَطَلُ الفَرْدُ؟ (١)
إِذَا وَهَنَتْ فِيهِ القِلَاصُ وَأَدْبَرَتْ   فَذَاكَ شَدِيدُ الحَوْلِ مُحْتَمِلٌ جَلْدُ (٢)
يَخُبُّ فَلَا الأَخْطَارُ تَلْوِي زِمَامَهُ   وَلَا عَنْ بَعِيدِ القَصْدِ يُقْعِدُهُ الجَهْدُ (٣)

*
* *

سَئِمْتُ حَيَاتِي بَيْنَ قَوْمٍ فَضَائِلِي   لَدَيْهِمْ يُغَطِّيهَا التَّدَابُرُ وَالحِقْدُ (٤)

(١) الوعر : الصعب . والمطيـة : ما يركب من الدواب ونحوها . والجـد : الاجتهاد . والبطل : الشجاع ، والفرد : الفذ المنفرد بالبطولة ، والاستفهام فى الشطر الثانى معناه النفى ، يقول: إن الطريق الموصـل إلى العلا والرفعة صعب شاق لا يمتطى فيه المرء غير الاجتهاد والدأب ، ولا يعتلى البطل المنفرد بالشجاعة من غير هـذا الطريق ، والمعنى أن الوصول إلى العلا يتطلب الاجتهاد والشجاعة الفائقة الممتازة والقدرة على احتمال المشاق . وفى هذا البيت والأبيات بعده إشارة إلى أن الشاعر إنما وصل الى الرفعة والنبوغ بهذه الصفات وأشباهها .

(٢) وهنت : ضعفت . والقلاص جمع جمع لقلوص وهى الناقة الشابة القوية على السير . ودبرت الدابة وأدبرت : أصابها الدبر وهو تقرح أرجلها من طول السير ووعورة الطريق . والحول : القوة . وجلد : صلب شديد قوى صبور ، يقول : إن النوق القوية الشابة يصيبها الدبر فى هـذا الطريق الوعر ، أما الجد الذى سبق تشبيهه بالمطية فانه شديد القوة محتمل للمشاق صلب صبور .

(٣) يخب : يسرع فى سيره ، والخبب ضرب من العـدو . والأخطار : جمع خطر وهو الاشراف على الهـلاك . وتلوى : تثنى وتميل . والزمام : المقود وهو الحبل الذى يقاد به البعير ونحوه ، ولى الزمام كناية عن ثنى السائر وصرفه عن غايته . والقصد : المقصد والمطلب. والجهد : المشقة ، يقول : إن الجد وهو خير المطايا يسرع فى سيره فلا تقوى على صرفه الأهوال ، ولا تقف فى سبيله المخاوف ، ولا تقعده المشقات عن بلوغ مقصده البعيد .

(٤) التدابر : التقاطع . والحقد : الضغن ، والانطواء على العداوة والبغضاء ، يقول : إننى مللت الحياة بين قوم يكتمون فضائلى بتقاطعهم وضغنهم وانطواء نفوسهم على البغضاء والعداوة .

إِذَا مَا بَدَتْ تَرْنُو إِلَيْهِمْ فَضِيلَةٌ تَصَدَّى لَهَا نَذْلٌ وَكَرَّ لَهَا وَغْدُ (٥)
إِذَا كَانَ عَيْبِي بَيْنَهُمْ أَنَّنِي فَتًى صَغِيرٌ وَشَعْرِي بِالشَّبِيبَةِ مُسْوَدُّ (٦)
فَمَهْلًا أَنَا النَّجْمُ الَّذِي يُبْصِرُونَهُ صَغِيرًا وَيَخْفَى قَدْرُهُ عَنْهُمُ الْبُعْدُ (٧)
إِذَا صَالَ عَزْمِي فَهُوَ سَيْفٌ مُهَنَّدٌ لَهُ الْحِلْمُ وَالْإِغْضَاءُ مِنْ خُلُقٍ غِمْدُ (٨)
تَمُدُّ الْمَعَالِي نَحْوَ مَجْدِي رِقَابَهَا وَجُذَّتْ إِذَا كَانَتْ لِغَيْرِيَ تَمْتَدُّ (٩)
سَتَنْدُبُنِي الْفُصْحَى إِذَا مِتُّ قَبْلَهَا وَمَاتَ الَّذِي فِي النَّاسِ لَيْسَ لَهُ نِدُّ (١٠)

---

(٥) بدت : ظهرت . وترنو : تنظر من الرنو وهو إدامة النظر بسكون الطرف . وتصدى : تعرض . والنذل : الخسيس السافل . وكر لها : حمل عليها ، والمراد غمطها وصغر شأنها . والوغد: الدنىء ، يقول : اذا ما ظهرت لهؤلاء الحاقدين إحدى فضائلى تعرض لها منهم رذل خسيس وغمطها دنىء لئيم ، أشار بهذا البيت والذى قبله إلى دأب الحاسدين وعادتهم فى كل زمان .

(٦) اسوداد الشعر بالشبيبة كناية عن الحداثة وصغر السن .

(٧) قدره : عظمه وجلاله ، يقول : إذا كان عيبى لدى هؤلاء الحاسدين إنما هو حداثتى وصغر سنى فليتمهلوا ويتئدوا فانى كالنجم الذى يرونه صغيرا وهو عظيم ، وانما يخفى عظمه عنهم تناهيه فى البعد . زعم حساده أن حداثته عيب ونقص فرتب على هذا الزعم فخرا بنفسه مقبولا وهجواً لحساده لاذعا إذ شبه نفسه بالنجم فى رفعة الشأن وعلو القدر وبعد المكانة .

(٨) صال : وثب وسطا . والعزم : الارادة القوية القاطعة . والسيف المهند : المطبوع من حديد الهند ، أو هو المشحوذ القاطع . والحلم : الاناة والوقار . والاغضاء : إدناء الجفون وسد الطرف والسكوت على الشيء ، يقول : إن عزمه قوى وبأسه شديد إذا صال كان سيفا مهنداً ، ولكن يحجزه عن الانتقام حلم وتسامح فهو يعفو عند القدرة .

(٩) المجد : العز والشرف . وجذت : قطعت ، يقول : تمد المعالى رقابها نحو عزى وشرفى وقطعت هذه الرقاب إذا امتدت لغيرى ، جعل المعالى تشرئب اليه ثم دعا عليها بقطع أعناقها إذا هى امتدت لغيره ، والمراد أنه فريد فى العلا وأنه وصل إلى ما لا يصل اليه سواه .

(١٠) ندب الميت : بكى عليه وعدد محاسنه ، والمراد بالفصحى اللغة العربية . والند : المثل والنظير ، يقول : ستبكى على اللغة العربية وتعدد محاسنى إذا مت ، وإن الشخص المنقطع النظير إذا مات شعر الناس بموته أى أحسوا فدح الخطب وعظم المصيبة ، كأنه يتكهن بما سيسديه إلى اللغة العربية من أياد ، وما سيضيفه اليها من ثروة .

إِذَا قَلَّ مالِي فَالْقَنَاعَةُ ثَرْوَتِي وَما كُثْرُ قَوْمٍ ماوَرَى لَهُمُ زَنْدُ؟(١١)

وَرُبَّ غَنِيٍّ فِي احْتِيَاجٍ إِلَى يَدٍ تَرُوحُ بِمَا يَحْوِى مِنَ الْمَالِ أَوتَغْدُو(١٢)

أَرَى الْمَالَ مِثْلَ الْمَاءِ يَخْبُثُ رَاكِداً

وَيُزْكِيهِ الاسْتِعْمَالُ وَالْأَخْذُ وَالرَّدُّ(١٣)

وَكَيْفَ يُفِيدُ الْمَالُ وَهْوَ بِحِرْزِهِ يُحِيطُ بِهِ سُورٌ وَيَحْجُزُهُ حَدٌّ؟(١٤)

وَهَلْ قَطَعَ الصَمْصَامُ فِي جَوْفِ غِمْدِهِ

وَهَلْ طَابَ نَشْراً قَبْلَ إِحْرَاقِهِ النَّدُّ؟(١٥)

---

(١١) الكثر : المال الكثير . وورى الزند يرى وريا : خرجت ناره . والزند : العود الذى تقدح به النار ، « وما ورى لهم زند » كناية عن بخلهم وقلة نفعهم ، يقول : إذا كان مالى قليلا فان لى من قناعتى ورضاى ثروة وغنى ، وليس للمال الكثير قيمة إذا كان لقوم بخلاء لا خير فيهم ، فالاستفهام فى الشطر الثانى للانكار .

(١٢) الغدو فى الأصل : الذهاب والانطلاق وقت الغدوة فى أول النهار ، والرواح ضد الغدو وهو الرجوع فى آخر النهار ، والمراد بالغدو والرواح هنا السعى فى تثمير المال والنفع والانتفاع به ، يشير بذلك الى أن بعض الأغنياء يتخذون المال كنزاً مدفوناً فأيديهم مغلولة عن إنفاقه فى وجوه البر والاحسان ومواهبهم قاصرة عن تثميره وإصلاحه ، وهو بذلك يفضل عليهم من قل ماله وعظمت مواهبه وتحلى بالقناعة والرضا .

(١٣) ركد الماء : سكن ، وبابه دخل . ويزكيه : يكثره وينميه ويطهره ، يقول : إن المال كالماء يخبث إذا ركد وسكن ، ويطيب وينمو إذا كثر فيه الأخذ والرد والاستعمال . والمعنى أنه لا بد لاصلاح المال ونمائه من حركة جارية مستمرة .

(١٤) الحرز : المكان الذى يحفظ فيه الشىء . ويحجزه : يفصله ويمنعه . يستفهم متعجبا منكراً أن تكون للمال فائدة وهو محفوظ بحرزه تحيط به الأسوار وتمنعه الحدود . وفى هذا البيت والذى بعده تقرير وتوضيح لمعنى البيت السابق .

(١٥) الصمصام : السيف الصارم الذى لا ينثنى . والنشر : الرائحة الطيبة . والند : نوع من الطيب ، أو هو عود يتبخر به ، والمعنى أن السيف الصارم لا يقطع وهو فى غمده ، وكذلك الند لا تظهر رائحته الطيبة إلا إذا أحرق .

دارُ العُلوم

احتفل كبار خريجي دار العلوم في شهر أغسطس سنة ١٩٢٧ بانقضاء خمسين عاما منذ إنشائها . وقد حضر هذا الحفل الجامع علية رجال مصر ، وخيرة علمائها وأدبائها . وأنشد الشاعر هذه القصيدة في هذا المهرجان :

يا خليليَّ خلِّياني وَمابِي ... أَوْ أَعِيدا إِلَيَّ عَهْدَ الشَّبابِ (١)
حُلُمٌ قد مَضَى ، وَأَيَّامُ أُنْسٍ ... ذَهبتْ غيرَ مُزْمِعاتِ الإِيابِ (٢)
وَأَزَاهِيرُ كُنَّ تَاجَ عَرُوسٍ ... عُفِّرَتْ بعدَ لَيْلَةٍ في التُّرابِ (٣)
وبِساطٌ للشَّارِبينَ يُصَلِّى ... فيه إِبْرِيقُهم بلا مِحْرابِ (٤)
في حَديثٍ أَحْلَى مِن الأَمَلِ الحُلْوِ وَأَصْفَى دِيباجَةً مِن شَرَابِ (٥)

---

(١) خلياني ومابي : دعاني أعاني ما أنا فيه من غصص المشيب . يخاطب خليليه على نحو ماجرى عليه الشعراء من فرض خليل أو عاذل يعقدون بينه وبين أنفسهم حواراً يقدمونه بين يدي أغراضهم ، وقد يعدل الشعراء عن مخاطبة المفرد إلى الاثنين كما هنا أو إلى مخاطبة الجماعة . يقول : دعاني وهمي من المشيب وحسرتي على الشباب ، وإلا فأسعفاني برجع الشباب إليّ ليزول همي ويصفو عيشي .

(٢) حلم : يشبه الشباب في قصر أيامه وسرعة زوالها بالحلم اللذيذ يمضي مرغوباً فيه ، متحسرا على فواته . ويقال أزمع فلان الأمر وعليه : إذا أجمع على فعله . والإياب : الرجوع .

(٣) الأزاهير : جمع الأزهار . وعفرت في التراب : دست فيه . جعل أيام الشباب في نضرتها وازدهارها كأزهار في تاج عروس لم تلبث أن تنزع منه بعد انقضاء ليلة العرس ، ويقذف بها في التراب . وخص أزهار العروس لأنها تختار من أزهى الأزهار ، وأجملها شكلا ومنظرا .

(٤) يريد بصلاة الابريق: ميله في أيدي الشاربين ليصبوا منه الخمر ثم اعتداله ، تشبيها بركوع المصلي واستوائه . والمحراب : مكان الامام في المسجد . يشبه في هذا البيت أيام الشباب وما حفلت به ببساط ضم فوقه ندماء على الخمر فهم بها نشوى لاهون .

(٥) في حديث، أي الحديث الذي يدور بين هؤلاء الشاربين. وديباجة الشيء : رواؤه ومظهره . جعل حديثهم في لذته يفوق لذة الأمل الحلو ، وفي بعده عما يكدره ويشوبه أكثر صفاء من الشراب .

كلُّ فَصْلٍ كأنَّه صَفْحَةُ الرَّوْ ض وعِنْدَ العُقارِ فَصْلُ الخِطابِ (٦)

ومُجُونٍ يَحُوطُه الأدبُ الجَمْـ ـمُ فما رَاعَه اللِّسانُ بِعَابِ (٧)

يَتَغَنَّوْنَ بالنُّواسِيِّ حِيناً وبِشِعْرِ الفَتَى أَبِي الخَطَّابِ (٨)

كُلَّما هَزَّتِ المُدامُ يَدَيْهِمْ قَهْقَهَتْ ثُلَّةٌ مِنَ الأكْوابِ (٩)

صاحَ فيهم دِيكُ الصَّباحِ فطارُوا كلُّ جَمْعٍ لفُرْقَةٍ واغْتِرابِ ! (١٠)

***

يا شَباباً أقام أَقْصَرَ مِنْ حَسْـ ـوَةِ طَيْرٍ عَلَى وَحًى وَارْتِيابِ (١١)

---

(٦) الفصل : القطعة من الحديث . وصفحة الروض : ما بدا لك منه موشى بالزهر والنور . والعقار : الخمر . وفصل الخطاب : الكلام يسمو فلا يدرك له شأو ولا مدى . جعل ما يصدر عن الندماء من طريف الحديث ومليحه ، كالروض فى جماله ، وأنهم لأثر الخمر فيهم يأتون من طريف الملح بما يعز على غيرهم .

(٧) المجون : الحديث يخرج عن الجد إلى الهزل . ويحوطه : يحيط به ويحفظه . والجم : الكثير . وراعه : أفزعه . والعاب : العيب . جعل العاب فى قبحه ودمامته مما يخيف الأدب ويزعجه . يقول : إن مجونهم برىء من زلات الألسن وسقطاتها .

(٨) النواسى : هو أبو نواس الحسن بن هانىء الشاعر المتفنن الجاد الماجن ولد بقرية من كور خوزستان سنة ١٤٥ هـ . وتوفى ببغداد سنة ١٩٩ هـ . وأبو الخطاب : هو عمر بن عبد الله ابن أبى ربيعة القرشى ، أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل وأوصف الشعراء لأحوال النساء ، ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب ومات محترقا فى سفينة سنة ٩٣ هـ . وخص النواسي وأبا الخطاب لما عرف عن الأول من مجونه ووصفه للخمر ، وعن الثانى من غزله وتشبيبه . وكلا النوعين من الشعر مما يلائم مجلس الشراب وينسجم معه .

(٩) المدام : الخمر . والقهقهة : ارتفاع الصوت بالضحك . والثلة : الجماعة . والأكواب : جمع كوب وهو معروف . يصف ارتفاع أيديهم بالكؤوس ، وصك بعضها ببعض تحية وإيناسا . وجعل أصوات الكؤوس قهقهة لارتفاعها ، وأنها تعبر عن البشر والسرور .

(١٠) ديك الصباح : يريد بشير الصبح . ولما كانت الديكة ترتفع أصواتها بطلوع الصباح جعل زقاءها دليلا عليه . وطاروا : خفوا وأسرعوا .

(١١) حسوة الطير : المرة من شربه ، ولا تكون إلا بمقدار ما يضع منقاره فى الماء ثم يرفعه فى عجلة وخوف شأن الذى يشغله ما يريبه ، فهو يخاف أن يؤتى من مأمنه . يشبه أيام الشباب بها فى قصرها وذهابها على عجلة . والوحى : العجلة والسرعة . والارتياب : الشك .

لَكَ عُمْرُ النَّدَى يَطِيرُ مَعَ الشَّمْـــسِ وَعُمْرُ الْبُرُوقِ بَيْنَ السَّحَابِ (١٢)

كُنْتَ فِينَا كَمَا لَمَحْنَا حَبَابًا فَنَظَرْنَا فَلَمْ نَجِدْ مِنْ حَبَابِ (١٣)

وَعَرَفْنَاكَ مُذْ ذَهَبْتَ كَمَا يُعْـــرَفُ فَضْلُ النُّبُوغِ بعدَ الذَّهَابِ (١٤)

مُذْ خَلَعْنَا ثِيابَكَ القُشْبَ لَم نَنْـــعَمْ بِشَيْءٍ مِن مُنْفِسَاتِ الثِّيَابِ (١٥)

وَرَأَيْنَا فِى لَوْنِكَ الفَاحِمِ اللمَّـاحِ هُزْوًا بِلَوْنِ كُلِّ خِضَابِ (١٦)

أَيْنَ لَوْنُ الْحَيَاةِ والقَهْرِ والقُـــوَّةِ مِنْ لَوْنِ نَاصِلِ الأَعْشَابِ؟ (١٧)

* * *

يا سَوَادَ العُيُونِ ! يا حَبَّةَ القَلْبِ ! وَيا خَالَ كُلِّ خَوْدٍ كَعَابِ ! (١٨)

---

(١٢) الندى : قطرات الماء التى تتكون على السطوح الباردة فى أول الصباح ثم تحول بخاراً مع مطلع الشمس . جعل عمر الشباب كعمر الندى والبرق قصراً وسرعة زوال .

(١٣) الحباب : الفقاقيع تعلو سطح الماء كأنها القوارير ، وسرعان ما تنفجر بعد تكونها . جعل الشباب كالحباب لا يبدو حتى يغيب .

(١٤) يخاطب الشباب ويقول : كنت كالنبوغ كلا كما لا يعرف فضله إلا بعد ذهابه . وكم من نابه نابغ قضى أيامه مردود القول مكذبا فيما يدعى حتى إذا ما ولى عرف قدره . وقدر الناس فضله .

(١٥) القشب : الجديدة من الثياب ؛ الواحد : قشيب . ومنفسات الثياب : النفيس المرغوب فيه منها . يشبه أيام الشباب فى جدتها ورونقها وبهائها بها . يندب فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده نعيما وحياة وقوة فقدها بفقد الشباب .

(١٦) الفاحم : الشديد السواد . واللماح : البراق اللامع . ويريد به لون الشعر فى اكتمال الشباب وقوته . وهزوا : سخرية وازدراء . والخضاب : ما يخضب به ، أى إن لونك دونه لون كل خضاب ، فهو فى حسنه وجماله يزرى بكل لون سواه .

(١٧) القهر : الغلبة والاستطالة . وناصل الأعشاب : الذابل الذى ذهب لونه . يقول : شتان بين لون الشباب الطبيعى ولون الخضاب المتخذ من الأعشاب .

(١٨) سواد العيون : أعز شىء فيها . وحبة القلب : سويداؤه . والخال : الشامة السوداء فى الخدّ . والخود : الشابة الحسنة الخلق الناعمة . والكعاب : الناهدة الثديين . جعل الشباب — الذى كنى عنه بالسواد — عزيزا كسواد العيون وغاليا كحبات القلوب . وكالخال يزيد خد الفتاة الناهد حسنا وجمالا .

سَرَقَ اللَّيْلُ مِنْك لَوْنًا فَأَمْسَى مَسْرَحَ اللَّهْوِ مَوْطِنَ الإِطْرَابِ (١٩)
وَرَأَى فِيكَ أَحْمَدٌ لَوْنَ كَافُو رِ فَغَنَّى خَوَالِدَ الآدَابِ (٢٠)
بَسْمَةٌ لِلزَّمَانِ أَنْتَ ، تَلَتْهَا كَشْرَةٌ لِلزَّمَانِ عَنْ أَنْيَابِ (٢١)
كُلَّمَا رُمْتُ خَدْعَ نَفْسِي بِنَفْسِي كَشَفَتْ لِي المِرْآةُ وَجْهَ الصَّوَابِ (٢٢)
رُبَّ صِدْقٍ تَوَدُّ لَوْ كَانَ كِذْبًا وَكِذَابٍ لَوْ كَانَ غَيْرَ كِذَابِ ! (٢٣)
لَيْتَ لِي لَمْحَةً أُعِيدُ بِهَا مِنْـ ـكَ بَقَايَا تِلْكَ الأَمَانِي العِذَابِ (٢٤)
حَيْثُ أَخْتَالُ نَاضِرَ العُودِ بَسَّا مًا كَثِيرَ الهَوَى قَلِيلَ العِتَابِ (٢٥)

---

(١٩) جعل لون الليل مختلسا من لون شعر الشباب الأسود . ومسرح اللهو : مكانه يروح فيه اللاهى ويغدو. يقول:لم يكن الليل موطنا للهو والطرب إلا لأنه سرق لونك أيها الشباب ، فهو الذى أفاض عليه مرحاً وأنسا ، وجعله مسرحاً للمحبين واللاهين يسترهم بسواده الذى هو قطعةمن سوادك.

(٢٠) أحمد : هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، الشاعر الحكيم ، صاحب الأمثال السائرة ، والمعانى النادرة . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ ﻫ ومات مقتولا سنة ٣٥٤ ﻫ . وكافور : هو أبو المسك الاخشيدى كان أسود اللون . تولى كافور ملك مصر سنة ٣٥٥ وبقى عليها الى أن مات سنة ٣٥٧ ﻫ . وكان أبو الطيب اتصل بكافور ومدحه ، رجاء أن ينال عنده ما لم ينل عند غيره . وغنى : أنشد . ويريد بخوالد الآداب : شعر المتنبي فى كافور وقد مدح فيها مدح منه سواده . يقول : إن شعر المتنبي ما جاد وخلد فى مدح كافور إلا لأنه رأى فى سواده لونك .

(٢١) جعل عهدى الشباب والشيب كالبسمة يعقبها عبوس وتجهم .

(٢٢) أى كلما حاول أن يلقى فى روعه أنه قوى فتىٌّ أبانت له المرآة عن وخط الشيب فى رأسه فثاب إلى رشده وعرف حقيقة أمره .

(٢٣) الكذاب : الكذب . أى من الأخبار ما يود الانسان مع صدقها ، لو كانت كذبا ، ومنها ما يود مع كذبها لو كانت حقاً ، فراراً من الأولى ، وحباً فى الثانية .

(٢٤) اللمحة : النظرة العاجلة فى خلسة . والعذاب : الحلوة الطيبة : يتمنى لو ظفر من شبابه بلمحة يعيد بها عهوداً مضت محبوبة إلى نفسه لذيذة عنده .

(٢٥) أختال : من الخيلاء وهى الزهو والتيه . والانسان لا يزهو إلا عن قوة أو جاه . وسرّ الزهو فى الشباب قوته وفتاؤه . وناضر العود : أى غض الشباب وضاؤه . وبساماً : كثير البشر والسرور . وكثير الهوى : أى كثير الأنس والميل . وقليل العتاب . أى راض عن نفسه وعن الناس فلا يخاصم ولا يعاتب . يصف حياة الشباب وقد توافرت بها أسباب الغبطة والمرح .

فى صِحابٍ مِثْلِ الدَّنانيرِ لا تَبْـــلَى مَودَّاتُهم بطُولِ الصِّحَابِ (٢٦)

بوُجوهٍ غُـــرٍّ تَرَاها فتَتْلُو فى أَسارِيرِها سُطُورَ كِتابِ (٢٧)

نَسْبِق الخَطْوَ للسُّرُور وِثابًا لا تُنَـالُ المُنَى بغَيْرِ الوِثَابِ (٢٨)

وَنَجُرُّ الذُّيولَ فى غَيْرِ نُكْرٍ طَاهِرِى النَّفْسِ طاهِرِى الجِلْبابِ (٢٩)

إنْ دَعَانا الهَوَى لغَيْرِ سَدِيدٍ سَدَّدَتْنا كَرَائِمُ الأَحْسابِ (٣٠)

زَيْنَبٌ، أَيْنَ مِنْكِ زَيْنَبُ، والشَّمْـــلُ جَمِيعٌ والعَيْشُ خِصْبُ الجَنَابِ؟ (٣١)

وَبنَاتُ الثُّغُورِ يَلْعَبْنَ بالأَلْـــبابِ لِعْبَ الشَّمُولِ بالأَلْبابِ (٣٢)

---

(٢٦) الدنانير : نقود تضرب من الذهب ؛ الواحد : دينار ، والصحاب الأولى الأصدقاء والثانية : الصحبة . يشبه أصحابه بالدنانير فى أن مودتهم تبقى كاملة القيمة صادقة على مرّ الزمان .

(٢٧) غر : بيض . يصفها بالسماحة والطلاقة . وأسارير الوجه : غضونه وخطوطه . جعل وجوههم تنم عما انطوت عليه نفوسهم من خلال طيبة وصفات ممدوحة . ولما جعل الغضون سطوراً جعل الوجه كتاباً منشوراً . يقول إن أصحابه من صفاء النفس وسهولة الخلق بحيث تقرأ ما فى نفوسهم فى وجوههم .

(٢٨) وثابا : وثبا وعدوا ، أى إنهم كانوا ينهبون الخطا نحو السرور ويبادرون إليه . والبدار مطية الأمانىّ . ومن أبطأ به وثابه ، عز عليه طلابه .

(٢٩) نجر الذيول : أى نمشى فى تيه واختيال . والنكر : المنكر القبيح من الفعل والقول ، وطهر الجلباب كناية عن البعد عن الدنس والرذيلة . جعل القبائح كالنجس يعلق بالثياب .

(٣٠) الهوى : ميل النفس وما تجنح إليه . وغير سديد أى بعيد عن الجادّة والصواب . وسددتنا : أى هدتنا وأرشدتنا ، مأخوذ من تسديد السهم نحو الغرض حتى يصيبه الرامى ولا يخطئه . جعل لهم من أحسابهم خير رادع وزاجر .

(٣١) زينب : كنى بها الشاعر عن المحبوبة . والشمل جميع : أى ونحن فى ألفة وتحاب مجتمعون غير متفرقين . والجناب : الناحية . وخصب الجناب : أى معشب النواحى مخضرها . وهو كناية عن رغد العيش وخفضه . يندب أيام الشباب وهوى تمتع به فيها فى ألفة ورغد وطيب عيش .

(٣٢) بنات الثغور : يشير إلى موطنه الأول رشيد ، وهى ثغر من الثغور المصرية المعروفة بجمال خودها ، وحسن غيدها ، ويذكر أيامه الأولى بها . والألباب العقول . والشمول : الخمر ، جعل الغيد الحسان كالخمر لعبا بالألباب .

يَتَظَاهَرْنَ بِالْحِجَابِ ، وَهَلْ أَذْ كَى الْجَوَى غَيْرُ لُؤْمِ ذَاكَ الْحِجَابِ؟ (٣٣)
كَمْ وُجُوهٍ تَنَقَّبَتْ بِسُفُورٍ وَوُجُوهٍ قَدْ أَسْفَرَتْ بِنِقَابِ ! (٣٤)
أَيْنَ تِلْكَ الأَيَّامُ ؟ بَانَتْ وَبِنَّا وَتَوَلَّتْ بَشَاشَةُ الأَحْبَابِ ! (٣٥)

* * *

لَيْتَ شِعْرِي ، أَيَرْجِعُ الأَمْسُ عَهْداً غَصَبَتْهُ الأَيَّامُ أَيَّ اغْتِصَابِ ؟ (٣٦)
عَهْدَ دَارِ الْعُلُومِ ، أَنْتَ يَدَ الدَّهْـ ـرِ ، جَمَالُ الدُّهُورِ وَالأَحْقَابِ (٣٧)
إِنْ ذَكَرْنَاكَ هَزَّنَا الشَّوْقُ لِلشَّوْ قِ وَلَهْوِ اللِّدَّاتِ وَالأَتْرَابِ (٣٨)
أَنْتَ خِدْنُ الشَّبَابِ ، بَيْنَكُمَا فِي الْـ ـوَهْمِ قُرْبَى وَشِيجَةُ الأَنْسَابِ (٣٩)
فَكَأَنِّي أَرَى الزَّمَانَ وَقَدْ دَا رَ وَعَادَ الصِّبَا نَضِيرَ الإِهَابِ (٤٠)
وَأَرَى « الْجَارِمَ » الْفَتَى يَقُودُ الْحَشْـ ـدَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الطُّلَّابِ (٤١)

(٣٣) الحجـاب : ما تضعه المرأة على وجهها تستره به . والجوى حرقة الوجد وشـدته . وإذكاء الجوى : إشعاله وإيقاده . يقول : إن الحجاب هو الذي يزيد الوجد ويحرك لواعج الشوق، إذ أحب شيء إلى الانسان ما منع عنه .

(٣٤) تنقبت . لبست النقاب ، وهو الحجاب . والسفور : أن تكشف المرأة عن وجهها . يقول : كم من نساء هن مع سفورهن متحجبات بالعفة والحياء ، ونساءهن مع حجابهن كالسافرات بعداً عن الفضيلة .

(٣٥) بانت وبنا : انقطعت عنا وانقطعنا عنها . وتولت بشاشة الأحبـاب : أى حرمنا الهرم والكبر أنس الشباب وبشره .

(٣٦) ليت شعرى : أى ليت علمى محيط بما سيتم . ويريد إظهار التحسر على شيء فات ولن يعود ، وقد غصبته الأيام اغتصابا ولن تسمح به مرة ثانية .

(٣٧) يد الدهر : أى طول الزمان . والأحقاب : السنون . جعل عهد دار العلوم مهما طالت به العصر بهجة الدنيا وزينة الأيام .

(٣٨) هزنا الشوق : استخفنا وحركنا . واللدات : الأتراب : المماثلون لك فى سنك .

(٣٩) الخدن : الصديق . وشيجة : مشتبكة لا انفصام لها .

(٤٠) وقد دار : أى عاد بنا إلى سـيرتنا الأولى من الصـبا والشباب . والاهاب : الجلد . ونضرة الاهاب : دليل الشباب والفتوة .

(٤١) الفتى : الشاب . والحشـد : الجمع . والجحفل : الجيش الكثير . يصف الشاعر عهد دراسته فى دار العلوم واجتماع الطلبة على كلمته وانطوائهم تحت لوائه .

وَاثِبًا لاهِيًا ، لَعُوبًا ضحوكًا غَيْرَ مَا وَاجِلٍ وَلا هَيَّابِ (٤٢)
وَاثِقًا بالإِله ، لَيْسَ يَرَى الصَّعْـ ـبَ سِوَى أَنْ تَهابَ خَوْضَ الصِّعَابِ (٤٣)
فَهْوَ كالطَّائِرِ الطَّلِيقِ فَحِينًا فى وِهَادٍ ، وَمَرَّةً فى هِضَابِ (٤٤)
عَابِثٌ بالغُصُونِ فى ظِلِّ رَوْضٍ حَاكَ أَفْوافَه مُلِثُّ الرَّبَابِ (٤٥)
يَحْمِلِ الكُتْبَ فى الصَّبَاحِ ، وَلِلْآ مَالِ فى صَدْرِهِ نَئِيجُ العُبَابِ (٤٦)
رَأْسُه رَأْسُ مالِهِ ، وامْتِلاءُ الرَّأْ سِ خَيْرٌ من امْتِلاءِ الوِطَابِ (٤٧)
كُلُّ يَوْمٍ فى الامْتِحاناتِ هَيْنٌ خَطْبُهُ غَيْرَ خَطْبِ يَوْمِ الحِسَابِ (٤٨)

*
* *

إِيهِ دارَ العُلُومِ ، كُنْتِ بِمِصْرٍ فى ظَلامِ الدُّجَى ضِيَاءَ الشِّهَابِ (٤٩)
فى زَمانٍ مَنْ كَانَ يُمْسِكُ فيهِ قَلَمًا عُدَّ أَكْتَبَ الكُتَّابِ ! (٥٠)

---

(٤٢) الواجل : الخائف . والهياب : غير المقدام الذى يفقد الجرأة رعبا وفزعا .
(٤٣) يقول : إنه كان ممتلئا ثقة بالله يهون عليه كل صعب ، لأنه يرى أن الأمور إنما تصعب فى نظر الجبان الرعديد ، لأنه يتوهمها صعبة ، فيهابها ولا يقدم عليها .
(٤٤) الطليق : المرسل يتنقل حيث يشاء . والوهاد : ما انخفض من الأرض . والهضاب : ما ارتفع منها ، يجعل نفسه فى مرحه كالطائر الطليق يغدو ويروح حيث يشاء .
(٤٥) الأفواف : ضروب من برود اليمن ، تشبه الأزهار بها . وملث الرباب السحاب الممطر .
(٤٦) العباب : الموج . ونئيجه : صوته . جعل للآمال فى صدره ثورة كثورة الموج .
(٤٧) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) وهو سقاء اللبن . يكنى بامتلاء الوطاب عن الغنى وبامتلاء الرأس عن العلم .
(٤٨) خطبه : خطره وشدته . ويوم الحساب : يوم البعث . ويريد به هنا يوم امتحان الحساب .
(٤٩) ظلام الدجى . يريد به ظلمة الجهالة التى كانت تخيم على مصر ، ويخبط فيها المصريون والشهاب : أحد نجوم سبعة تعرف بالدرارى . جعل دار العلوم كالشهاب نوراً وهداية .
(٥٠) يشير إلى زمن مر بمصر انحطت فيه العلوم وانتشر الجهل وبات من لا يجيدون القراءة والكتابة كتابا يشار اليهم بالبنان .

أَنْتِ أُمُّ الأَشْبالِ ، إنْ غابَ لَيْثٌ صالَ لِلْحَقِّ بَعْدَه لَيْثُ غابِ (٥١)

تَلِدينَ البَنينَ مِنْ كُلِّ ماضٍ شَمَّرِيٍّ مُزاحِمٍ وَثّابِ (٥٢)

شاعِرٍ يُنْصِتُ الوُجودُ إذا قا لَ وَيَهْتَزُّ هِزَّةَ الإِعْجابِ (٥٣)

شِعْرُه زَفْرَةُ الغَرامِ ، تَعالَتْ عن قُيُودِ الأَوْتادِ والأَسْبابِ (٥٤)

تَتَغَنّى به العَذارَى فَيَبْعَثْـ ـنَ الهَوَى بعد صَحْوَةٍ وَمَتابِ (٥٥)

تَخِذَتْ فيكِ بِنْتُ عَدْنانَ دارًا ذَكَّرَتْها بَداوَةَ الأَعْرابِ (٥٦)

---

(٥١) الأشبال : أولاد الأسود ؛ الواحد شبل . يشبه أبناء دار العلوم والمتخرجين فيها بالأشبال فى عزمتهم وقوتهم على الجهاد . وصال : اشتد . جعلهم للحق نصراء ، لا يخلو منهم ميدانه ، فلا يكاد الموت يختطف منهم واحداً حتى يحل مكانه غيره .

(٥٢) الماضى : المقدام الذى لا يثنيه شىء . والشمرى (بفتح الشين والميم أو بكسرهما) المجرب الجرىء غير الهياب . والمزاحم : الذى يغالب غيره ويقوى عليه . والوثاب السباق الى الغايات .

(٥٣) ينصت : يستمع فى سكون وخشوع . ولا يكون الانصات إلا عند كل قول رائع ، وفى إسناد الانصات الى الوجود دليل على بيان معجب ، وصيت سائر وذكر على الألسنة دائر .

(٥٤) زفرة الغرام ، جعل الشعر كزفرة المغرم حرىء صادقة التعبير عما يختلج فى النفس ، ويجيش فى الصدر . والأوتاد : جمع وتد ، وهو عند العروضيين على ضربين : مجموع ومفروق ، فالمجموع هو كل ثلاثة أحرف سكن ثالثهما ، والمفروق كل ثلاثة أحرف سكن ثانيهما . والأسباب : جمع سبب وهو كل حرفين تحركا أو سكن ثانيهما ، ويسمى الأول منهما ثقيلا والآخر خفيفاً . والأوتاد والأسباب ما تتألف منها التفعيلات فى الشعر . يصف شعر شاعرهم بالسمو معنى وتعبيراً وأنه ليس بالكلام الموزون المقفر فحسب بل هو تعبير صادق بليغ .

(٥٥) العذارى : الأبكار ، الواحدة : عذراء . والصحوة : الاقلاع عن الهوى والخلاص من أسباب المجون . والمتاب : التوبة . والنفس بعد الصحوة والمتاب أقل ميلا الى دواعى الهوى ، وأبعد عن الاندفاع الى مؤثراته : فهى اذا عادت الى ما تركت كان ذلك دليلا على قوة الدافع وشدته ، وليس ذلك إلا لما تضمنه الشعر من حلو المعانى وطريفها التى تحرك قلوبا جفت وأفئدة استعصت .

(٥٦) فيك : يخاطب دار العلوم . وبنت عدنان : اللغة العربية ، نسبة الى عدنان الجد الأعلى للعرب . وبداوة الأعراب : إقامتهم فى البادية يقول : إن العربية سكنت بدار العلوم التى هى موئل اللغة والأدب ، فتذكرت عهدها السابق حيث كانت تعيش فى البادية بين قوم لسن فصاح .

عَادَها الْحُسْنُ فى ذَرَاكِ وِرَوًّا ... هَا عَلَى غُلَّةٍ نَمِيرُ الشَّبَابِ (٥٧)
وَغَدَتْ فى عُكَاظَ بَيْنَ شُيُوخٍ ... فَتَنَتْهم بِسِحْرِها الخَلَّابِ (٥٨)
خَلَعُوا فى طِلابِها جِدَّةَ العُمْــ ... ــرِ وقَدْرُ المَطْلوبِ قَدْرُ الطِّلابِ (٥٩)
وَدَنَوْا من خِبائِها فَأَرَتْهم ... ثَمَرَاتِ النُّهَى وَسِرَّ الكِتَابِ (٦٠)

*
* *

لَكِ دَارَ العُلومِ فى كُلِّ نَفْسٍ ... أَثَرُ القَيْنِ فى صِقَالِ الحِرَابِ (٦١)
حَسْبُ مُطْرِيكِ أَنَّ كُلَّ نَجِيبٍ ... نَفْحَةٌ مِنْ رِجَالِكِ الأَنْجَابِ (٦٢)
أَنْتِ كالنِّيلِ ، كُلَّما مَسَّ جَدْبًا ... هَزَّهُ بالنَّمَاءِ والإِخْصَابِ (٦٣)

---

(٥٧) ذراك : نواحيك . والغلة : العطش أو شدته . والنمير : الزاكى من الماء الناجع فى الرى جعل عذب الحديث وفصيحه يجرى على ألسنة بنى دار العلوم كالنمير ، موردا تنتعش به اللغة وينضر عودها . يقول : فى هذه الدار عادت للغة نضرتها بعد ذبول ، ووجدت من فصيح الألسنة ما أنعشها وبعث فيها الحياة بعد الركود والاشراف على الدثور ، والتعطش الى من يأخذ بيدها

(٥٨) عكاظ : سوق للعرب بين نخلة والطائف ، وكانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون ، أى يتناشدون ويتفاخرون . شبه دار العلوم بعكاظ . والخلاب : الذى يأسر الألباب ويستهويها .

(٥٩) طلابها : طلبها وتعلمها . وجدة العمر : أوائله . ويريد أيام الشباب ومقتبله . وخلع جدة العمر : كناية عن إفناء الشباب وبذله . يقول : فى هذا البيت والذى قبله إن شيوخ هذه الدار فتنوا بالعربية واستهواهم حسنها ، فأفنوا فى تحصيل اللغة زهرة أعمارهم وأيام شبابهم ، وعلى قدر الغاية يكون الجد والسعى .

(٦٠) الخباء : البيت يصنع من وبر أو شعر أو صوف ، واختار لها الخباء لأنه لسكان البادية من الأعراب ، وهم أفصح لسانا وأوفى بيانا من سكان الحواضر . ويريد بدنوهم من الخباء إقبالهم عليها واتصالهم بها . يقول : كلما جدوا فى تعلمها رأوا فيها كل شهى حلو من ثمرات العقول ، فصيح معجز من آيات بينات نزل بها الكتاب الكريم .

(٦١) القين : الحداد . وصقال الحراب شحذها وإعدادها . أى إن فضل دار العلوم على النفوس تهذيبا وتثقيفا كفضل من يصقل الحراب ، ويشحذها فيجعلها صالحة بعد أن لم تكن .

(٦٢) مطريك : الذى يحسن الثناء عليك معدداً آثارك الغر الحسان . يقول حسب المادح لك أن كل نابه من رجالات مصر تخرج على أيدى بنيك ، واهتدى بهديهم .

(٦٣) الجدب : القفر لا نبات فيه . وهزه بالنماء والاخصاب ، أى أعاده معشبا مورقا فاهتز حياة وانتعاشا . جعلها كالنيل هى تحيى موات العقول ، وهو يعيد الجدب خصبا مخضرا .

كيمياءُ العقولِ أنتِ ، تصوغيـ ـينَ نضاراً من النُّحاسِ المُذابِ (٦٤)
إنَّ خمسينَ حِجَّةً قد كَفَتْ منـ ـكِ لِمَلْءِ الدُّنيا بكلِّ عُجابِ (٦٥)
نَهَضَتْ مصرُ نهضةَ النَّسْرِ فيها واسْتَوَتْ فوقَ مُستَقَرِّ العُقابِ (٦٦)
كُلُّ عامٍ كأنَّهُ خُطوَةُ الجبـ ـارِ أو وَثْبَةُ الأُسودِ الغِضابِ (٦٧)
كُلُّ عامٍ كأنَّهُ عَلَمُ النَّصْـ ـرِ بِكَفِّ المُظَفَّرِ الغَلَّابِ (٦٨)
كُلُّ عامٍ كطَالِعِ السَّعْدِ شِمْنَا هُ عَلَى طُولِ غَيْبَةٍ واحْتِجابِ (٦٩)
كُلُّ عامٍ كالفَجْرِ يَهْزِمُ لَيْلاً نَابِغِيَّ الهُمُومِ والأَوْصابِ (٧٠)
كُلُّ عامٍ كأنَّهُ الأَمَلُ الضَّا حِكُ ، وافاكَ بعدَ طُولِ ارْتِقابِ (٧١)

---

(٦٤) النضار : الذهب . والكيمياء فيما كانوا يزعمون تصيير المعادن الخسيسة ذهبا .

(٦٥) الحجة : السنة ، يشير إلى أثرها فى تقويم الألسن ، وتثقيف العقول ، من يوم إنشائها إلى اليوم الذى أقيم فيه هذا المهرجان .

(٦٦) العقاب : طائر لا يتخذ وكره إلا فى أعالى الجبال ، جعل نهضة مصر على يديها كنهضة النسر سموا وارتفاعاً .

(٦٧) يصف أثرها فى كل عام بأنه جليل خطير . وجعل وثبتها كوثبة الأسود الغضاب لأن الأسود أشد ما تكون جرأة وإقداما إذا غضبت .

(٦٨) المظفر : الظافر . والغلاب : الكثير الغلبة والقهر . أى إن كل عام لها مجيد عظيم بما حفل من أعمال ، وهو بين الأعوام كالعلم يرفعه القائد فخرا وتيها .

(٦٩) طالع السعد : فأله وما يجىء بشيرا به ودليلا عليه . وشمناه : نظرناه . يشبه العام باليمن والاسعاد . يجىء بعد طول غياب .

(٧٠) نابغىّ الهموم : كثيرها شديدها . وهو نسبة إلى النابغة الذبيانى الشاعر المعروف ، يشير إلى قول النابغة فى وصف الليل :

كلينى لهمٍّ يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الكواكب

والأوصاب : الآلام . جعل العام يشرق بالنور فيبدد ظلام الجهل أمامه وينزع عن الناس آلامه .

(٧١) ارتقاب : توقع وانتظار . يشبه العام بالأمل المرجو تحققه الأيام بعد انتظار طويل .

كُلُّ عامٍ كَوَافِدِ الْغَيْثِ تَلْقَـا هُ وُجُوهُ الرِّيَاضِ بِالتَّرْحَابِ (٧٢)

*
* *

لا تَهابِي دارَ العُـــلُومِ مُلِمًّا آفَـةُ المجدِ والعُلَا أَنْ تَهابِي! (٧٣)

إِنَّ فى مِصْرَ لو عَلِمْتِ قُلُوبًا وَاجِفَاتٍ لِقَلْبِكِ الوَجَّاب (٧٤)

سَتَنالِينَ بالمَلِيكِ فـؤادٍ كلَّ ما تَرْتَجِينَ مِنْ آرَاب (٧٥)

لا تُرَاعِي وفى الـكِنانَةِ سَـعْدٌ بَيْنَ أَشْبَالِهِ الشِدَادِ الصِلاب (٧٦)

واطلبي الخَيْرَ والمُنَى مِنْ فُـؤادٍ ناشِرِ الفَضْلِ، ناصِرِ الآداب (٧٧)

لا خَلَتْ مِصْرُ مِنْ نَدَاهُ فقَدْ صا رَ عِنَانَ القُلُوبِ طَوْقَ الرِقَاب (٧٨)

---

(٧٢) وافد الغيث : المطر القادم . ووجه الروض : صفحته . والترحاب : البشر ، جعل تفتح الأزهار والأنوار غب المطر بشرا تتلقى به الرياض المطر .

(٧٣) ملما : شيئا ينزل بك مما تكرهين وتخافين ، يشير إلى الفكرة التى نبتت فى ذلك الوقت بالغاء دار العلوم . ويقول : لا يعرف الخوف من رام المجد ، فاذا استشعرت الخوف قعد بك عن إدراك ما تطمحين إليه من مجد وعلا .

(٧٤) واجفات : مضطربة شفقة عليك . والوجاب : الخفاق . أى لك فى مصر قلوب تحمل العطف عليك ويؤلمها ما يؤلمك فهى لهذا تحول بينك وبين ما تـكرهين .

(٧٥) فؤاد : هو المغفور له الملك احمد فؤاد الأول . وقد عرف برعايته لدار العلوم والآراب : جمع أرب . وهو البغية والمأرب .

(٧٦) لا تراعى : لا تخافى ولا يملأ الرعب نفسـك . والـكنانة : مصر . وسـعد : هو المغفور له سعد زغلول باشا زعيم النهضة المصرية ، والأشبال : أولاد الأسود ، ويريد بهم رجال النهضة المحيطين بسعد . والصلاب ذوو المرة والعزمة القوية .

(٧٧) المنى : ما يتمناه الانسان ويرجوه .

(٧٨) الندى : الـكرم والمعروف . والعنان ما تقاد به الدابة . والطوق : ما يكون حول العنق . يصف معروفه بالـكثرة حتى إنه أسر القلوب وطوق الأعناق .